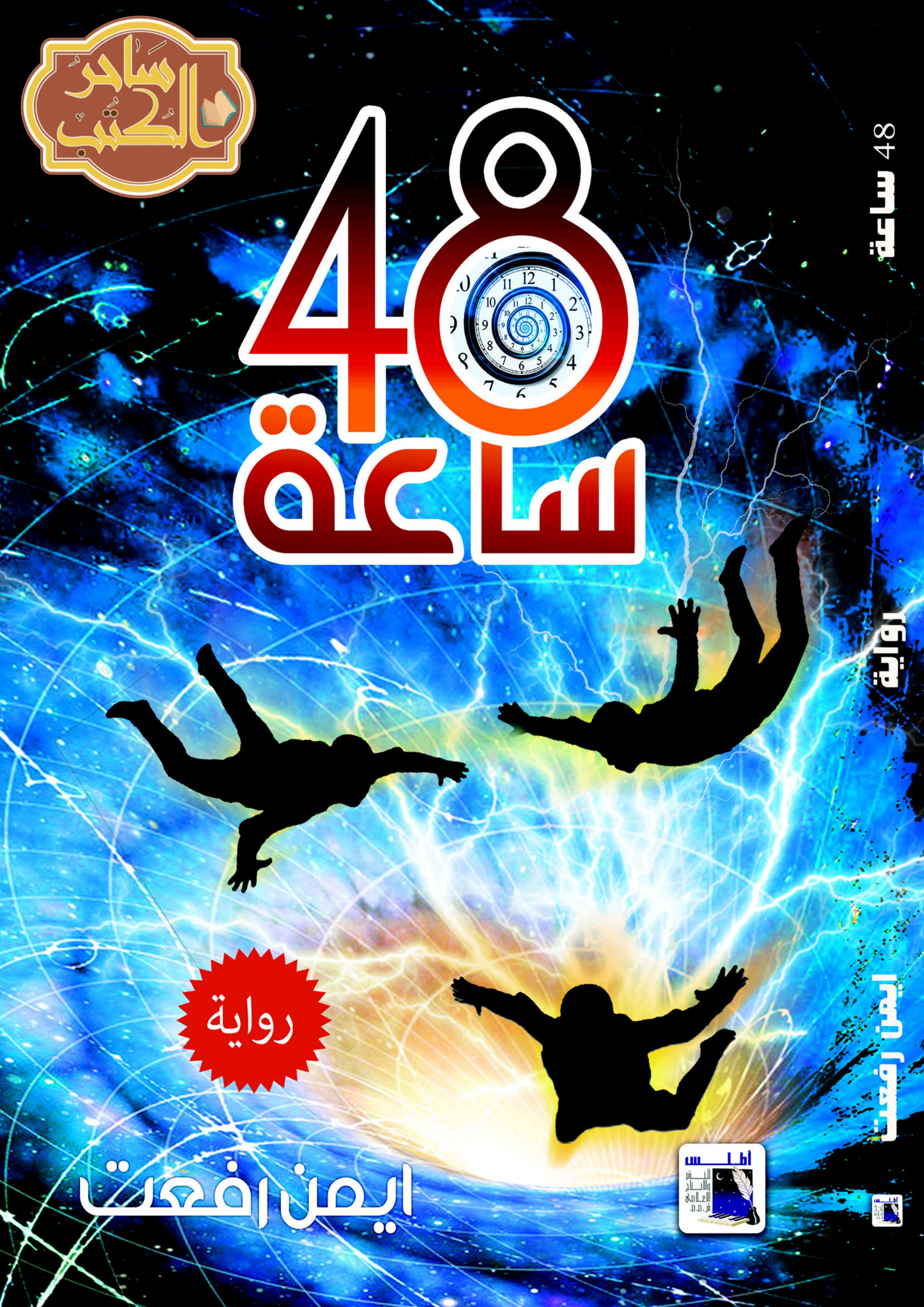

ساحر الكتب
48
ساعة
رواية
ايمن رفعت
أطلس
48 ساعة
رواية
ايمن رفعت



إهداء

إلـى زوجتـي الحبيبـة نسـرين ، التـي لهـا الفضـل بعـد الله سـبحانه وتعالـى، في أن تـرى الروايـة النـور، مـن خـلال تشـجيعها المسـتمر ونقدهـا البنَّـاء .

كانـت كلماتها المشـجعة وأراؤهـا السـديدة خيـر عـونٍ لـي في ظهـور الروايـة بهـذه الصـورة .

ايمن رفعت





المقدمة

فكرة السفر عبر الزمن ليست بالجديدة، فقد طُرِحَت في عدة روايات سابقة وأعمال سنيمائية ناجحة . ولعل أول من طرحها هو الكاتب هربرت جورج ويلز في روايته آلة الزمن التي صدرت عام ١٨٩٥ .

ولكن الجديد في هذه الرواية هو أسلوب تناول هذه الفكرة. فقد بُنِيَت أحداث هذه الرواية على حوادث حقيقية موثقة تاريخيًا . شارك أبطال الرواية فيها بصورة أو بأخرى، فقد كان هدفهم منذ البداية هو محاولة تغيير التاريخ للأفضل . فمن وجهة نظرهم أن العالم سيكون أفضل إذا ما منعوا بعض الكوارث من أن تحدث . ولكن هل يمكن تغيير التاريخ إذا ما أُتيحت لنا الفرصة لذلك ؟

هل فكرت يومًا فيما كان سيحدث إذا نجح أحدهم في منع أحداث ١١ سبتمبر من أن تحدث ؟ كيف ستكون شكل الحياة في مصر إذا لم تنجح محاولة إغتيال الرئيس الأسبق أنور السادات ؟

في إطار من الإثارة والتشويق، تدور أحداث الرواية حول بعض الأصدقاء، قد يكونوا جيرانك أو حتى أصدقاؤك . كان



إختراع آلة الزمن وتغيير التاريخ هو حلمهم منذ الطفولة، من منا لم يحلم بذلك !

هل الحلم وحده يكفي لتحقيق مايريدون ؟ هل سيستطيعون حقًا تحقيق حلمهم وتغيير التاريخ ؟ أم سيضيعون في ممر الزمن ؟

ويبقى السؤال الأهم : هل حقًا أن التاريخ لا يمكن تغييره، أم أنهم قد نجحوا في تغييره ليصبح التاريخ كما نعرفه الآن ؟

كان الهدف منذ البداية هو تقديم عمل أدبي يحترم عقلية القارئ من المراحل العمرية المختلفة، فليست الرواية مقتصرة على فئة عمرية بذاتها .

وقد رأيت أن يكون الحوار بين شخصيات الرواية باللغة العامية، إلا أنَّ من الأفضل أن يكون سرد الأحداث بالعربية الفصحى . فهي غنية بالمفردات اللغوية التي تعطي جمالاً في التعبير ووصف الأحداث.

أتمنى لكم قضاء وقت ممتع مع هذه الرواية .

ايمن رفعت



الفصل الأول





الفصل الأول

ساد الصمت المطبق هذا الجزء من الصحراء المترامية الأطراف، والتي خلت من أية مظاهر للحياة مع إرتفاع درجة حرارة الجو وتوسُط الشمس الحارقة كَبد السماء. لم يقطع هذا الصمت إلا صوت فرقعة مكتومة مصحوبة بشرارات كهربائية أعقبها ظهور ثلاثة شباب من العدم .

هيثم ومهند وكريم، ثلاثة من الشباب في أوائل العقد الرابع من العمر تربطهم صداقة قوية منذ نعومة أظافرهم، نشأوا معًا في منطقة المعادي .

(هيثم) الابن الوحيد لرجل الأعمال أدهم العيسوي، خريج كلية الهندسة قسم حاسب آلي . شاب رياضي يمارس رياضة الفنون القتالية المختلطة . ذو شخصية قيادية . أسمر اللون ذو وجه مستطيل ولحية نامية –على غرار الموضة الشائعة هذه الأيام – قوي البنية، متوسط الطول . توفيت والدته وهو في الرابعة من عمره وفَضَّل والده عدم الزواج مرة أخرى .

(مهند)، خريج كلية الآثار جامعة القاهرة، وسيم الملامح، متوسط الطول، ذو بشرة خمرية وشعر أسود فاحم . يمارس رياضة السباحة بأحد الأندية الشهيرة بمدينة القاهرة . يقيم مع



خاله بعد وفاة والديه في حادث طائرة مصر للطيران سنة ١٩٩٩ أثناء عودتهما من الولايات المتحدة الأمريكية بعد حضور مؤتمر علمي .

(كريم عبقرينو) مخترع شاب من أسرة ميسورة الحال، تخرج من كلية الهندسة بإحدى الدول العربية التي سافر إليها مع والديه بعد المرحلة الثانوية . يهوى الإلكترونيات، طويل القامة، يميل إلى النحافة، أبيض اللون، ذو وجه بيضاوي يعلوه شعر مجعد، يرتدي نظارات طبية كما هو حال معظم المخترعين والعباقرة . متفوق في دراسته منذ الصغر، لم يكن لديه أصدقاء عدا صديقيِّ الطفولة (مهند وهيثم). كان زملاؤه في الفصل يلقبونه بالـ (Nerd) وهي كلمة إنجليزية يطلقها الطلاب على محبي العلم . يقضي وقت فراغه مع صديقه هيثم في معمله الخاص بالطابق السفلي من الفيلا التي يعيش فيها مع أسرته .

- صاح هيثم في توتر : إحنا فين ؟ وإيه الصحراء دي ؟ إيه اللي حصل يا كريم، الجهاز ودانا فين ؟

- تلفت مهند حوله وهو يقول : شكل الجهاز ودانا في داهية.

- نظر هيثم إلى كريم قائلاً : كريم، أنت متأكد إن كل البيانات اللي دخلتها صح ؟



- لم ينبس كريم ببنت شفه وإنما نظر إليه وأومأ برأسه إيجابًا، فإلتفت إلى مهند قائلاً : فيه حاجة غلط . هات الجهاز أبُص على البيانات التى كريم دخلها . أمسك هيثم الجهاز ليراجع البيانات . نظر إلى مهند وهو يضغط على أسنانه وبدا أنه يبذل جهدًا ليكتم غيظه .

- نظر مهند إليه قائلاً في توتر : فيه إيه يا جماعة ! أنا عملت اللي إتقالِّي، دوست على الزرار اللي مكتوب عليه (ENTER) وبعدين دوست على (OK) بعد ما كريم ظبط التاريخ زي ما اتفقنا .

- جز هيثم على أسنانه وهو يكتم غيظه قائلاً : ممكن توريني كده يا مهند يا حبيبي الزراير اللي دوست عليها ؟

- ناوله مهند الجهاز وهو يقول في عصبية : فيه إيه يا جماعة، أنتم فاكرني حمار يعني، ولا مابعرفش إنجليزي !

- أمسك هيثم بالجهاز بينما أشار مهند بعصبية على الأزرار التي ضغط عليها قائلاً : آدي (Enter) وآدي (OK) .

- نظر هيثم وكريم إلى بعضهما البعض ثم قال كريم وهو يجز على أسنانه :آه، هو الحق يتقال، زرار (OK) صح يا عبقري.

- مهند : طيب تمام أهوه .



- إنفجر كريم صائحًا بعصبية : آه بس يا عبقري زمانك، الزرار الأولاني ده مش (ENTER)، ده (Delete) .

- أشاح مهند بيده وهو يقول : طيب وإيه المشكلة يا سي كريم!! أنت دايمًا كده تعمل من الحبة هوبا .

- هيثم : هوبة إيه وزفت إيه ! إسمها تعمل من الحبة قبه.

- قال مهند متهكمًا : مافرقتش قوي ياسي هيثم !!

- كاد صبر هيثم أن ينفذ وهو يقول : المشكلة يا فالح إن حضرتك مسحت التاريخ والمكان اللي كنا مظبطينه ودوست (OK)، فالجهاز ودانا في حته على مزاج أمه، اللّه يخرب بيتك. والجهاز مش هايشتغل صح لحد مايشحن ١٠٠٪، يعني مش قبل ٤٨ ساعة .

- ظهرت علامات الغباء على وجه مهند وهو يقول : هه !! ثم أمسك بالموبايل قائلاً : طيب يافكيك أنا ممكن أكلم خالو ييجي يأخذنا ومانستناش اليومين دول يا ناصح . وأردف قائلاً : أفف إيه الغباء ده !! سوري يا جماعة أنا مش عارف إيه اللي حصل لي، طبعًا مش هاعرف أكلمه .

- كريم : الحمد للّه أخيرًا فهم .

- هيثم وهو يجز على أسنانه : ليه مش هاتعرف تكلمه يا مهند يا حبيبي ؟

- زفر مهند في ضيق قائلاً : لإن مفيش معايا رصيد، وأهوه موبايلي كمان مش لاقط شبكة، مبسوط ياسيدي ؟ كريم معاك رصيد ؟

- انفجر هيثم صائحًا : يااارب، حد يشيله من قدامي، موبايل إيه يا أهبل !! أنت عارف إحنا فين ؟ ولا في سنة كام أصلاً ؟

كاد هيثم أن يفتك بمهند إلا أن كريم صاح بتوتر وهو يشير في إتجاه ما خلف هيثم : إيه اللي هناك ده ؟

نظر الجميع حيث أشار كريم ورأو ثلاثة أجسام تقترب منهم في سرعة لم يتبينوا ماهيتها في البداية، وسرعان ما اقتربت منهم وأحاطت بهم .

نظر الثلاثة في رعب إلى هذه الأجسام التي تزمجر بوحشية والزبد يتطاير من بين أنيابها . ثلاثة من الذئاب التي ينم مظهرهم على أنهم أمضوا أيامًا دون أن يجدوا فريسة واحدة تسد جوعهم. وإذ بهم يجدون ثلاثة فرائس دفعة واحدة .

سرعان ما أحاطت بهم الذئاب، وأخذوا يطوقونهم ويمنون أنفسهم بوجبة دسمة قد ظفروا بها . ويتحينون اللحظة المناسبة للإنقضاض عليهم .



- تبادلوا نظرة مليئة بالرعب وهم يتخيلون ماينتظرهم وقال مهند بتوتر : هنعمل إيه دلوقت ؟

أخذ هيثم يتلفت حوله باحثًا عن شيء يصلح كسلاح ضد هؤلاء الذئاب قائلاً : ماحدش يتحرك من مكانه، مش عايزين نستفزهم .

- كريم متوترًا : نستفز مين يا هيثم !! دول مستَفَزين خلقة.

إزدادت زمجرة الذئاب الثلاثة وتحفزوا للإنقضاض . وفجأة انقضَّ أكبرهم حجمًا على مهند الذي سقط على ظهره والذئب يجثم على صدره محاولاً أن ينشب أنيابه في رقبته، صرخ مهند في رعب وبحركة غريزية أمسك برقبة الذئب يدفعها بعيداً عنه في محاولة يائسة لتجنب الأنياب الحادة التي لا تفصلها عنه سوى سنتيمترات معدودة .

اندفع كلاً من هيثم وكريم لمساعدة مهند، ومع تحركهما استعد الذئبان الآخران للانقضاض عليهما .

تسمر هيثم وكريم في مكانيهما وأدركا أنهم جميعًا هالكون لا محالة . فجأة سمع الجميع صوت أزيز يشق الهواء وتناثر الدم على وجه مهند، أعقب ذلك عِواء أكبر الذئاب، الذي سقط على صدر مهند مفارقًا الحياة .



وما أن سقط أكبر الذئاب صريعًا، إلا ولاذ الذئبان الآخران بالفرار في محاولة للنجاة بحياتيهما .

نظر هيثم وكريم في ذهول إلى مهند الذي كان يجاهد لإزاحة جثة الذئب بعيدًا عنه، كان الذئب مصابًا بسهم إخترق رقبته من الجهة اليمنى، محدثًا بقعة من الدم تحيط بمكانه وبعض الدماء المتناثرة على وجه مهند، وقف مهند وتلفت حوله في ذهول غير مصدقًا بنجاته .

تلفت الشباب حولهم فوجدوا ثلاثة من البدو يركبون الجمال ويقتربون منهم .

- توقف البدو أمامهم وسأل أحدهم : من أنتم ؟ وماذا تفعلون في هذه البقعة المنعزلة ؟ لقد كدتم أن تصبحوا وجبة لهؤلاء الذئاب .

- رد هيثم وهو يتنفس الصعداء : إحنا تُهنا ومشينا لحد ما وصلنا هنا .

- قال مهند : آه إحنا فعلاً تهنا وخدناها مشي لحد ما لاقينا نفسنا في الـ (Middle of no where)، يوم فاكس جدًا .

- نظر إليهم أكبر البدو سنًا بدهشة قائلاً : هه ؟ ماذا ؟



- تدخل كريم : أنا هاوضح لحضرتك، أصل إحنا تُهنا من الناس اللي كنا معاهم فجبناها مشي لحد هنا، الموضوع بسيط وبيحصل لأي حد حضرتك .

- قال البدوي : إن ملابسكم غريبة ولهجتكم أغرب ولا أفهم شيئًا مما تقولون، لكن تفضلوا معنا ستجدوا ما يسركم، ونظر لرفاقه نظرة ذات معنى قائلاً : أليس كذلك ؟

انفجر البدو الثلاثة ضاحكين، وضحك الشبان الثلاثة بدورهم من باب المجاملة .

أناخ البدو راحلتهم وترجلوا عنها، كانوا ضخام الأجساد، ملامحهم قاسية وبشرتهم داكنة وقد حفرت الطبيعة الصحراوية القاسية علاماتها عليها .

- قال أكبرهم سنًا : إننا من قرية سدوم وهي ليست بعيدة عن هنا . وبالمناسبة إن اسمي هو(نوفل) وأشار إلى أحد رفيقيه الذي كان يحمل في يده قوسًا، وعلى ظهره جعبة من السهام، قائلاً بفخر : أمَّا هذا فهو الأدهم أفضل رامٍ في القبيلة ويرجع له الفضل في نجاتكم . أمَّا ذاك فهو بشير من خيرة شباب القبيلة.



- قال هيثم : تشرفنا، أنا هيثم، وأشار إلى رفيقيه قائلاً: ودول مهند وكريم . إحنا متشكرين جداً على إنقاذكم لنا . كان زمان الذئاب دي إتعشت النهاردة .

- قال نوفل : لا داعي للشكر، نحن لم نفعل سوى الواجب.

أصر البدو أن يركب الشبان الثلاثة الجمال معهم، فركب كل شاب أمام أحد البدو . بعد فترة بدت علامات الإضطراب على وجه هيثم وهو يشعر بملامسات نوفل له ونظر إلى كريم الذي ظهرت علي وجهه علامات القلق، وأما مهند فقد إرتسمت على وجهه إبتسامة بلهاء .

وصل الجميع إلى القرية قبل حلول الظلام بقليل . كانت القرية في منطقة سهلية منبسطة، ذات طابع بدائي بسيط . بيوتها من الطين مبنية من طابق واحد، متقاربة من بعضها البعض، تتخللها طرقات ضيقة . إستقبلهم رجال القرية بالترحاب الشديد واصطحبوهم لدار زعيم القبيلة .

كأنت دار زعيم القبيلة مختلفة عن باقي الدور التي مروا بها، فقد كأنت كبيرة مكونة من دارين يحيط بهما سور، دار الضيافة ودار إقامة الزعيم وأسرته، يتوسط الدارين حوشٌ به بعض الأرائك .



- قبل نوفل يد الزعيم ثم قدمه لهم قائلاً : الشيخ نعمان زعيم قبيلتنا وحاميها .

كان الشيخ نعمان ضخم الجثة ممتلئًا ذو كرش ضخم . بشوش الوجه له صوت جهوري . وخطَّ الشيب شعر رأسه ولحيته. تبدو عليه علامات الثراء، تزين أصابع يديه العديد من الخواتم الذهبية.

- الشيخ نعمان : مرحبًا بكم أيها الضيوف الكرام، من أين أنتم؟ وما الذي جاء بكم إلى هنا ؟ ثم تفحص ملابسهم قائلاً وما هذه الملابس الغريبة التي تلبسونها ؟

- مهند : إحنا من مصر، أما إزاي جينا هنا، دي حكاية طويلة يطول شرحها .

- الشيخ نعمان : إذًا دعونا نأكل أولاً ثم تستريحون وغدًا نستمع إلى قصتكم .

أقامت القرية وليمة للضيوف بدار الشيخ نعمان تخللها بعض الرقص والغناء قدمهما بعض رجال القبيلة .

- قال مهند لهيثم وهو يضحك : ناس ولاد حلال قوي، الواحد ممكن يعيش هنا على طول، لما الرجالة بيعملوا معانا كده أمال الستات هايعملوا معانا إيه !! هاهاها .



بعد العشاء شكر الثلاثة الشيخ نعمان على حسن الضيافة وإستأذنه هيثم أن يذهبوا ليستريحوا .

- بوجه يعلوه الإبتسامة أعطى الشيخ نعمان أوامره لنوفل بأن يصطحب الثلاثة إلى دار الضيافة الملحقة بداره ليستريحوا على أن يلقاهم غدًا صباحًا .

- في دار الضيافة سأل هيثم نوفل قائلاً : أنا ملاحظ إن الرجالة هنا بتعمل كل حاجة، أمال الستات بتعمل إيه ؟

- ابتسم نوفل قائلاً : السيدات يربون الأطفال ويقومون بإعداد الدور وتجهيزها صباحًا، أما ليلاً فيجتمعون عند زوجة الشيخ لوط، ليكون الرجال على راحتهم .

- نظر إليه كريم متسائلاً : لوط مين ؟

- إلتفت إليه نوفل ومطّ شفتيه قائلاً : إنه أحد كبار رجال القرية إلا أنه يعتزل مجالسنا كما أنه ينتقد دائمًا ما نفعله ويتدخل فيما لا يعنيه .

- هز مهند رأسه وهو يقول : لو فعلاً كل واحد يخليه في حاله كان البلد حالها اتسطح .

- نظر إليه هيثم وهو يقول : اتسطح إزاي يعني !! إسمها حالها انصلح .



- حرك مهند يديه في الهواء قائلاً : أهو إحنا كده نيجي في الهايفة ونتسنطر .

- جز هيثم على أسنانه وهو يكتم غيظه قائلاً : إرحمني ياااااارب . ثم تنهد قائلاً : المهم خلينا نستريح دلوقتي ونشوف بكره فيه إيه .

- همَّ نوفل بالإنصراف وهو يقول : سأذهب الآن فلا أريد أن أتأخر فيظن بي الشيخ نعمان الظنونَ . ثم أشار إلى صندوق موجود في أحد أركان الغرفة قائلاً : بالمناسبة يوجد في هذا الصندوق ملابس نظيفة يمكنكم أن تغتسلوا وتغيروا ملابسكم إذا ما أردتم .

واستطرد قائلاً : ناموا جيدًا فغدًا ينتظركم يوم حافل فرجال القرية يتحرقون شوقًا للقائكم . فلم نر رجالاً من مصر من قبل، ستكونون سببًا في جلب البهجة لنا جميعًا .

- مهند مبتسمًا : بس كده !! ده إحنا جايين هنا مخصوص علشان نبسط القرية، ولا إيه يا جماعة ؟ ههههه. تصبح على خير (Sleep tight) .

- رفع نوفل حاجبيه دلالة على عدم الفهم قائلاً : هه ؟ وأنتم كذلك . ثم انصرف على أن يحضر إليهم صباح الغد ومعه طعام الإفطار .



استحم الجميع تباعًا وقاموا بتغيير ملابسهم بما وجدوه في الصندوق . ثم أوى كل منهم إلى فراشه .

ساد الصمت وشرد الثلاثة بأفكارهم فيما كان سيحدث لو لم يتدخل نوفل ورفاقه في اللحظة المناسبة لإنقاذهم .

- قطع مهند الصمت قائلاً : شفتوني وأنا بصارع الذئاب ! كنت عامل زي ماكسيموس في فيلم المصارع . أنا لازم يسموني دودو قاهر الذئاب . لأ اسم جامد آخر حاجة، ينفع اسم فيلم .

- قال هيثم وهو يضحك : ماكسيموس إيه ومصارع إيه يا نجم! إيش حال ماكنا مع بعض وشايفينك، كان فاضلك دقيقة وهتأخذ لقب المرحوم .

- نظر إليه مهند في غيظ قائلاً : ماشي يا إتش متشكرين يامعلم .

- تنهد كريم قائلاً : والله عندك حق يا مهند، الناس دي جت في الوقت المناسب، كان زمانًّا النهاردة بايتين في بطن الديابة دول . الحمد لله ربنا ستر .

سكت برهة ثم أضاف : مع إن الناس هنا كرماء جدًا واستقبلونا كويس وحاسس إني برنس، بس فيه حاجة مش مريحاني، مش عارف ليه !!



صمت برهة ثم قال : خلينا ننام ونشوف بكره فيه إيه . بس إسم لوط ده سمعته فين قبل كده، فين ... فين ..... وإستغرق في سبات عميق .

لم يمض وقت طويل حتى ذهب ثلاثتهم في سبات عميق لم يقلقه إلا شعورهم بأن هناك من يراقبهم أثناء نومهم علاوة على بعض الكوابيس عن قيام الشيخ نعمان بتحسسهم وهم نيام .

في الصباح أفاقوا من نومهم وأخذوا ينظرون لبعضهم البعض في تساؤل . هموا بمناقشة ما شعروا به في الليلة الماضية، إلا أن دخول نوفل ومعه رجلان يحملان طعام الإفطار أنساهم مايدور في أذهانهم .

- بدت على وجه نوفل ابتسامة وهو يقول : عمتم صباحًا. عذرًا على دخولي دون إستئذان ولكنني أحضرت لكم طعام الإفطار.
- إلتفت كريم إليه قائلاً : صباح الفل يا نوفل، ألف شكر يا نجم، دايمًا عامر .
- أومأ نوفل برأسه وهو يقول : الشيخ نعمان ينتظركم بعد الإفطار لمقابلة كبار رجال القرية، فإنهم يتحرقون شوقًا للقائكم .

وضع نوفل طعام الإفطار ثم انصرف هو والرجلان .



- جلس ثلاثتهم أرضًا يتناولون طعام الإفطار، قال هيثم بصوت خافت : بعد الفطار كل واحد يبص على ساعة إيده ويتأكد أنها شغالة، كفايه اللي حصل مش عايزين ....

- صاح مهند مقاطعًا : مستعجلين على إيه بس !! براحتنا يا جماعة، مانقعد هنا إسبوع ولا إتنين وبعدين نرجع . وأمسك بالموبايل وأضاف : طيب ده أنا أخذت كام صورة سيلفي في العشاء إمبارح مع الشيخ نعمان وهأحطهم على الانستجرام أول ما ألاقي شبكة، مش عارف الشبكة مش عايزه تيجي ليه!!

- هيثم : يااارب . هو أنت ليه يا مهند يا حبيبي مقتنع إن إحنا في جمصة !! إحنا إتنقلنا في الزمن ومش عارفين فين، صبرني يارب . صحيح اللي يمشي مع العيال .

- أنتهى الجميع من تناول طعام الإفطار، تفحص كل منهم ساعته، ثم أمسك كريم الجهاز يتفحصه ليتأكد من سلامته وأخذ يتذكر كيف بدأت الحكاية ....

●●●



صيف عام ١٩٩٧

تجمع الأطفال الثلاثة هيثم ومهند وكريم في منزل كريم حيث كانت إحدى القنوات العربية تعرض على شاشتها أحد أفلام الخيال العلمي التي تدور قصته حول السفر عبر الزمن . كان الصغار الثلاثة مغرمين بأفلام الخيال العلمي وخاصة هذا الفيلم الذي شاهدوه عدة مرات حتى حفظوا كل مشهد فيه، بل وسيطرت فكرة السفر عبر الزمن على أفكارهم، كما زينت جدران غرفهم صورًا لأبطال الفيلم وصورة لآلة الزمن نفسها وهي تنطلق عبر الزمن .

بعد إنتهاء عرض الفيلم لمعت عيون الصغار انبهارًا بما شاهدوه وسيطرت عليهم فكرة السفر عبر الزمن .

- قطع هيثم الصمت قائلاً : تفتكروا يا جماعة الكلام ده ممكن يتحقق ؟

- أجابه كريم في سرعة : ليه لأ مفيش حاجة مستحيلة .

- رفع مهند حاجبيه وهز رأسه قائلاً : يا سلام لو ينفع كنت عملت حاجات كتيرة أوي .

- إلتفت إليه هيثم وسأله : زي إيه يا دودو ؟ نفسك تعمل إيه ؟



- تنهد مهند وهو يقول : نفسي أرجع السنة اللي فاتت وألحق (My sweet heart) سوسو، قبل الواد يوسف الزبالة ما يعلقها .

- ارتسمت إبتسامة على وجه هيثم وهو يقول : هي سميحة الحولة بقت سوسو !! لأ عرفت تنقي يا دودو، هي صحيح عينيها الإتنين مخاصمين بعض، بس حلوة برضو . وأنت يا كيمو نفسك في إيه ؟

- تنهد كريم وهو يقول : نفسي أرجع لإمتحان الفيزياء بتاع آخر السنة واغير إجابة السؤال اللي غلطت فيه وأخذ النص درجة اللي نقصتها .

- رفع هيثم حاجبيه ثم قال متهكمًا : آه، النص درجة اللي نقصتها . يعني أنت سايب كل حاجه وماسك في النص درجة! لأ ماهي النص درجة مهمة برضه . فيه إيه يا كيمو أنت محسسنا إن إحنا فشلة مع إننا بنطلع كل سنة من الأوائل .

- إلتفت مهند إلى هيثم وسأله : طيب وأنت يا إتش إيه اللي أنت نفسك تعمله ؟

- صمت هيثم قليلاً وأطرق برأسه للأرض وهو يتذكر . هز رأسه وتنهد قائلاً : نفسي أرجع ليوم عيد ميلادي السنة اللي فاتت وأحضن بابا قوي وأقوله إني بحبه وياريت يسيبلي حتة تورتة ومايخلصهاش كلها يعني .



- رفع كريم حاجبيه وهو يقول : يعني أنت كل اللي مضايقك إنك ماكلتش منها ؟

- تنهد هيثم قائلاً : أصلها كأنت بالشيكولاته . وبعدين ما أنت خلَّصت نصها يومها قولتلك حاجة يعني ؟

تمر الذكريات سريعًا بكريم من إجتيازهم الثانوية العامة بنجاح وسفر كريم لإحدى الدول العربية مع والده وإلتحاقه بكلية الهندسة هناك، بينما إلتحق هيثم بكلية الهندسة جامعة عين شمس وإختياره لتخصص الكهرباء محاولاً بذلك تحقيق الحلم، فيما إلتحق مهند بكلية الآثار قسم مصري .

تمر سنوات الكلية ويعود كريم لمصر بعد تخرجه من الكلية وأنتهاء فترة إعارة الوالد، ويستمر هو وهيثم في أبحاثهما لتحقيق الحلم إلى أن ...

- قفز كريم صائحًا بفرحة غامرة : أنا مش مصدق نفسي أخيرًا يا هيثم الجهاز أهوه، حلمنا هايتحقق . حلينا مشكلة الطاقة، حلينا المشكلة، حلينا المشكلة . وأخذ يغنيها حتى ظن هيثم أنه قد فقد عقله .

- صاح هيثم في سعادة : كريم . اوعى تتجنن يابني، إحنا عايزينك . مصر كلها عايزاك يا كيمو . بلادي بلادي بلادي لكي حبي وفؤادي ... ترلم لم . أنا مش مصدق نفسي .



- كريم وهو يغني : مصر هي أمي . ثم مالبث أن عانق هيثم، ثم إستطرد قائلاً : عايزين نظبط الجهاز للغة العربية دي لغتنا وبعتز بيها، وأنت عارف إن مفيش بيني وبين الإنجليزي عمار .

- أمسكه هيثم من كتفيه قائلاً : بص يا كيمو عيب عليك لما تبقى عبقري وماتعرفش إنجليش، وبعدين الجهاز ده هناخد عليه جائزة نوبل، هاناخدها إزاي وماحدش هايفهم فيه حاجة! سيبني بأه أشوف مستقبلنا يا كيمو، أنت عملت الجهاز سيبني أنا آخدك للعالمية، وبعدين هايبقى تغيير بسيط مش هايعمل فرق يعني .

- تنهد كريم قائلاً : ماشي كلامك يا عالمي، طيب اتصل بمهند وخليه يجيلنا على طول علشان نجرب الجهاز ماهو طول عمره التالت بتاعنا، وبيتهيألي مش هايرفض، وهيَّ فرصة يروح للست سوسو، هههههه ..

رن جرس الموبايل الخاص بمهند الذي رد قائلاً :

- مهند : آلو .

- هيثم : مهند إزيك يابني فينك ياعم مش باين ؟

- صاح مهند فرحًا وهو يقول : مش معقول إتش حبيب هارتي، إزيك يابرنس البرانيس، عامل إيه ؟ وأخبار كيمو AKA عبقرينو إيه ؟



- ابتسم هيثم قائلاً : كله تمام الحمد لله . بقولك إيه، فيه موضوع كنا عايزينك فيه بس مش هاينفع نتكلم في التليفون، كل اللي أقدر أقولك عليه إن الموضوع ليه علاقة بحبيبة القلب سميحة الحولة AKA سوسو .

- تنهد مهند : آه سوسو، فكرتني بالأيام الحلوة، على فكرة أنا عمري ما هنسى إن أنا اعتمدت عليك أنت والعبقري علشان تخوفوا الواد يوسف الزبالة وتخلوه يسيب سميحة، راح مكومكم أنتم الإتنين وجه كمل عليا، فضحتونا . صحيح المتغطي بيكوا عرقان .

- هز هيثم رأسه وهو يقول : عرقان إيه وحران إيه ! أولاً إسمها المتغطي بيكو عريان، ثانيًا وده الأهم كله هايتعوض . تعالَ أنت بس النهاردة ومش هاتندم .

- طقطق مهند بلسانه وهو يقول : طيب ممكن نخليها بكره؟ عندي ميعاد بظبط فيه بقالي سنة حرام عليك.

- رد هيثم في سرعة : لأ مش ممكن . الساعة دلوقتي ٤ العصر آخرك معايا الساعة ٨ بالليل . أكون ظبطت شوية حاجات لغاية ماتيجي . هنستناك عند كيمو، ظبط أمورك وإعمل حسابك هات معاك لبس يكفيك يومين، سلام يا دودو .



أغلق هيثم الخط وإلتفت إلى كريم قائلاً : كله تمام يا كيمو، هات الجهاز علشان أظبطه . أنت خايف من إيه ! إيش حال ما كنا شغالين فيه مع بعض خطوة بخطوة !

أمسك هيثم الجهاز وأخذ يعدل اللغة في إعدادات الجهاز. مضى بعض الوقت حتى صاح هيثم فرحًا : أخيرًا .

- زفر كريم في ضيق، ثم إستطرد قائلاً : طيب وريني كده عملت إيه .

- أخذ هيثم يشرح لكريم التغيرات التي طرأت على الجهاز وتغير بعض الأزرار من أماكنها نتيجة تغيير اللغة في نظام التشغيل .

لاحظ علامات القلق على وجه كريم، فقال له مطمئنًا : أنت قلقان ليه ياعبقري ؟ ما أنت شوفت بنفسك إن مفيش تغيير .

- تنهد كريم ونظر إليه قائلاً : لأ فيه، وأنا لسه عند رأيي ما ينفعش نغير قبل التجربة كده محدش عارف إيه اللي ممكن يحصل .

- رن جرس الباب فنظر هيثم في ساعته قائلاً : الساعة ٨، ده أكيد مهند، ياه الوقت عدى بسرعة كده !!

- فتح كريم الباب : أهو مهند أخيرًا وصل . استقبل كريم وهيثم صديقهما استقبالاً حارًا .



- ابتسم كريم ونظر لمهند قائلاً : فينك يا راجل من زمان ؟ كده برضه ولا حتى تليفون !!

- مهند : يعني حد فيكم كان بيسأل يا أندال !! المهم إيه الموضوع المهم اللي كنتم عايزني فيه ؟

- قال كريم في حماس : جاهز للمفاجأة ؟

- مهند بلهفة : إيه جبتوا سميحة ؟

- وضع هيثم يده على كتف مهند قائلاً : يابني هدي نفسك شوية، إحنا معانا اللي هايجيب سميحة من شعرها .

- تَلَفَّتَ مهند حوله في رعب وهو يقول : مين يوسف الزبالة ؟

- تنهد كريم قائلاً : يوسف مين بس يابني، إحنا عملنا آلة الزمن .

- ارتسمت ابتسامة سخرية على وجه مهند وهو يقول : زمن مين يا برنس ؟ آه فهمت دي كدبة إبريل، صح ؟

- كريم : وحياة سميحة لأ .

- بدا التأثر على مهند وهو يقول : ليه كده يا كوكي، حلفت بالغالية ! يعني الموضوع بجد ؟



- هيثم : وحياة خالتك توحة صح .

- أمسك كريم بالجهاز وأخذ يشرح لمهند : بص يا سيدي الجهاز فكرته بسيطة جدًا، هو الجهاز ده اللي شبه الموبايل، بنظبط فيه البيانات، وهو اللي بيفتح دائرة من الطاقة الصافية في الزمكان اللامتناهي لمدة (٢٠) ثانية،وده بيخلينا نتنقل من النقطة (أ) للنقطة (ب) في الفراغ الزمكاني للوصول للنقطة المطلوبة . أما يا سيدي الساعات دي، فبتعمل حاجتين، الحاجة الأولانية بتشتغل مع الجهاز علشان يركزوا الطاقة المطلوبة لفتح الدائرة، والحاجة الثانية إنها بتمنع أجسامنا من إنها تتحول لطاقة وإحنا بنعدي في الممر الزمني، بدل ماتلاقي نفسك بقيت لمبة ولا سخان كهرباء، أنت وحظك . ههههه .

- بدا على وجه مهند عدم الفهم، فغر فاه قائلاً : هه !! ما هو الموضوع شارح نفسه أهوه ياكيمو، لأ بيس، أنا تمام . المهم فين الجهاز ؟

- صدرت من هيثم تنهيدة وهو يقول : يابني حرام عليك أُمَّال كريم بيرغي في إيه من الصبح ! بص يا مهند مش مهم تفهم إحنا هانظبط كل حاجة . في حاجة تانية مهمة لازم تعرفها، إن الجهاز شغال ببطارية زي الموبايل يعني بيحتاج يتشحن .



- مهند مقاطعًا : طيب كويس إن معايا الباور بانك بتاعي محدش ضامن الظروف، ممكن نروح مكان تكون الكهرباء فيه مقطوعة ومانعرفش نشحن .

- قال هيثم وهو يعض على شفتيه : الباور بانك ده تحطه فـ ..

- نظر إليه مهند قائلاً في تحدي : أحطه فين يا هيثم ؟

- تنهد هيثم وهو يقول : في جيبك، يعني بنقولك طاقة صافية ودائرة وحركات وأنت تقولي باور بانك !! يا أخ مهند الجهاز ده مشكلته مش في الشحن لإنه بيشحن نفسه ذاتي من أي حاجة، يعني ضوء - حركة - حرارة، حتى لو حرارة جسمك. يعني بإختصار بيشحن نفسه في جيبك وأنت مش حاسس بأي حاجة .

- مطَّ مهند شفتيه وهو يقول : طيب فين المشكلة بأه ؟

- أجابه كريم : المشكلة إنه لازم يشحن عل الأقل لمدة ٤٨ ساعة علشان يبقى الشحن ١٠٠٪، وفي حالة إنه اتشحن أقل من كده تبقى فيه مشكلة ومش هاتعرف تروح للمكان ولا التاريخ اللي أنت عايزه، لأن الجهاز مش هايعرف يجمع الطاقة اللي محتاجها ويركزها في نقطة بعينها، اللي هي المكان اللي أنت عايز تروحه، وبالتالي الجهاز هايوديك في أي مكان على مزاجه .



- مهند : طيب وإحنا إيه اللي هايخلينا نشحنه سيكا، مانشحنه (Full charge) ونخلص !! ياللا يا كيمو توكل على اللّه، ثم قال محدثًا نفسه : جايلك يا سوسو .

- هيثم مخاطبًا مهند : بتقول حاجة ؟

- هز مهند رأسه نفيًا وهو يقول : لأ مفيش، بقول ياللا بينا .

- هيثم : المهم عايزين نتفق نبدأ التجربة بإيه ؟

- قفز مهند صائحًا : أيوه أيوه أنا عارف، أروح الحق سميحة قبل الواد يوسف ما يعلقها .

- إلتفت كريم إليه قائلاً بنفاذ صبر : يا أخ مهند أنت عايزنا نبدأ تجربة تاريخية بسميحة الحولة ؟ أنا رأيي نخلي سميحة الخطوة الجاية، بس دلوقتي نتفق كلنا على حاجة واحدة نبدأ بيها .

- وضع هيثم يديه على كتفيهما وهو يقول في حماس : إحنا عندنا اختيارات لا نهائية، ميلاد المسيح، بناء الأهرامات، الحرب العالمية، حرب أكتوبر، إغتيال السادات ....

- أطرق كريم برأسه إلى الأرض مفكرًا لبرهة من الوقت، ثم نظر إليهما قائلاً : أنا رأيي نبدأ بحاجة ممكن نغير بيها تاريخ مصر، إيه رأيكم لو رحنا أكتوبر ١٩٨١ ونحذر الرئيس السادات من حادث الإغتيال في المنصة ؟



- قال هيثم في حماس : أنا موافق دي فكرة هايلة وخصوصًا إني بحب الراجل ده الله يرحمه . مع إني متأكد إن التاريخ مش ممكن هايتغير بس مش هانخسر حاجة لما نعمل محاولة. مين عارف مش ممكن نغير تاريخ مصر. إيه رأيك يا مهند؟

- بدا على مهند خيبة الأمل وهو يقول : مش فارقه، أي حاجة. ثم مالبث أن قال : بس أنا عندي طلب، أشغل أنا الجهاز .

- إلتفت هيثم إلى كريم، ثم إلى مهند قائلاً : مفيش مشكلة، كريم هايظبط الجهاز ويوريك تدوس على إيه، الموضوع بسيط.

- كريم محدثًا نفسه : مهند هايدوس ! ربنا يستر .

- نظر مهند لكريم متسائلاً : بتقول حاجة يا كيمو ؟

- كريم : لا يا دودو . ثم أمسك بالجهاز موضحًا لمهند مكان أزرار التشغيل . بعد فترة، خلاص يا دودو تمام ؟

- أومأ مهند برأسه ورفع إبهامه قائلاً في ثقة : تمام يا نجم، يالـلا بينا .

ارتدى ثلاثتهم ساعات الطاقة، وأمسك كريم بالجهاز وقام بتشغيله وخاطب هيثم قائلاً: يبقى هأضبط التاريخ على ٤ أكتوبر ١٩٨١ . آدي أكتوبر وآدي الـ ٤ وكمان السنه أهيه ١٩٨١، ميه ميه . ثم أعطى الجهاز لمهند قائلاً : يالـلا يا مهند دوس على (Enter) ، (OK)



وعندها تألقت الساعات الثلاثة بضوء فيروزي وسمع الجميع صوت فرقعة مكتومة مع ظهور دائرة من الطاقة في الهواء أمامهم، يحيط بها شرارات كهربائية كالبرق مع وجود صوت فرقعات قصيرة تشبه صوت صاعق الكهرباء الذي يستخدمه أفراد الأمن، ظهر التوتر واضحًا على وجه مهند، بينما ظهر الحماس على وجه كل من هيثم وكريم .

- صاح كريم وهو يخطو داخل الدائرة : ياللا يا جماعة تعالوا ورايا .

أمسك هيثم بمهند وعبروا جميعًا إلى داخل الدائرة خلف كريم .

دلف الثلاثة إلى الدائرة وأحسوا بدفقات من الطاقة تخترق أجسامهم وبوخز المئات من الإبر، وبدا لهم أنهم يعبرون نفقًا مظلمًا به نجوم متناثرة من حولهم وأنهم متجهون بسرعة مخيفة إلى نقطة مضيئة في نهاية النفق، وفجأة :

- هيثم صائحًا : إحنا فين ؟ وإيه الصحراء دي كلها ؟ اللّه يخرب بيتك يا كريم، عملت إيه في الجهاز ؟

●●●



- أفاق كريم على صوت مهند قائلاً : بس أنا مش عايز أمشي من هنا .

- هيثم بعصبية : خلاص خليك أنت، أنا عن نفسي هامشي واللي عايز يقعد خليه قاعد .

- كريم : ماينفعش حد يقعد، لازم كلنا نمشي مع بعض، أقول لخالك إيه سيبناك عند الشيخ نعمان !!

- صباح الخير يا أبنائي، ماذا تريدون من الشيخ نعمان ؟

- كان هذا صوت الشيخ نعمان الذي كان واقفًا بباب الغرفة، وأضاف وهو مبتسم :أنتم ضيوفنا ونحن جميعًا في خدمتكم.

- هب هيثم واقفًا : ألف شكر يا شيخ نعمان، ده إحنا كنا لسه بنتكلم عن كرم الضيافة، ده حتى مهند مش عايز يمشي من هنا .

- نظر الشيخ نعمان إلى مهند وهو يقول : مرحبًا بمهند وبكم جميعًا، يمكنم البقاء كما تريدون . تفضلوا بالجلوس، ثم خاطب مهند : لم لا تجلس بجانبي يا مهند يا ولدي .

- ابتسم مهند وهو يقول : يا شيخ نعمان ده إحنا لينا الشرف. همَّ مهند بالجلوس إلا أنه أحس بأنه جلس على شيء ما غير



الوسادة، فنظر للخلف فوجد الشيخ نعمان يسحب يده من أسفله .

- ابتسم نعمان وهو يقول لمهند : معذرة ياولدي فقد كنت أحاول أن أرتب لك الوسادة حتى تستريح في جلستك .

- ارتفع حاجبا مهند في دهشة وهو يقول : حضرتك بتعدلي الكوشن بنفسك !! ده كتير والله، ثم نظر إلى هيثم وهو يهمس : ناس ولاد حلال قوي . أنا مش ماشي من هنا .

- أمر الشيخ نعمان خادمه أن يأتي للشباب بالعصير، أما هو فيفضل مشروب القرفة بالجنزبيل على أن يكون الجنزبيل طازجًا . فانصرف الغلام لتنفيذ أوامر الشيخ .

- وضع الشيخ نعمان يده على فخذ مهند قائلاً : أنا في شوق لسماع قصتكم يا مهند، وكلي آذان مصغية .

- مهند مبتسمًا : زي ما قولنا لحضرتك إمبارح إحنا من مصر.

- بدا على وجه الشيخ نعمان إمارات الدهشة وهو يقول : لكنه طريق طويل من مصر، فكيف جئتم إلى هنا ؟ وملابسكم غريبة، ثم أمسك بيد مهند مضيفًا : كما أن يداك ناعمتان، ماذا تضع عليهما ياولدي ؟ أهو اللبن الرايب ؟



- ابتسم مهند إبتسامة بلهاء وهو يقول : لا والله ياشيخ نعمان ده كده طبيعي، بس ده يمكن من الشاور جيل بتاعي، باستعمل دايمًا اللي باللوز . هههههه .

- الشيخ نعمان متسائلاً : هه !! شاو... ماذا ؟

- تبادل هيثم وكريم النظرات ثم قال كريم : يا شيخ نعمان هو مهند كده بيحب يهزر دايمًا، بالمناسبة هو النهاردة إيه ؟

- نظر إليه نعمان في إستغراب قائلاً : ماذا تقصد يا ولدي ؟

- رد هيثم قائلاً : قصده النهاردة إيه ؟ يعني النهاردة كام في الشهر ؟ سنة كام ؟ معلش أصل الرحلة كانت طويلة شوية فنسينا حاجات كتير . جلَّ من لا يسهو .

- ظهرت علامات عدم الفهم على وجه الشيخ نعمان للحظات ثم قال : حقيقة لا أفهم حرفًا مما تقول ثم نظر إلى مهند يسأله وهو يضع يده حول كتفيه : هلا فسرت لي ما يقصدانه يا مهند ؟

- مهند بإبتسامة واثقة : بس كده ! سيبولي بأه الطلعة دي . ثم نظر إلى هيثم وكريم : يا جماعة لازم تكلموهم بلغتهم، اتعلموا بأه . ونظر إلى نعمان مخاطبًا إياه : إنهم يقصدونك أن يسألوك عن تاريخ اليومي، الـ (Date) يعني .



- ابتسم نعمان وهو ينظر إلى مهند بحنان، ثم إلتفت إلى هيثم وكريم قائلاً : لقد فهمت، أتقصدون تاريخ اليوم ؟

- رد ثلاثتهم بلهفة في صوت واحد : نعم .

- قال نعمان : اليوم هو السابع والعشرون من شهر صوان بعد ثلاثمائة وسبع عشرة عامًا من الطوفان العظيم .

- نظر هيثم إلى كريم نظرة يملؤها الدهشة قائلاً : إيه اللي بيقوله ده، طوفان إيه ! أنت فاهم حاجة ؟

- كريم : الظاهر كده إن إحنا رجعنا زمان قوي يعني قبل التاريخ، بيتهيألي كده إن ده الطوفان بتاع سيدنا نوح عليه السلام . طيب المنطقة دي إسمها إيه ؟

- قطع تساؤلاتهما دخول الخادم بأكواب العصير والمشروب الساخن للشيخ نعمان ووضعهم على الطاولة فسأله الشيخ: طازج ؟ فأومأ الخادم برأسه إيجابًا، فقال الشيخ للشباب : تفضلوا . إرتشف نعمان رشفة من كوبه بتلذذ ورفع حاجبيه وهو ينظر إلى مهند، ثم ابتسم إبتسامة تنم عن الرضا .

- إرتشف هيثم رشفة من العصير وبصقها بسرعة قائلاً للشيخ نعمان : إيه ده ! دي خمرة !

- رد نعمان قائلاً : نعم يا ولدي ومن أفضل أنواع العنب الأحمر، فأنتم ضيوفنا .



- كريم : معلهش ياشيخ نعمان إحنا ما بنشربش خمرة .

- نظر نعمان لمهند نظرة حانيه قائلاً : وأنت يا ولدي ألن تشرب ولو كوبًا واحدًا ؟

- أجابه مهند في توتر : هـه، أه معلش يا شيخ نعمان أنا آخر مرة شربت خمرة جابتلي إمساك فظيع آخر حاجة، وأنا بصراحة بقالي يومين ما دخلتش الحمام . ربنا يكفيك شر الإمساك بأه . ههههه

- بدت علامات الضيق على وجه نعمان وهو يقول : أتحبون أن أحضر لكم بعض الحليب ؟

- أجابه هيثم : لأ إحنا كده تمام، ألف شكر . أنا هأخذ الشباب نتمشي ونتفرج على القرية شوية .

- ظهرت علامات الضيق على وجه الشيخ نعمان وهو يقول: على راحتكم، سأنتظركم بعد نهاية جولتكم. ثم نظر إلى مهند نظرة مستعطفة وهو يسأله : وأنت يا مهند، ستذهب معهما أم ستبقى معي هنا لتقص عليَّ قصتكم ؟

- نظر مهند للشيخ ثم إلى صديقيه مترددًا : طيب خلاص أنا هاستنى هنا مع حضرتك، أنا أصلاً ما ليش في المشي والجو حر.



- ابتسم نعمان وربت على فخذ مهند وهو يقول : زين العقل يا ولدي .

- جز هيثم على أسنانه قائلاً : يابني تعال معانا نتفرج على القرية، مش هانشوفها تاني .

- زفر كريم في ضيق وهو يقول لمهند : يا بني تعالَ معانا وهنرجع بسرعة، يعني لفة صغيرة مش أكتر من ساعة .

- طقطق مهند بلسانه وهو يقول : لا ياعم الجو حر، وأضاف هامسًا وأنا بصراحة عندي إمساك ومش هأقدر أمشي، يمكن ربنا يسهلها وأخش الحمام . هههههههه .

- كتم هيثم غيظه وأشاح بيده وهو يقول : براحتك، خلاص هانخلص ونرجعلك .

انطلق هيثم وكريم يتجولان في سوق القرية يتفقدان الأقمشة والمشغولات اليدوية ويتجاذبان أطراف الحديث . شعرا كأنهما في أحد الأفلام التي تصور حياة البدو قديمًا .

كان السوق بالرغم من صغر حجمه وبساطته، إلا أنه يحتوي على العديد من المشغولات اليدوية التي لفتت أنتباههما .

- أمسك هيثم بقطعة من القماش يتفقدها وهو يقول : معرفش الواد الأهبل ده ماجاش معانا ليه ؟



- كان كريم يتفحص قطعة من الحلي الخاصة بالنساء ويبدي إعجابه بدقة صنعها، ثم قال : خليه هو حر يا هيثم، وأردف متسائلاً : أنت مش ملاحظ يا هيثم إن الستات عمالين يبصولنا بصات غريبة ويضحكوا ! فينكم يا بنات مصر تيجوا تشوفوا الستات هايكلونا بعنيهم . هههههه .

- اقتربت منهم إمرأة تلتف بملاءة سوداء وتغطي وجهها ولا يظهر منه إلا عينيها . تلفتت حولها لتتأكد من عدم وجود من يراقبهم . قالت لهم وهي تهمس : اتبعوني .

- نظر كريم إلى هيثم في إستفسار قائلاً : عايزه إيه دي ؟ إيه رأيك يا هيثم يكون كمين ؟

- إلتفت إليه هيثم وهز رأسه نفيًا وهو يقول : ما إعتقدش، بس غريبة دي يا ترى عايزه إيه !

- توقفت المرأة بجوار أحد محال بيع ملابس النساء وأشارت لهما أن يتبعوها . لاحظت ترددهما فكشفت عن وجهها لتبث فيهما الطمأنينة . ثم أشارت لهما أن يتبعوها .

- مضت فترة من التردد ثم حسما أمرهما ولحقا بها، كانت إمرأة في العقد الثالث من العمر، بها لمحة من الجمال، متوسطة الطول . تخفي ملابسها تفاصيل جسدها . نظرت



إليهما وبصوت أقرب إلى الهمس سألتهما : ما الذي آتى بكم إلى هنا ؟ انجوا بأنفسكم قبل أن يحدث مالا يحمد عقباه .

- قطب كريم حاجبيه وهو يسألها : إنتي مين؟ وإيه اللي بتقوليه ده ؟ ونهرب من إيه بالظبط ؟

- المرأة : إن اسمي هو هند، وقد جئت إلى هنا مع أخي منذ بضعة سنوات، في البداية إستقبلنا القوم إستقبالاً حافلاً وأقاموا لنا الولائم . أقنعونا بالإقامة معهم، ثم حدث ما حدث مع أخي، فحاولنا الفرار عدة مرات، وفي كل مرة يمسكون بنا ويعيدوننا ويعذبوننا وقد كدت أن ألقى حتفي في آخر مرة .

- سألها كريم : طيب وهم بيعملوا معاكي كده ليه ؟ ما اللي عايز يمشي يمشي .

- صدرت عنها ضحكة متهكمة وهي تقول : لست أنا من يريدون، إنهم يريدون أخي، ولذلك لا يتركوننا نرحل .

- بدا هيثم مندهشًا وهو يسألها : يعني إيه الكلام ده ؟ وإشمعنى يعني أخوكي اللي عايزينه ؟

- زفرت هند في ضيق وهي تقول : لأنه رجل .

- قطب كريم حاجبيه وهو يقول : إيه الكلام الغريب ده ! يعني إيه علشان راجل ! والشيخ نعمان يعرف الكلام ده ؟



- ردت هند بسخرية : هه، الشيخ ... نعمان ! لا يحدث شيء في القرية إلا بأمرٍ من الشيطان نعمان .

- بدا على كريم الإنزعاج وهو يقول : شيطان ! أعوذ باللّه .

- رفعت هند حاجبيها في دهشة قائلة : اللّه !! إنك تتحدث مثل الشيخ لوط !

- سألها كريم : مين الشيخ لوط اللي بتتكلمي عليه ؟

- تنهدت هند وهي تقول : إنه أحد كبار رجال القرية ولكنه لا يفعل مايفعلونه، ودائمًا ما يدعونا لفعل الصواب وعبادة اللّه. ليتهم يستمعون إليه .

- تردد الإسم في عقل هيثم (لوط، لوط، لوط) ومعه بعض الومضات (نوفل : ستجدون ما يسركم هههههه، ناموا جيدًا فغدًا ينتظركم يوم حافل فرجال القرية يتحرقون شوقًا للقائكم – الشيخ نعمان وهو يسحب يده من أسفل مهند وهو يقول مبتسمًا : معذرة ياولدي فقد كنت أحاول أن أرتب لك الوسادة حتى تستريح، يديك ناعمتان، ثلاثمائة وسبع عشرة عامًا من الفيضان العظيم، الجنزبيل طازج طازج .....)

- أنتزعه من أفكاره صوت هند : ودائمًا ما ينهاهم عن حبهم للرجال دون النساء .



- كريم متوترًا : ما داهية يكون اللي في بالي .

- صاح هيثم : يانهار أسود، هو اللي في بالك يا كريم .

- آآآآآآآآه، يالهوييييي . كأنت هذه صرخة مهند آتية من عند الشيخ نعمان .

- كريم وهيثم في صوت واحد : مهند .

- اندفع الإثنان بأقصى سرعة إلى بيت الشيخ نعمان، دفعا الباب ليجدا الخادم واقفًا بباب إحدى الغرف وممسكًا بملابس مهند في يده، وصوت مهند آتيًا من الداخل .

- فتح كريم الباب في عنف ليجد مهند جالسًا في حوض الاستحمام وفتاة صغيرة تصب عليه الماء .

- مهند صائحًا : إيه ده يا كريم مش تخبط يا أخي !! ينفع كده تخش عليا وأنا بستحمى !!

- صاح فيه كريم بعصبية : بتستحمى إيه وزفت إيه !! أُمَّال الصويت ده كان إيه ؟

- ابتسم مهند : آه الصويت، هو أنتم سمعتوني ! ههه أصل المياه ساقعة شوية، سوسو وهي بتدلق عليا الميه ما استحملتش، مش كده يا سوسو . فهزت الفتاة رأسها إيجابًا .



- زفر هيثم وكتم غيظه وهو يقول : يااارب، سوسو مين يابني؟

- أشار مهند للفتاة : سوسو دي، ماهي قالتلي اسمها بس طلع صعب أوي فقلت أمشيها سوسو . ودلوقتي اتفضلوا اطلعوا بره علشان عايز أنشف وألبس هدومي، وإنتي كمان يا سوسو ما ينفعش أقوم قدامك كده، ممكن باباكي يتهمني بالـ (Child abuse) وأنتي مايخلصكيش . هههههههه

- خرج مهند بعد إرتداء ملابسه فبادره هيثم بالسؤال : ممكن تفهمني فين نعمان ؟ وحضرتك بتستحمى ليه دلوقت ؟

- نظر إليه مهند في دهشة قائلاً : نعمان حاف كده !! ثم أردف: جاله تليفون بعد ماخرجتوا وطلع جري على مجلس القرية .

- كاد صبر كريم أن ينفذ وهو يقول : تليفون إيه يابني ! أنت عبيط !

- أشاح مهند بيده في الهواء وهو يقول : يووووه ماشي يا سيدي، جاله مرسال من المجلس وطلع جري، وهو اللي قاللي أستحمى بمياه ساقعة علشان الإمساك اللي عندي،ها إرتحت يا سيدي ؟

- أمسكه هيثم من يده وهو يقول : طيب تعال معانا علشان في موضوع مهم عايزينك فيه .



- قال مهند : ماشي، ثم لوح للفتاة بيده وهو يقول : باي يا سوسو،هاجيلك تاني .

- اجتمع الثلاثة في غرفتهم وسردوا لمهند كل مادار مع المرأة في السوق وكل الدلائل التي تؤكد أنهم الآن موجودون عند قوم لوط .

- صمت مهند مفكرًا ثم سألهم : قوم لوط، قوم لوط ؟ أنتم متأكدين يا جماعة ؟

- أومأ هيثم برأسه قائلاً : أيوه يا سيدي متأكدين ١٠٠٪ .

- رفع مهند كتفيه قائلاً : طيب يا جماعة إيه المشكلة ! إحنا مش هانشترك معاهم في دبح الناقة .

- جز كريم على أسنانه وهو يقول : ناقة مين يا بني ! اللي دبحوا الناقة دول كانوا قوم سيدنا صالح عليه السلام، مش دول.

- قال مهند في براءة : مش بتوع الناقة ؟

- كاد صبر هيثم أن ينفذ وهو يقول : لأ مش بتوع الناقة . بتوع حاجة تانية .

- سأله مهند : أمال بتوع إيه ؟ بتوع فرعون ؟



- انفجر هيثم صارخًا : أيوه هم، هم قوم لوط بتوع فرعون، هم اللي بيربوا التعابين . اللّه يخرب بيتك .

- وضع كريم يده على كتف هيثم قائلاً : إهدى بس يا هيثم . بص يا أخ مهند وركز معايا شوية، قوم لوط دول اللي كانوا بيحبوا الرجالة أكتر من الستات، وكانوا بيعملوا فيهم حاجات وحشة .

- قاطعه هيثم صائحًا في مهند : مش أنت عندك إمساك . دول بأه هايجيبولك إسهال . دول (Gays) يا دودو يابو شاور جل باللوز .

- سأله كريم : فهمت يا أخ مهند، ولا نندهلك نعمان يفهمك .

- قفز مهند صارخًا : بيحبوا الرجالة، لأ كله إلا كده، أقول لسوسو إيه ؟ فتحت الفرع الخلفي!

- أشاح هيثم بيده قائلاً : اللّه يخرب بيتك على بيت سوسو بتاعتك، ارحمنا بأه . المهم يالا بسرعة لموا حاجتكم علشان نطير من هنا، الجهاز فاضله قد إيه ويشحن يا كريم ؟

- نظر إليه كريم قائلاً في توتر : لسه بكره الصبح .



- هيثم : الصبح ! هم هايسيبونا للصبح ! إحنا نمشي من هنا بأي طريقة ونبيت في الصحراء لحد الصبح لما الجهاز يشحن .

- جمع ثلاثتهم أشياءهم وفتحوا الباب ليخرجوا ففوجئوا بنوفل وبشير والأدهم أمام الباب .

- نظر إليهم نوفل وعلى وجهه إبتسامة خبيثة وهو يقول : إلى أين أنتم ذاهبون ؟

- أجابه هيثم في سرعة : هنأخذ جولة في القرية علشان زهقانين .

- نوفل : لقد أوشك الليل، وقد أمرني الشيخ نعمان ألا تغادروا الغرفة حرصًا على سلامتكم من الذئاب التي تتجول في القرية مع حلول الظلام . ويقترح عليكم أن تستريحوا لتتمكنوا من الصمود في حفل الليلة فالحفل حفلكم .

- بدا الخوف والتوتر على وجه مهند وهو يقول : يعني الحفلة علينا النهاردة ؟

- مطَّ نوفل شفتيه في عدم فهم، قائلاً : ماذا !! لا أفهم ماذا تقول ولكن من الواضح أن الشيخ نعمان يَكِنُّ لكَ معزة خاصة فقد أعد لك مفاجأة في الحفل . قالها ثم أغلق الباب .



- سمعه كريم وهو يعطي أوامره للأدهم وبشير بألا يغادرا مكانيهما أمام الباب والنافذة، وأن يمنعوا دخول أوخروج أي شخص إلا بعد إستئذان الشيخ نعمان شخصيًا .

ظهر التوتر على هيثم وهو يتجول في الغرفة ذهابًا وإيابًا بينما خيم الصمت على مهند وكريم .

- قطع كريم الصمت بقوله : أكيد فيه حل، مش ممكن عقول ناس من قبل التاريخ هايغلبوا عقول من القرن الواحد وعشرين .

- زفر هيثم في ضيق : عقول إيه بس! هم دول عندهم عقول خالص ! ثم نظر إلى مهند قائلاً : بتعمل إيه يا مهند ياحبيبي؟

- إلتفت إليه مهند قائلاً: بدوَّر على الولاعة كأنت معايا معرفش راحت فين؟

- تنهد كريم وهو يقول : يعني هو ده يا مهند وقت سجاير ! حرام عليك يا أخي هنلاقيها منك ولا من نعمـ... صمت فجأة ثم قفز صائحًا برافو عليك يا مهند، هو ده الحل، الولاعة .

- نظر كلاً من هيثم ومهند بدهشة إلى كريم . الذي خاطب مهند قائلاً : أنت عبقري .



- مهند: عارف عارف، علشان تعرفوا بس إن العلم في الرأس مش في القرطاس .

- هز هيثم رأسه وهو يتهد قائلاً : مفيش فايدة، لازم يبوظ اللحظة . ممكن يا أخ مهند تتقطنا بسكاتك شوية، وتسيب كريم يتكلم علشان نشوف فكرته ؟

- قال كريم في حماس : بصوا يا جماعة الفكرة بسيطة جدًا، هنجمع أي حاجة ممكن نولعها ونحطها تحت الشباك من جوه، ونستنى لما الدنيا تضلم شوية وهوب حريقة ونصرخ .

- مع حلول الظلام اندلعت النيران في بعض الملابس والقش المستخدم كمراتب للنوم وتصاعدت الأدخنة والنيران من الشباك مع تعالى صراخ الشبان الثلاثة : حريقة ... حريقة .

- انفتح الباب ودخل الأدهم وبشير وبعض من رجال القرية على أثر الصراخ وبدأوا بإطفاء الحريق الذي إمتدَّ ليشمل الغرفة كلها .

- صاح هيثم : بسرعة يا كريم يالـلا بينا وهم مشغولين . فين مهند ؟ تلفت حوله، فوجد مهند يساعد الرجال في إطفاء الحريق . جذبه من قميصه صارخًا : اللّه يخرب بيتك . بتعمل إيه ! يالـلا بينا بسرعة .



- خرج الثلاثة مسرعين من الدار وهم يركضون إلى خارج القرية مستغلين حلول الظلام، وفجأة صاح أحدهم : إنهم يهربون إلحقوا بهم .

- ترك الرجال الدار المحترقة وأمسك كلٍ منهم بشعلة وجروا خلف الشبان الثلاثة .

- إلتفت هيثم للخلف وهو يركض ثم قال في توتر : هايحصلونا، هانعمل إيه يا كريم ؟

- كاد الرعب أن يقتل كريم الذي صاح : الجهاز لسه ماشحنش ولو مسكونا مش هايرحمونا .

- صرخ مهند في رعب : لأ أبوس إيديكم، شغل الجهاز يا كريم أي مكان هيبقى أحسن من هنا، شغله يا كرييييم .

- كاد الرجال أن يدركوهم عندما صرخ هيثم في كريم : كريم شغل الجهاز، الموت أحسن من هنا .

- وبسرعة قام كريم بتشغيل الجهاز وضغط على الأزرار، وتألقت الساعات الثلاثة بضوء فيروزي وسمع الجميع صوت فرقعة مكتومة وظهرت أمامهم دائرة الطاقة في الهواء محاطة بشرارات كهربائية مع صوت فرقعات قصيرة وقفز الثلاثة داخل الدائرة .



الفصل الثاني



الفصل الثاني

قفز الثلاثة إلى الدائرة، ومرة أخرى أحسوا بدفقات الطاقة تخترق أجسامهم وبوخز المئات من الإبر، وهم يعبرون النفق المظلم ذو النجوم المتناثرة ويحيط بهم الصمت المطبق وهم يتجهون بسرعة إلى نقضة مضيئة في نهايته، وما أن وصلوا إليها حتى وجدوا أنفسهم يسقطون على أرض خشبية خففت من وطأة السقوط . استلقوا على ظهورهم يلتقطون أنفاسهم وينظرون إلى السماء الملبدة بالغيوم وضوء القمر يحاول على استحياء أن ينفذ من خلالها، إلا أن محاولاته باءت بالفشل . مضت بضع دقائق يغلفها الصمت، اعتدلوا بعدها جالسين ينظرون إلى بعضهم البعض غير مصدقين بنجاتهم . يحاولون أن يتأكدوا أنهم بالفعل قد غادروا قرية سدوم إلى غير رجعة .

- قطع هيثم الصمت قائلاً : الحمد لله، فلتنا، ده إحنا كنا هأنتظبط .

نظروا لبعضهم البعض وأنتابتهم نوبة من الضحك الهيستيري.

- تلفت كريم حوله في حذر، كان الظلام يحيط بهم تتخلله إضاءة خافتة تصدر من أعمدة إنارة متفرقة من حولهم . سأل رفيقاه : إحنا فين ؟



- هيثم : إحنا شكلنا كده على مركب، على اللّه ما تطلعش مركب قراصنة، يا خوفي، مش ناقصة .

- صاح مهند فرحًا : مركب ! أيوه كده بأه، كان نفسي من زمان أعمل نايل كروز، المرة دي جت في الجون.

- هيثم مقاطعًا : جون إيه ونايل كروز إيه يا بني ! إحنا مش رايحين رحلة الأقصر وأسوان، بص حواليك كده، ده شكل النيل ؟

- نظر كلاً من مهند وكريم حولهما إلى الظلام الحالك الذي يحيط بهم من كل جانب، وقال كريم : عندك حق ده مش النيل طبعًا، طيب إحنا فين ؟

- قال مهند مقاطعًا : أفّ، مش معقول القرف ده، مش عارف إيه موضوع الشبكة معايا ! يعني لو فيه شبكة مش كنا عرفنا إحنا فين دلوقتي !

- هيثم بغيظ : صبرني يااارب، أيوه يا مهند يا حبيبي هو فعلاً العيب في الشبكة، يعني بغض النظر إننا مش عارفين إحنا سنة كام، تفتكر يا أخ مهند هايبقى فيه شبكة في وسط البحر؟ ليه، حاطين البرج ف ...

بففففففت



- كريم : اللّه يقرفك، حرام عليك يا مهند، إتعمينا يا أخي.

- أمسك مهند ببطنه وضم ركبتيه وتقلصت قسمات وجهه وهو يقول : سوري يا جماعة، مش قادر . بسرعة عايز حمام ضروري، أنا قولتلكم أهوه وأنتم أحرار .

- كريم : تعالوا نلف لفة كده ونشوف إحنا فين، ويمكن نلاقي حمام للأخ مهند بدل ما يبهدلنا .

أخذ الثلاثة يتنقلون داخل الباخرة وبدا عليهم الانبهار بضخامتها ومظاهر الترف الواضحة فيها، والركاب ينظرون إليهم بدهشة . وجدوا أنفسهم أمام سلم يقود إلى أسفل الباخرة فنزلوه.

- هيثم : أكيد هنلاقي حمام تحت هنا . أشار بيده إلى باب وهو يقول : اتفضل يا عم الأمور حمام أهوه .

أسرع مهند داخل الحمام وأغلق الباب، سمع هيثم وكريم صوت عزف موسيقى وضحكات رجال ونساء، فاتجها إلى مصدر الصوت فوجدا مجموعة من الركاب يوحي مظهرهم بالبساطة يقومون بالترفيه عن أنفسهم بالرقص والغناء، وقف الإثنان يتابعان مايحدث بشغف .

- (دي أول مرة أشوفكم ، أنتم من هنا ؟)



نظـر الإثنـان ناحيـة الصـوت فوجـدا شـابًا أشـقر في مقتبـل العمـر ذو بشـرة بيضـاء وعينـان زرقاوتـان . أملـس الشـعر، متوسـط الطـول يرتـدي الكاسـكيت، لا تـدل ملابسـه علـى البسـاطة فقـط بـل أنـه ينتمـي للقـرن التاسـع عشـر أو أوائـل القـرن العشـرين علـى أقصـى تقديـر، تعلـو وجهـه إبتسـامة ودودة ويمـد يـده إليهمـا مصافحًـا قائـلاً بالإنجليزيـة : (أهـلاً أنـا إدوارد)

- مد هيثم يده مصافحًا : أنا هيثم وده كريم .
- إدوارد : (آسف، إيه ؟)
- إسـتدرك هيثـم قائـلاً بالإنجليزيـة : (معلهـش، أنـا هيثـم وده كـريم)
- إدوارد : (أنتم مش من هنا، مش كده ؟ أنتم منين ؟)
- يااااه الواحد كان خلاص هايموت، كنت مزنوق زنقة السلاب.
- إلتفتوا جميعهم إلـى مهنـد الـذي أخـذ يعدل من ملابسـه وظهرت علـى وجهـه علامـات الراحـة، فيمـا تمالـك هيثـم أعصابـه قائـلاً وهـو يجـز علـى أسـنانه : إرحمنـا يـارب .
- كـريم : سـلاب مـين يابنـي ! يعنـي هـو علشـان بتـاع حمامـات وسـيراميك يبقـى إسـمها كـده !



- مهند : أمال إسمها إيه يا نجم ؟ اتفضل إفتي . ثم نظر إلى إدوارد قائلاً : قولنا إسمها إيه حضرتك ؟

- إدوارد في تساؤل : (هه ؟)

- وضع هيثم يده على كتف مهند ونظر إلى إدوارد قائلاً : (ده صاحبنا مهند، التالت بتاعنا)، ثم إلتفت إلى مهند : ده إدوارد يا أخ مهند والحمد لله مابيعرفش عربي علشان الفضايح .

- مد مهند يده مصافحًا إدوارد قائلاً : (أهلاً وسهلاً، فرصة سعيدة يا إدوارد)

- ارتسمت إبتسامة ودودة على وجه إدوارد وهو يقول : (أنا أسعد، سعيد إني قابلتكم)، ثم إلتفت إلى كريم متسائلاً : (بس أنتوا ماقولتوليش، أنتوا منين ؟ لبسكم غريب شوية، شكلكم مش من هنا، دي الدرجة الثالثة على فكرة)

- نظر كريم إلى إدوارد وصمت لبرهة من الوقت قبل أن يقول: (كله تمام، شكرًا)

- انفجر مهند ضاحكًا وهو يقول متهكمًا : بسم الله الرحمن الرحيم، الإجابة تونس .



إيه يا كيمو هو الراجل بيسألك عن صحتك، ده بيقولك أنتم منين، شكلنا غريب مش من هنا .

- رمقه كريم في غيظ قائلاً : ماخلاص يا بتاع السلاب أنت كمان، مش ناقصاك يا أخي، ما أنتم عارفين إن مافيش بيني وبين الإنجليزي عمار .

- قال هيثم وهو يكتم ضحكته مخاطبًا إدوارد :(إحنا من مصر، وجايين من مكان بعيد جدًا وبنحاول نرجع مصر تاني)

- ظهرت علامات الدهشة على إدوارد وأردف قائلاً : (مصر! بلد الأهرامات ! أنا سمعت عنها كثير بس عمري ما زرتها،أتمنى تيجي لي فرصة أزورها قريب)

- هيثم : (أهلاً بيك في أي وقت، بالمناسبة هو تاريخ النهاردة إيه ؟)

- إدوارد : (النهاردة ١٢ نوفمبر)

- نظرا مهند إلى كريم متسائلاً : ١٢ نوفمبر سنة كام ؟

- مط كريم شفتيه قائلاً : أنت بتسألني أنا ! ما تسأله هو يا مهند .

- إلتفت مهند لإدوارد يسأله : (سنة كام يا إدوارد ؟)



- إدوارد مندهشًا : (أنتم مش عارفين إحنا سنة كام ! إحنا سنة ١٩١٢)

- نظروا لبعضهم البعض، واقترب مهند من رفيقيه ثم قال هامسًا : ١٩١٢، طيب الحمد للّه . أظن هنا مفيش قوم لوط، ولا إيه يا جماعة ؟

- نظر كريم إلى مهند قائلاً : هو أنت موطي صوتك ليه يا مهند! إذًا كان الأخ مابيعرفش عربي .

- تجاهلهما هيثم ونظر إلى إدوارد وحاول أن يكون مقنعًا وهو يقول : (لأ عارفين طبعًا، أصل إحنا في مصر بنستخدم التقويم الهجري مش الميلادي، مش كده يا جماعة ؟)

- أومأ مهند برأسه، فيما أجاب كريم في سرعة : (آآ.. آه صح، مظبوط)

- ظهرت علامات الفهم على وجه إدوارد وقال : (آه، أنتم بتستعملوا تقويم مختلف. تمام، علشان كده بتسألوا عن السنة)

- رد مهند : (صح، هو كده بالظبط)

- أشار إدوارد إلى المجموعة التي تقوم بالغناء والرقص قائلاً: (لو عايزين، تعالوا معايا أعرفكم على أصحابي، يمكن تحبوا تقعدوا معانا شوية ترفهوا عن نفسكم، علشان السفينة



مافيهاش ترفيه أصلاً، هي مليانة إنجليز من بتوع الطبقة الراقية، ودول طبعًا مالهمش في الهزار ولا الترفيه)

- قام هيثم بترجمة ماقاله إدوارد، ثم وجه حديثه لإدوارد مبتسمًا : (ده شيء يسعدنا يا إدوارد، إحنا فعلاً محتاجين شوية ترفيه بعد اللي حصلنا)

انضم الجميع إلى المجموعة التي كأنت منهمكة في الموسيقى والغناء وتتعالى ضحكاتهم وصيحاتهم وهم يشكلون دائرة يتوسطها الراقصون من الشباب والفتيات الذين يقضون وقتًا ممتعًا وهم يتراقصون على إيقاع الموسيقى التي ملأت أرجاء المكان . سرعان ما اندمجوا معهم وأخذوا يصفقون بإستمتاع .

كان كريم فاغرًا فاه يحدق إلى إحدى الحسناوات في منتصف الدائرة والتي بهرته برشاقتها وهي تتحرك بمرونة مع إيقاع الموسيقى السريع، كان يراقصها شاب يحاول جاهدًا أن يجاريها في خطواتها، إلا أنه لا يستطيع . كأنت الفتاة في العقد الثالث من العمر، بيضاء البشرة ممشوقة القوام ذات وجه طفولي يعلوه شعر أحمر ناري مجعد يصل طوله إلى منتصف ظهرها، ترتدي فستانًا طويلاً أزرقَ اللون، على الرغم من بساطته إلا أنه يدل على تمتع صاحبته بذوقٍ راقٍ . كأنت حسناء بكل ماتحمله الكلمة من معاني، كما بدا واضحًا أنها تستمتع بوقتها إلى أقصى درجة.



نظـرت الفتـاة إلـى كـريم وابتسـمت وهـي تشـير لـه لكـي ينضـم إليهم. أخذ كريم يهز رأسه مشيرًا بيده أنه لا يعرف الرقص، اندفعت الفتـاة مـن وسـط الدائـرة في إتجـاه كـريم وسـحبته مـن يـده إلـى داخل الدائـرة، فيمـا لـم يبـدر مـن كـريم أيـة مقاومـة، بـل بـدا عليـه كأنـه منومٌ مغناطيسـيًا، وقـد ارتسـمت علـى وجهـه إبتسـامة بلهـاء .

تبـادل هيثـم ومهنـد النظـرات وعلـت علـى وجـه مهنـد إمـارات الدهشـة، بينمـا مـطَّ هيثـم شـفتيه في اسـتغراب، حيـث أنـه يعـرف كـريم حق المعرفة ويعرف أنه لـم يرقـص في حياتـه قط أوعلـى الأقل لـم يراقـص فتـاة مـن قبـل. تعالـت ضحـكات الجميـع وهـم يـرون كـريم وهـو يقفـز لأعلـى وأسـفل ويحـرك يديـه في الهـواء محـاولاً أن يرقـص علـى أنغـام الموسـيقى في حـين توقفـت الفتـاة عـن الرقـص وأخـذت تصفـق بيديهـا تشـجيعًا لـه، وارتسـمت علـى شـفتيها إبتسـامة .

- قـال هيثـم لمهنـد في سـخرية : مـش عـارف ليـه المنظـر ده بيفكرنـي بالقرداتـي اللـي كنـا بنشـوفه في أفـلام زمـان وكان معـاه قـرد بيخليـه كل شـوية يعمـل عجـين الفلاحـة .

- أومـأ مهنـد برأسـه مؤمنًـا علـى كلام هيثـم قائـلاً وهـو يضحـك: واللّه يـا هيثـم عنـدك حـق، بقالـي فتـرة عمـال أفكـر شـوفت المنظـر ده فـين قبـل كـده ! هههههـه . إلا قولـي يـا هيثـم، يعنـي إيـه قرداتـي؟



- دفعه هيثم بيديه صائحًا : قوم من جنبي يا مهند كفاية كده، حرام عليك هاتجيبلي شلل أطفال .

- مهند : طيب ياعم ماتزقش، يعني هو السؤال حُرُم !

- توقفت الموسيقى والرقص وأخذ الجميع يضحكون بينما جاهد كريم لإلتقاط أنفاسهِ، ونظر إدوارد لهيثم قائلاً : (بيتهيألي كفاية كده النهاردة، الشمس خلاص قربت تطلع، وأظن أنكم برضو تعبانين وعايزين تريحوا) ثم أضاف وإبتسامة تعلو وجهه مشيرًا إلى كريم : (خصوصًا صاحبكم، بس تعالوا معايا الأول أعرفكم بأصحابي)

إصطحب إدوارد هيثم ومهند إلى مجموعة العازفين والراقصين الذين جلسوا يتبادلون أطراف الحديث مع بعضهم البعض، وجلس كريم بينهم محاولاً إلتقاط أنفاسه .

- رفع إدوارد يده بالتحية لأصدقائه قائلاً : (إزيكم يا جماعة، إيه الأخبار ؟ بصراحة كان يوم جميل . إحنا انبسطنا جداً . دول أصدقائي من مصر)

- أشار إدوارد إلى هيثم ومهند مخاطبًا أصدقائه : (هيثم ومهند من مصر) ثم أشار إلى كريم مبتسمًا قائلاً: (أمَّا بأه الراقص الجامد ده، يبقى كريم) . قدم أصدقاءه إليهم قائلاً: (بروسارد، ويليام وكارلوس)



بروسـارد، قـارع الطبـول صاحـب الإيقـاع المميـز، كان بروسـارد أو بـروس – كمـا يفضـل أن يناديـه أصدقـاؤه– في العقـد الرابـع مـن العمـر، طويل القامـة نحيـف كهيكل عظمـي لدرجـة توحـي إليـك بأنـه لـم يـذق طعامًـا منـذ أن فطمتـه أمـه. صوتـه أجـش لا يتناسـب مـع نحافتـه الشـديدة، حـاد الملامـح ذو شـعر أسـود فاحـم، وأنـف مدبـب أسـفله شـارب رفيـع . هنـاك شـيئًا مـا فيـه لا يوحـي بالراحـة .

ويليـام، مـن أصـول إفريقيـة، في العقـد الرابـع مـن العمـر . أفطـس الأنـف ذو بشـرة داكنـة وشـعر مجعـد، قـوي البنيـة، متوسـط الطـول، تغلـب علـى ملامحـه الطيبـة، يجيـد العـزف علـى آلـة الساكسـفون،عندما تداعبهـا أصابعـه تشـعر كأنمـا قـد أُخترعـت خصيصًـا مـن أجلـه، وقـد أَطلق عليهـا اسـم سـونيا وهـو شـيء شـائع بـين الموسـيقيين أو علـى الأقـل عـدد منهـم أن يسـموا آلاتهـم الموسـيقية بأسـماء نسـائية، بـل زاد علـى ذلـك أنـه يقـوم بتقبيلهـا بـين الحـين والآخـر وأحيانًـا يناديهـا (بيبـي)، وغالبًـا لا يجافيـه النـوم إلاَّ وهـي بـين ذراعيـه، وهـو سـلوك – مـن وجهـة نظـره – طبيعـي تمامًـا .

كارلـوس. عـازف الأكورديـون . في العقـد السـادس مـن العمـر قصيـر القائمـة مكتنـز القـوام، ذو شـارب كـث، مـن أصـول لاتينيـة، ينتشـر الشـيب فيمـا تبقـى مـن شـعر علـى جانبـي رأسـه . يعطـي إيحـاءً بأنـه قـد خـاض معركـة ضـد الزمـن إلا أن هـذا الأخيـر لـم



يهزمه فقط، بل زاد على ذلك أنه لم يدخر وسعًا في أن يترك آثار أنتصاره بقسوة على قسمات وجهه . يدخن بشراهة نوع من السجائر رخيصة الثمن ذات الرائحة النفاذة.

- ثم أمسك بيد الفتاة ورمقها بنظرة حانية قائلاً : (أما القمر دي بأه، تبقى إيلين .. خطيبتي)

كأنت إيلين فتاة جميلة حقًا، رقيقة الملامح، ممشوقة القوام مبتسمة دومًا، ذات شعر أحمر ناري ممن يطلق عليهم بالإنجليزية (Red Head)، غير متكلفة وتتسم بالبساطة مما أضفى عليها جمالاً من نوع خاص .

- حيا كلاً من هيثم ومهند المجموعة بإيمائة بالرأس وقال هيثم: (تشرفنا،إحنا فعلاً استمتعنا جدًا النهاردة، عزفكم هايل)

- ابتسم ويليام وهو يقول : (متشكرين جدًا، ده شرف لينا إحنا) ثم أضاف متسائلاً : (إذا سمحتوا لي، أنتم لبسكم غريب شوية . إدوارد كان بيقول إنكم من مصر، مش كده ؟ إحنا ما قابلناش حد من مصر قبل كده على السفينة . بيتهيألي إنكم المصريين الوحيدين اللي قابلناهم لغاية دلوقت، مش كده يا كارلوس ؟)



- أومأ كارلوس برأسه موافقًا وقال : (فعلاً يا ويل، معاك حق) إلا أنه سرعان ما استدرك قائلاً : (لا يا ويل، فاكر الشاب اللي قابلناه إمبارح على سطح المركب ؟ كان بيقول وقتها أنه مصري وشغال مترجم مع واحد من الأغنياء، كان إسمه زي حداد، إممم .. ممكن همام، أو ...)

- قاطعه بروس بصوته الأجش وهو يقول :

(لا، كان إسمه حساب، حماد حساب، أنا عمري ما أنسى الوشوش أوالأسماء)

- نظر هيثم إلى مهند قائلاً : حساب ! اسم غريب على حد مصري .

- انضم إليهم كريم قائلاً : ممكن يكون نُطقُه هو اللي غلط، ممكن يكون قصده حسب أو غالبًا حسب اللّه، لإن اسم حسب اللّه ده كان منتشر زمان .

- نظرت إيلين إلى كريم وهي تقول : (أنا عايزاك تقنع إدوارد أنه يغني معانا، أنا حاولت بس هو مش راضي)

- إلتفت كريم إلى هيثم قائلاً وهو يتنهد في حسرة : بص يا هيثم هو أنا كل اللي فهمته إنها بتقول إدوارد، ياريت حد يترجملي اللي قالته في أيامنا اللي مش فايته دي .



- سال مهند إدوارد : (أنت بتعرف تغني يا إدوارد ؟)

- ابتسم إدوارد وهو يقول : (يعني على قدي، هو صحيح الغناء هوايتي المفضلة، بس أنا عمري ماغنيت قدام حد قبل كده)، ثم أمسك بيد إيلين وهو ينظر إليها في حنان قائلاً : (إيلي الوحيدة اللي غنيت قدامها)

- أراحت إيلين رأسها على كتفه وهي تقول : (وقولتلك صوتك حلو جدًا، بس أنت اللي مش مصدقني)

- ابتسم إدوارد قائلاً : (طول عمرك بتجامليني يا إيلي. عمومًا بكره ياستي هأغني الأغنية اللي بتحبيها علشان خاطرك)

- غمغم مهند : ربنا يستر .

- نظر إدوارد إلى مهند متسائلاً : (هه، بتقول حاجة ؟)

- مهند : (أأ .. لا بقول كويس جدًا)

- ابتسم هيثم ونظر لمهند قائلاً : مفيش فايدة فيك .

- أمسك إدوارد بيد إيلين قائلاً : (ماشي يا إيلين هأعملك اللي إنتي عايزاه، إنتي عارفه أني ما أقدرش أرفض لك طلب)

- ضحكت إيلين في دلال قائلة : (يبقى معادنا بكره)

- أجابها إدوارد : (ماشي، زي ما إنتي عايزه)



- شكرتهم إيلين على هذه الأمسية الرائعة ثم إستأذنتهم في الإنصراف قائلة : (إدوارد ماتنساش هاتغني بكره)

ثم ما لبثت أن انطلقتْ تلاحقها نظرات كلاً من إدوارد وكريم.
استأذنهم بروس للذهاب ليستريح قليلاً حيث يشعر أنه ليس على مايرام .

- مضت فترة من الصمت قطعه هيثم موجهًا حديثه إلى ويليام: (هي المركب دي رايحة على فين يا ويليام ؟)

- قال ويليام بلهجة لا تخلو من الود : (على فكرة أصحابي بينادوني ويل، وهو الاسم اللي بحبه)، ثم تسائل في دهشة: (أنت مش عارف المركب دي رايحة على فين ! دي رايحة نيويورك)

- ابتسم مهند وهو يقول : (الظاهر كده إننا ركبنا المركب الغلط)

- اتسعت عينا إدوارد في دهشة متسائلاً : (وإزاي عرفتوا تعدوا من سلطات الميناء بالرغم من إن في إجراءات أمنية قوية في لندن !) ثم أردف قائلاً : (أنا ماطلعتش على المركب إلا لما راجعوا أوراقي أكثر من مرة قبل ما يخلوني أطلع، أنتم طلعتوا إزاي ؟)



- تنهد هيثم وهو يقول : (دي قصة طويلة جداً يا إدوارد، لما تيجي فرصة هانحكيهالك، بس دلوقت قولنا ممكن نستريح فين ونجيب أكل منين ؟ علشان إحنا كده خلاص جبنا آخرنا النهاردة) .

- أجابه كارلوس : (مفيش مشكلة في الأكل، معانا اللي يكفي ويزيد، النهاردة أنتم ضيوفنا . أما بالنسبة للنوم، بيتهيألي ممكن تناموا في قوارب النجاة الموجودة على سطح المركب، بس اوعوا حد من طقم المركب يشوفكم، لو اتمسكتم هاتتعاملوا كمتسللين، وهايحطوكم في السجن . تخرجوا الصبح تشتغلوا في التنظيف والمطبخ مقابل الأكل، وبالليل تباتوا في سجن المركب)

- أشاح كريم بيديه منفعلاً وهو يقول : في إيه يا جماعة ما حد يقولي بتتكلموا في إيه من الصبح .

- نظر إليه هيثم قائلاً : اهدأ ياعم كريم في إيه ! ثم أخذ يترجم له ما دار من حديث . ثم أردف قائلاً : بصوا ياجماعة أظن كلنا تعبانين . نأكل بسرعة ونروح ندور على قوارب النجاة دي علشان ننام، وبكرة يحلها الحلال .

- نظر إليهم كارلوس قائلاً : (شكلكم قلقان . ماتقلقوش، زي ماقولتلكم، تقدروا تناموا في قوارب النجاة، خلونا نأكل الأول)



- قال ويليام وإبتسامته لم تغادر شفتيه : (معاك حق، نأكل الأول)

افترش الجميع الأرض وشكلوا دائرة صغيرة ووضع كارلوس في المنتصف لفافة من قماش ذات لون كاكي بداخلها خبز وبعض الجبن . وانهمك الجميع في تناول الطعام .

شكروا الجميع على الطعام ثم استأذنوهم ليذهبوا للبحث عن مكان للراحة . على سطح الباخرة بدأ الظلام يتبدد مع ظهور خيوط الفجر الأولى . وقد خلا سطح الباخرة من الركاب. إستند هيثم إلى السور ينظر إلى الفجر الوليد الذي بدا كأنه يولد من رحم المياه الممتدة أمامه . كان المنظر رائعًا بحق . مضت لحظات لم ينبس خلالها أحدهم ببنت شفة وهيثم يحدق انبهارًا بروعة المنظر وقدرة الخالق العظيم .

- قال هيثم : سبحان الله، مش ممكن الجمال ده ! أحلى منظر شفته في حياتي . إيه رأيكم يا جماعة ؟ لم يتلق أي رد، فإلتفت إلى رفيقيه فوجد أنهما لا يعيران هذا المنظر أي إهتمام، فقد افترشا الأرض وأغمضا أعينهما، أما مهند فقد علا شخيره.

- أيقظهما هيثم قائلاً : إصحوا يا جماعة ماينفعش ننام هنا . الصبح طلع مش عايزين حد يشوفنا .



- استيقظا من غفوتهما،تثاءب كريم وهو يقول : يا هيثم كلنا تعبانين وعايزين ننام، فين قوارب النجاة اللي كان بيقول عليها كارلوس ؟ أنا مش قادر .

- أشار هيثم خلف مهند قائلاً : أنا شايفهم هناك أهُم، ياللا بينا .

- كأنت مجموعة من قوارب النجاة متوسطة الحجم مغطاة بقماش سميك ذو لون أخضر غامق . ومالبثت أن انفرجت أساريره وهو يقول : ميه ميه، دول في مكان مستخبي، وعليهم غطيان كمان . يعني ننزل تحت الغطاء وننام، ولا من شاف ولا من دري . مش عايزين حد يحس بينا . هننام دلوقت ونطلع لما الرِجل تخف على سطح المركب .

دلف كلٍ منهم إلى أحد القوارب، وسرعان ما إستغرقوا في نوم عميق .

●●●

قاربت الساعة على التاسعة صباحًا، وأصبح المكان كخلية نحل عملاقة، مابين ركاب يحاولون الإستمتاع بوقتهم حول حمام السباحة، وآخرون يتناولون طعام الإفطار بمطاعم السفينة بالدرجتين الأولى والثانية . علاوة على طاقم السفينة الذي يقوم بواجباته في الملاحة وحفظ الأمن .



كأنت الباخرة عملاقة بحق، يبلغ طولها ما يقرُب من ٣٠٠ متر أمَّا عرضها فبلغ ٢٨ مترًا، أشبه بمدينة عائمة . كما أُعتبرَت أيقونة عصرها وقد أطلقوا عليها قاهرة المحيطات، كأنت إحتمالية غرقها ضربًا من الخيال أو بالأحرى من رابع المستحيلات .

كأنت غرف الدرجة الأولى مثال حي على مدى الفخامة والرقي التي تتمتع بهما الباخرة، فالجدران مكسوة بأرقى أنواع الخشب المُزخرف بالحفر اليدوي، زد على ذلك الثريا المرصعة بالكريستال التي تتدلى من منتصف السقف الذي لم ينسَ مصمم السفينة أن يضيف إليه رسومات زيتية كالتي تزين قصور النبلاء في القرون الوسطى، علاوة على الآثاث باهظ الثمن الذي زُوِدَت به الغرفة .

- (ده كل اللي حصل يا مستر جونز) كان هذا هو صوت بروسارد مخاطبًا السيد كريستوفر جونز الذي كان جالسًا يتناول طعام الإفطار في غرفته بالدرجة الأولى .

السيد كريستوفر جونز نائب القبطان، من أغنى أغنياء الطبقة الإرستقراطية البريطانية. كما أن شركته من المساهمين في هذه الباخرة، في العقد الرابع من العمر، طويل القامة، حاد الملامح والطباع، يرتدي ملابس باهظة الثمن وتزين أصابعه العديد من الخواتم الذهبية، كما أن ساعته والسلسلة المعلقة منها



في جيب الصديري مصنوعتان من الذهب الخالص، إعتاد منذ صغره أن يحصل على مايريد مهما كانت العقبات التي أمامه . أبدى إعجابه بالآنسة إيلين خطيبة إدوارد، التي أسرته بجمالها عندما قابلها على السفينة لأول مرة، وحاول أن يستميلها إليه أكثر من مرة إلا أنها صدته، كما لقنته درسًا قاسيًا أمام ركاب الباخرة عندما كاد أن يتجاوز حدوده .

- مطّ كريستوفر شفتيه دلالة على عدم إستحسانه لما يحدث وهو يقول : (أنت متأكد يا سبنسر إن الآنسة إيلين رفضت دعوتي تاني على العشاء النهاردة ؟)

سبنسر برديني، (الذراع الأيمن للسيد جونز) إنجليزي من أصول إيطالية، يتمتع ببنية قوية تنم عن أنه قد إعتاد ممارسة إحدى الرياضات العنيفة، مما أكسبه مظهرًا شابًا لا ينم عن أنه في أواخر العقد الخامس من عمره. يطيع سيده طاعة عمياء ولا يتورع عن القتل تنفيذ لأوامره.

- أومأ سبنسر برأسه إيجابًا وهو يقول : (أنا آسف حضرتك، بس هو ده اللي حصل، من الواضح إنها بتحب خطيبها جدًا، واللي عرفته إنهم رايحين نيويورك مخصوص علشان يتجوزوا هناك)



- أطال كريستوفر النظر إليه ثم ابتسم في سخرية وهو يقول: (بتحبه، هه . الحب والفقر عمرهم مايتجمعوا مع بعض . اللي إسمه إدوارد ده هايعيشها إزاي ! هم صحيح الإتنين من نفس المستوى، بس واحدة زي دي ممكن تعيش معايا عيشة الملوك)

- أومأ سبنسر برأسه موافقًا . صمت قليلاً مفكرًا ثم رفع نظره إلى السيد كريستوفر قائلاً : (أنا عندي فكرة، إحنا نبعد إدوارد عنها خالص، والموضوع سهل جدًا، بصفتك مساعد القبطان والمسئول الأول عن الأمن في السفينة، ممكن تقبض عليه بتهمة التسلل وإنه مفيش معاه تذكرة)

- نظر إليه كريستوفر متسائلاً : (إزاي ! هو معاه تذكرة)

- ارتسمت على وجه سبنسر إبتسامة خبيثة وهو يقول : (سيب الموضوع ده علي أنا) . ثم وضع يده على كتف بروسارد وهو يقول : (على أنا و بروسارد، مش كده يا بروس ؟)

- ابتسم بروسارد وهو ينظر إلى السيد كريستوفر قائلاً : (زي ما مستر كريستوفر يؤمر)

- إلتفت كريستوفر إلى مساعده وهو يجز على أسنانه قائلاً : (اعمل أي حاجة، أنا عايز الأخ إدوارد ده يختفي . مش قصدي تقتله، بس ابعده عن طريق إيلين)



- (بالمناسبة في حاجة تانية يا مستر جونز) قالها بروسارد محاولاً إثارة إهتمامه، سكت برهة ثم أضاف: (في ثلاث شبان شكلهم غريب، بيقولوا أنهم من مصر . قعدوا معانا إمبارح شوية، لبسهم غريب، وأعتقد أن واحد فيهم كان مهتم بالآنسة إيلين)

- أنتفض كريس واقفًا في غضب ثم أمسك بتلابيب بروسارد وجذبه إليه صارخًا في وجهه : (تعتقد ! أنت مش مسموح لك تفكر من نفسك، أنت مهمتك تنقل بس اللي بيحصل عندكم) ثم دفعه بعيدًا عنه في قسوة سقط على آثرها أرضًا . نظر إليه محتقرًا، ثم ما لبث أن ألقى أمامه على الأرض شلنًا كاملاً . هرع بروسارد يلتقط النقود وهو يشكره .

- نظر كريس إلى سبنسر قائلاً بلهجة آمره : (خد بروسارد لمطبخ السفينة، وقول للطباخ إن دي أوامري أنه ياخد باله منه ويخليه ياكل اللي عايزه) وأضاف في لهجة أمرة : (بالنسبة لإدوارد، نفذ اللي اتفقنا عليه . وعايزك تتحرى عن المصريين اللي قال عليهم بروسارد، وخصوصًا الأخ اللي مهتم بالآنسة إيلين، وأنا هابلغ القبطان سميث إنهم متسللين)

- أحنى سبنسر رأسه قائلاً : (تحت أمر حضرتك) ثم إصطحب معه بروسارد وذهب لتنفيذ أوامر سيده .

●●●



سرعان ما أنتصف النهار وكان مهند أول من إستيقظ . خرج بهدوء من أسفل غطاء القارب وأخذ يتلفت حوله في حذر خوفًا من أن يلمحه أحد أفراد الطاقم .

إتجه مهند إلى سلم الباخرة لينزل إلى الطابق السفلي حيث قضوا السهرة مع إدوارد ورفاقه مساء أمس. لم يكن هناك وجود لأحدٍ منهم .

- قال محدثًا نفسه : هو إدوارد والشله لسه نايمين لغاية دلوقتي! أنا عا.... لم يستطع إكمال كلامه فقد أمسك بطنه من الألم: وبعدين بأااه، ما ترسولنا على حل، هو شويه إمساك وشويه إسهال ! طيب فين الحمام بتاع إمبارح ؟ مش كان هنا! وديت الحمام فين ياقبطان !

- (مساء الخير يا مهند) ابتسم ويليام في ود وهو يلقي التحية على مهند . (نمتوا كويس إمبارح ؟ أمال فين باقي أصحابك، هم لسه نايمين ؟)

- عض مهند على شفتيه وأمسك بطنه قائلاً : (هقولك كل حاجة . ولو عايزني أحكيلك عن سوسو كمان هاحكيلك . بس بسرعة قوللي وديتو الحمام اللي كان هنا فين ؟ دقيقة كمان ولا تسألني من أنا)



- رفع ويليام حاجبيه في دهشة وأشار إلى يساره قائلاً : (لسه في مكانه هناك يامهند . امشي كده وبعدين خُش الممر اللي على الشمال هتلاقيه هناك)

- لم ينبس مهند ببنت شفة وإنما إندفع يجري حيث أشار ويليام الذي صاح يسأله : (مين سوسو دى يا مهند ؟)

- صاح مهند : (مش وقته يا ويل، مش وقته)

- مضى بعض الوقت إلى أن حضر مهند وهو يدندن : زي ماكون تعباااان وإرتحت، زي ماكون حرااان وقلعت، تارا لم لم.

- انتبه إلى وجود ويليام الذي سأله وهو يداعب آلة الساكسفون خاصته : (حلو قوي اللحن ده يا مهند، بتقول إيه كلمات الأغنية ؟)

- مهند : (إحم، دي أغنية عاطفية من الفلكلور المصري . المهم سيبك أنت من الأغنية، الواحد عايز يجيب حاجة يأكلها، مفيش على الباخرة الكبيرة دي هايبر ماركت ؟)

- سأله ويليام في دهشة : (هاي.. إيه ؟)

- مهند : (كارفور يعني يا ويل أو مترو، إيه ياجماعة أنتو محسسني إننا عايشين في القرن الماضي) سكت برهة مفكرًا



ثم غمغم محدثًا نفسه : إيه ده، ما إحنا فعلاً في القرن الماضي. ولا يكونش ده القرن اللي قبله ؟ نظر إلى ويليام قائلاً: (إلا قوللي يا ويل، هو ده القرن الماضي ولاّ اللي قبله؟)

- نظر إليه ويليام متعجبًا وهز رأسه دلالة على عدم الفهم : (مهند، أنا مش فاهم حاجة من اللي أنت بتقوله)

- تنهد مهند قائلاً : (خلاص يا ويل سيبك من كل الكلام ده . أنا هابسّطهالك، أشتري أكل منين ؟)

- ويليام : (ممكن تشتريه من أي مطعم في السفينة . بس لازم الأول تغير الهدوم اللي أنت لابسها دي، علشان شكلك ملفت جدًا)

- طقطق مهند بلسانه قائلاً : (طيب، أجيب لبس منين ؟)

- ويليام : (مفيش على السفية محل بيع ملابس) . سكت برهة مفكرًا ثم قال مبتسمًا : (طيب بص تعالَ معايا وأحاول أجيبلك حاجة)

تجول مهند و ويليام في الطابق السفلي للباخرة وهم يقرؤون اللافتات المثبتة على أبواب الغرف .



كان الطابق السفلي للباخرة يحتوي على غرف الدرجة الثالثة بالإضافة إلى المطبخ والمغسلة والمخازن والثلاجات وصالونات الحلاقة والسجن وبعض الخدمات الأخرى .كما يوجد به مصاعد كهربائية تربط بين المطبخ وقاعات تناول الطعام .

- أشار ويليام إلى إحدى الغرف : (دي المغسلة . أكيد هنلاقي حاجة هنا على مقاسك)

نظر كلاهما إلى داخل المغسلة عبر النافذة الزجاجية الموجودة بالباب وتفقدا الداخل فلم يجدا غير شخص واحد .

- تلفت ويليام حوله قبل أن يقول هامسًا : (تمام، مفيش غير شخص واحد . هأدخل أنا وسونيا الأول نلهيه . ولما نبدأ العزف، بص من الشباك القزاز، لما تلاقيني بأهز رأسي، إتسحب بالراحة وخذ اللي أنت عايزه،أخرجِ زي ما دخلت وأنا هاحصلك)

- سأله مهند : (ماشي، بس اللي هنأخذه نبقى نرجعه)

- أومأ ويليام برأسه : (زي ما أنت عايز. ياللا بينا)

- إستوقفه مهند متسائلاً : (طيب مش هانستنى سونيا ؟)



- نظر إليه ويليام في إستغراب ثم أشار إلى آلته قائلاً : (هي دي حبيبتي سونيا، بيبي) ثم إحتضنها وطبع عليها قُبلة حانية قائلاً : (معلهش دي غلطتي، أنا اللي ماعرفتكوش على بعض. سونيا، مهند)

- رفع مهند حاجبيه ونظر إليه بدهشة : (هي دي سونيا !) . حدّث نفسه قائلاً : شكلنا كده رايحين السجن دلوقتِ، مش كمان شوية . أنا إيه اللي صحاني بدري ؟

- سأله ويليام : (بتقول حاجة يا مهند ؟)

- رد مهند في سرعة : (لأ تمام، دي هاتبقى عملية زي الفل إن شاء الله)، ثم إستدرك في سرعة قائلاً :

(طيب بص يا ويل، هأعمل حاجة بسرعة وأرجعلك تاني . مش هتأخر، ثانية إلا تلت)

- هز ويليام رأسه رافضًا لما يقوله مهند : (مفيش وقت يا مهند، ممكن حد ييجي دلوقت، التزم بالخطة) قالها ثم دلف إلى المغسلة .

●●●



استيقظ كَريم من النوم ورفع غطاء القارب، تلفت حوله في حذر قبل أن ينسل في خفة ويذهب ليوقظ كلاً من مهند وهيثم . نادى في صوت منخفض : مهند، هيثم . إلا آنه لم يجد إستجابة. إندهش كريم عندما رفع غطاء قارب مهند فوجده فارغًا . فحدث نفسه : راح فين ده ! ليكون إتمسك ولا حاجة . إتجه إلى قارب هيثم ونادى بصوت مبحوح وهو يرفع الغطاء : هيثم اصحى يا هيـ ... . تسلل القلق إلى قلبه عندما نظر داخل القارب فلم يجد لهيثم أدنى أثر .

- إختلطت الأفكار في رأسه، عن مصير صديقيه . وبينما هو في هذه الحالة إذ بيدٍ توضع على كتفه وصوت أجش من خلفه يقول له : جواز السفر والتذاكر لو سمحت .
- أُسقِط في يده وأدرك أن أمره قد افتضح . فقال دون أن يلتفت للخلف : أأأص ... أص.. أصل الجواز والأوراق موجودين مممع .... معايا في الشنطة حضرتك، ثواني أروح أجيبهم وآجيلك .
- سمع صوت ضحكات مكتومة فإلتفت للخلف . انفجر في وجه محدثه غاضبًا وهو يقول : إيه يا هيثم الهزار ده ! هي ناقصاك يا خويا ! مش كفاية اللي إحنا فيه ! حرام عليك يا أخي .



- احتقن وجهه من شدة الغضب وهو يتمتم بكلمات غير مفهومة، وينظر شذرًا إلى هيثم الذي حاول أن يكتم ضحكته وهو يحاول تهدئته قائلاً : خلاص بأه يا عبقرينو ! ماتكبرش الموضوع، ده كان هزار يا عم . وبعدين يا نجم ده أنا كلمتك عربي مش إنجليزي وقولت هاتفقسها من الأول، هو في حد من طقم السفينة بيتكلم عربي ! عيب عليك يا نجم .

- رد كريم في عصبية : بلا عربي بلا إنجليزي، وقعت قلبي يا أخي، حرام عليك .

- ربت هيثم على كتفه وهو يضحك : بس حلوة . اللعبة الحلوة نقول عليها حلوة، قول الصراحة .

- نظر كريم إلى هيثم وابتسم وهو يجز على أسنانه : بصراحة حلوة . ماشي يا نجم قابل بأه . سكت برهة مفكرًا ثم قال : اللّه! أُمَّال فين مهند ؟

●●●

- لم يمضِ وقت طويل حتى سمع مهند صوت ويليام وهو يعزف، دفع الباب ببطء ونظر من فرجة الباب إلى ويليام الذي إندمج في العزف ومعه عامل المغسلة الذي بدا مشدوهًا وهو يستمع إليه، كان عزف ويليام رائعًا حقًا، أومأ ويليام برأسه إلى مهند الذي دلف بهدوء إلى الغرفة .



- إختار مهند أقرب كومة من الملابس وهو يحدث نفسه : دي شكلها كويس، لأ ومكوية كمان . نظر إلى الاسم المدون على البطاقة، ثم تابع قائلاً : معلهش يا مستر هاريس، هاجيبهم لك تاني.

- (ممكن أساعدك ؟)

- تسمر مهند في مكانه . ثم إلتفت ببطء إلى محدثه . كان أحد عمال المغسلة الذي عاد بعدما انتهى من توصيل الملابس لركاب من الدرجة الأولى . فتى نحيلاً قصير القامة، مابين الخامسة والسادسة عشر . يرتدي الملابس البنية المميزة للعمال من طاقم الباخرة . تمالك مهند أعصابه ونظر إلى البطاقة مرة أخرى قائلاً : (مستر هاريس باعتني علشان آخذ الهدوم بتاعته)

- نظر إليه الفتى قائلاً : (مسترهاريس مين ؟ مستر آلان هاريس ولا مستر جوناثان هاريس ؟)

- أجاب مهند في سرعة : (مستر آلان هاريس)

- قرأ الفتى البطاقة المدون عليها الإسم ثم قال : (تمام، هي دي الهدوم، بس فين إيصال الإستلام ؟)



- حرك مهند يده أمام وجهه لجلب الهواء، فقد بدأت قطرات العرق تتجمع على وجهه ورقبته . ثم نظر إليه قائلاً : (إيه الحر اللي إحنا فيه ده ! بصراحة الإيصال ضاع مني، وممكن مستر هاريس يطردني من الشغل لو رجعتله من غير الهدوم، وأنت مايخلصكش)

- أومأ الفتى برأسه دلالة على تفهمه : (طبعًا لأ، الأغنياء دول ولا عمرهم بيفكروا فينا، كل واحد فيهم بيفكر في نفسه وبس. خلاص مفيش مشكلة، ممكن تستلم الهدوم بس تمضي الأول في دفتر الإستلام)

- أمسك مهند بالقلم وسكت لبرهة وهو ينظر للفتى ثم وقع في الدفتر . نظر الفتى إلى التوقيع وحاول قراءته قائلاً: (فرصة سعيدة يا ...)

- ارتسمت إبتسامة بسيطة على وجه مهند وهو يقول بلهجة واثقة : (بوند .... جيمس بوند) ثم نظر إلى بطاقة الاسم على صدر الفتى قائلاً : (أنا أسعد يا كيفين)

- أسرع مهند بمغادرة المغسلة ووقف خارجها يلتقط أنفاسه . ماهي إلا لحظات قليله حتى خرج ويليام ونظر لمهند قائلاً: (أنا قولت خلاص إتقفشنا. ولو كنت بطلت عزف علشان



أساعدك، أكيد الشاب اللي كان معايا هايجيلك، وكنا هنتمسك. قعدت أتابعك وأنا مرعوب، بس أنت إتعاملت مع الموقف بهدوء أعصاب تحسد عليه)

- هز مهند رأسه متهكمًا : بتّابعني ! دي عندنا اسمها ندالة يا معلم . صحيح، عيش ندل تموت مستور .

- نظر إليه ويليام متسائلاً : (هه، أنا مش فاهم حاجة يا مهند)

- مهند : (بقول تمام، أنتَ وسونيا كنتوا ميه ميه)، أردف قائلاً: (هاروح أنا أشوف صحابي، تلاقيهم صحيوا وبيدوروا عليَّ، ماتيجي معايا ؟)

- ويليام : (ماشي هاجي معاك، أنا مفيش ورايا حاجة)

- وما هي إلا لحظات، إيه ده بتأكلوا من غيري ! جبتوا الأكل ده منين ؟

- قام هيثم وكريم بتحية ويليام، ثم نظر هيثم إلى مهند وسأله: كنت فين يابني كل ده ؟ مش قولنا مش عايزين حركة كتير علشان القلق . وإيه اللي معاك ده ؟

- جلس كلاً من مهند وويليام معهما، وقال مهند : هأقولكم كل حاجة، بس أنا جعان جدًا . أنتم جبتوا الأكل ده منين ؟



- إقتطع كريم جزءًا من الخبز وأعطاه لكلاً من مهند وويليام : اتفضل يا سيدي بالهنا والشفا . وآدي كمان بيضة لكل واحد، قبل ماتقولى، عيش حاف والجو ده .

- شكره ويليام وبدأ في تناول طعامه، ملأ مهند فمه بالطعام وهو يقول : الواحد جعان جدًا . هو أنتم جبتوا الأكل ده منين؟

- هيثم : طيب يا بني ابلع الأول . بص يا سيدي، إدوارد وإيلين عدوا علينا من شوية، إدوارد قعد معانا وإيلين إستاذنت ورجعت بعد شوية ومعاها الأكل ده . قعدوا شوية وبعدين إيلين قالت لإدوارد إنها مش ناسية الوعد بتاع إمبارح إنه يغنيلها، قعدت تزن عليه، راحوا قايمين ومشيوا مع بعض .

- توقف مهند عن مضغ الطعام قائلاً : طيب يا جماعة مش حد يقول ! اسمه كلام ده ! ثم هب واقفًا : يعني نسيب الراجل يغني لوحده ! نظر إلى كريم متسائلاً : هي إيلين كابينة كام ؟

- هب كريم واقفًا وصاح فيه : أنا إيش عرفني، أنت شايفها مراتي ! ماتهدى شوية يا سيدي .

- أشاح مهند بيده قائلاً : طيب يا عم ماتزقش، أنا قولت نلحق نسمع إدوارد قبل المركب ماتغرق .



- أمسكه هيثم من يده قائلاً : إيه يا مهند في إيه ! مركب إيه اللي تغرق !

- نظر إليهما مهند في دهشة : أنتم بتهزروا ! بجد مش عارفين! اللي بيحصل ده ما بيفكركوش بحاجة؟ طيب أسهلهالكم شوية ؟ فيه روايات كتيرة اتكتبت عن سفينة كبيرة جداً. السفينة دي كان عليها إتنين مخطوبين بينهم قصة حب جامدة جداً، وإسمهم إدوارد وإيلين . إيلين ماتت الأول وإدوارد مقدرش يستحمل ومات وراها على طول، لأ وكمان كان عليها واحد مصري اسمه حماد حسب الله، ومش بس كده، خد بأه التقيلة، كانت الرحلة الأولى للباخرة، وكمان من لندن لنيويورك، ثم هز رأسه في استغراب مش ممكن الصدفة دي، ده أنا لما أحكي لصحابي في مصر مش هايصدقوني .

- تدلى فكي كلاً من هيثم وكريم في بلاهة، ودارت الأفكار في رأسيهما، كيف لما ينتبها إلى ذلك ! ثم غمغم كريم في توتر وهو يقول : قصدك سفينة إيه يا مهند ؟

- لم ينتظر هيثم إجابة مهند وإنما نظر بسرعة إلى ويليام وسأله : (هي الرحلة دي من لندن لنيويورك ؟)

- أومأ ويليام برأسه إيجاباً وهو يقول : (مظبوط، بتسأل ليه ؟ أنتم مش رايحين نيويورك ؟)



- قام هيثم بالترجمة لكريم الذي صاح في لهفة لا تخلو من نبرة خوف : اسأله المركب دي إسمها إيه يا هيثم، إسمها إيه؟

- قال هيثم في تهكم : يعني يا أخ كريم، على رأي مهند . سفينة كبيرة زي دي، عليها الأخ إدوارد والأخت الفاضلة الحاجة إيلين. لأ وإيه، رايحة من لندن لأمريكا وفي أول رحلة ليها، في نوفمبر ١٩١٢. تفتكر هايكون إسمها إيه يعني ؟

- أجاب مهند بسرعة : المفروض يكون إسمها تيتانيك . ثم وجه حديثه إلى ويليام قائلاً : (المركب دي إسمها تيتانيك يا ويل، مش كده ؟)

- أومأ ويليام برأسه بالإيجاب قائلاً : (إسمها آر إم إس تيتانيك، وعلى فكرة دي الرحلة الأولى ليها)

- خذلت كريم رجلاه، فجلس أرضًا بعد أن ترجم له هيثم ماقاله ويليام، وكاد أن يلطم على وجهه محدثًا نفسه: الرحلة الأولى! الأولى والأخيرة ياخويا، يعني من بين كل المراكب، الجهاز مالقاش غير المحروقة دي يحطنا عليها !

- قال مهند مازحًا : غلط يا كيمو، المركب دي مش محروقة، دي غرقانة .

- صرخ كريم في وجهه : مش ناقصاك دلوقت يا مهند أنت كمان .



- نظر ويليام إلى هيثم ومطَّ شفتيه دلالة عن عدم فهمه لما يحدث، وسأله : (أنا مش فاهم حاجة، إيه اللي حصل ؟ أنا ...)

- قاطعه كريم وهو يكاد يبكي : (حصل !) . دي بأه أنا فهمتها، ثم نظر إلى ويليام قائلاً : (بص يا ويل) ثم فرد كف يده اليمنى في وضع أفقي وأشار عليها بالسبابة اليسرى مخاطبًا ويليام في صوت مبحوح : (دي مركب، ماشي ؟ ماشي) ثم حرك كفه اليمنى إلى أسفل في وضع شبه عمودي محاولاً أن يشرح لويليام أن الباخرة ستغرق قائلاً : (هتروح تحت، تحت) ثم أخذ بنتحب .

- نظر ويليام إلى مهند قائلاً في دهشة : (أنا مش فاهم حاجة؟ هو بيقول إيه ؟)

- قال مهند : (لأ مفيش حاجة، هو كان بيحاول يقولك إن المركب دي هاتـ ...)

- قاطعه هيثم صائحًا : في إيه يا مهند أنت اتجننت ؟ هلاقيها منك ولا من كريم يا أخي ! ثم إلتفت إلى ويليام قائلاً : (مفيش حاجة يا ويل، هو كريم بس تعبان شوية)

- نظر إليهما مهند في إستغرابٍ قائلاً : في إيه ياجماعة ! هو أنا اللي هأقولكم نعمل إيه ! ياجماعة إحنا الجهاز معانا، يخلص شحن ونطير من هنا قبل المركب ماتغرق .



- أفاق كريم من حالته ولمعت عيناه، ثم نظر إلى مهند واحتضنه فرحًا وهو يقول : صح يا مهند برافو عليك، إيه اللي حصلّي ده ! إزاي تاهت مني دي ! فعلاً الجهاز معانا، يشحن ونظبطه ونرجع مطرح ماجينا، إيه الغباء ده !

- صرخ مهند في رعب : لأ، مطرح ماجينا لأ، نعمان مش ها يرحمنا .

- تنهد كريم قائلاً : ياعم قصدي نرجع القاهرة مكان مابدأنا .

- قال هيثم وهو يمط شفتيه موجهًا حديثه لكريم : اللي مستغرب له، إزاي مهند هو اللي دماغه كانت شغالة فينا، مع إن عمرها ماحصلت قبل كده . وإحنا الإتنين طلعنا أكياس جوافة ! ثم نظر إلى مهند قائلاً: مش قصدي حاجة يا دودو، أنا بس مستغرب الموقف .

- نظر مهند إلى هيثم قائلاً : دي أقل حاجة عندي يا برنس .

- بدا هيثم مطمئنًا وهو يقول : طيب نكمل أكل الأول وبعدين نقعد لوحدنا ونشوف الجهاز فاضله قد إيه ويشحن، إن شاء الله يكون قدامنا وقت كافي يكون الجهاز شحن قبل المركب ماتغرق . ثم نظر إلى ويليام قائلاً : (إحنا آسفين كنا بنتكلم عربي، معلهش أنت عارف إن كريم مايعرفش إنجليزي)



إنصرف ويليام بعدما أنتهى من تناول طعامه على وعد بلقائهم مساءً، ليمضوا الوقت معًا كما حدث بالأمس.

- مضي بعض الوقت إلى أن قطع هيثم الصمت قائلاً : خلينا نشوف هانعمل إيه، ثم نظر إلى كريم قائلاً : كريم، بص على الجهاز وشوف أخبار الشحن إيه . وكل واحد يشوف ساعته برضه ويتأكد إنها شغالة، مش عايزين مفاجآت تاني كفاية اللي حصل لغاية دلوقتِ .

- أخرج كريم الجهاز من جيبه وأخذ يتفحصه ثم مالبث أن تنهد في إرتياح قائلاً : الحمد لله، الجهاز تمام . محتاجين تقريبًا ٢٧ ساعة كمان علشان الشحن يبقى ١٠٠ ٪ .

- قال هيثم : المشكلة إننا مش عارفين إحنا قدامنا قد إيه قبل المركب ماتغرق . لو ....

- قاطعه مهند في حماس : لأ عارفين . نظرا إليه في استفسارٍ، فأردف قائلاً : بصوا يا جماعة أنا قريت كتاب عن السفينة دي . اللي أنا فاكره إن الباخرة خبطت في جبل جليد قبل الساعة ١٢ بالليل وبدأت تغرق، لحد ماغرقت كلها الساعة ٢ الصبح . يعني تقريبًا كده حسب ما أنا فاكر، أخذت ساعتين ونص أو حاجة زي كده لحد ماغرقت كلها .



- قفز كريم فرحًا وهم بتقبيل مهند وهو يقول : اللّه عليك يا دودو . أنت هاتتحسد كده يابني، لازم نبخرك .

- ضحك مهند وهو يقول : بس هو في حاجة صغيرة كده، اللي أنا متأكد منه أن الموضوع ده حصل قبل الساعة ١٢ بالليل، بس اللي أنا مش متأكد منه، الموضوع ده حصل يوم ١٣ ولا ١٤ نوفمبر ؟

- تنهد هيثم قائلاً : أنا قلت كده برضه، مايبقاش مهند لو ما سابش حتة كده .

- قال مهند معترضًا : وأنا أعمل إيه يعني ! الكتاب ده قريته من أكتر من عشر سنين . هو أنا هافتكر إيه ولا إيه !

- غمغم كريم قائلاً : ربنا يكون في عونك، كفاية عليك سوسو .

- نظر إليه مهند متسائلاً : بتقول حاجة يا كريم ؟

- كريم : لأ، بقول ربنا يعينك .

- نظر إليهما هيثم قائلاً : خلاص ياجماعة مفيش حل تاني، النهاردة ١٣ نوفمبر . هنستنى الساعة ١٢ بالليل ونشوف، يا نغرق النهاردة يا ربنا يسترها .



- مهند : ماشي كلامك يا إتش، بس برضه عايزين نغير هدومنا علشان كل ماحد يشوفنا يقعد يبص مستغربنا، و إحنا مش ناقصين مشاكل علشان الكام ساعة دول يعدوا على خير.

- سأله هيثم : إيه موضوع الهدوم اللي معاك دي ؟

- حكى لهما مهند ما حدث معه من وقت استيقاظه حتى عودته . انفجر الجميع ضاحكين وهيثم يقول : جيمس بوند مرة واحدة ! إشمعنى ده يعني اللي إخترته ؟

- مهند : اللّه، مش كان الموضوع فيه أكشن ! سيبك يا عم المهم جبنا الهدوم وخلاص . ياللا نشوف الهدوم وكل واحد يشوف اللي على مقاسه .

- تفقدوا الملابس واختار كل منهم ما يناسبه . ذهب كلٍ منهم للقارب الذي قضى فيه ليلته ليغير ملابسه .

- مضى بعض الوقت إلى أن تجمعوا مرة أخرى . نظر كريم إلى مهند قائلاً : إيه ياعم هدوم جدي اللي أنت لابسها دي !

كان واضحًا أن الملابس لشخص طويل القامة ضخم الجثة، وقد إرتدى منها مهند بالطو طويل رمادي اللون يكاد أن يمس الأرض، تحته قميص أبيض وبنطالاً من القماش الكحلي وقد رفعه مهند إلى مافوق سرته لئلا يعرقله .



- مهند : مالها ياعم، مش أحسن من الجاكيت بتاع علم بريطانيا اللي على ظهرك ده !

أما كريم فقد اختار بنطالاً ذا لون كاكي وسترة من الجلد بنية اللون مطبوع على كامل ظهرها علم بريطانيا .

إلتفتا إلى هيثم الذي بدا أحسن حالاً منهما وهو يرتدي بنطالاً أسود اللون وبالطو ذو لون كحلي من الصوف الفاخر يصل إلى ركبتيه وقد عقد كوفية حول رقبته .

- نظر إليهما قائلاً : واضح كده إن الراجل صاحب الهدوم دي من الحجم العائلي، ربنا يستر ومايمسكناش. نظر لأعلى وأردف قائلاً : ياه الوقت عدى بسرعة، الجو ضلم . هي الساعة كام دلوقت ؟

- نظر مهند لساعته قائلاً : الساعة سبعة إلا ربع، وقبل ماحد يقولي عرفت منين والحاجات دي، كان في ساعة متعلقة على الحيطة في الدور اللي تحت، ضبطت ساعتي عليها .

- نظرا إليه في إعجاب، ثم مالبث أن قال هيثم : براڤو عليك يا مهند، كلنا نضبط ساعاتنا على مهند، علشان على الأقل نبقى عارفين لما الساعة تيجي ١٢، ربنا يسترها .



- مط مهند شفتيه متأسفًا وهو يقول : ياجماعة أنا ضميري مش مريحني، إحنا إزاي نبقى عارفين إن المركب هاتغرق وعليها فوق الألفين بني آدم ومعظمهم هايموت، يا إما غرقان يا إما من البرد، ومانعملش حاجة، لازم نحذر الناس دول .

- نظر إليه هيثم مفكرًا ثم قال : أنتَ معك حق يا مهند، لكن للأسف مفيش حاجة ممكن نعملها، مهما حاولنا مش ممكن هانغير التاريخ .

- كريم : الكلام ده نظريًا صح يا هيثم، لكن إحنا دلوقتِ في قلب الحدث وممكن نحاول نساعد الناس دول، حتى لو معرفناش، بس المهم نكون حاولنا .

- أطرق هيثم برأسه إلى الأرض مفكرًا : ماشي، هانفكر نعملها إزاي، بس دلوقتِ أنا بقول ننزل الدور اللي تحت زي إمبارح علشان اللي عايز يخش الحمام ولا حاجة، ونقعد شوية مع إدوارد وأصحابه لحد مانشوف هايحصل إيه .

- نزلوا جميعًا إلى الطابق السفلي وقد تنامي إلى أسماعهم صوت الموسيقى في حين تشكلت دائرة من الركاب الذين يحاولون الإستمتاع بوقتهم، كان المشهد صورة طبق الأصل مما حدث في الليلة السابقة . إلا أنه قد غاب عنها إدوارد وإيلين .



- وقف ثلاثتهم يستمتعون . لم تمضِ لحظات إلا وظهرت إيلين برفقة إدوارد وهم يهرولون هاربين من شيء ما أو بالأحرى شخص ما، ثم وقفا يلتقطان أنفاسهما على مقربة منهم وهما يضحكان . حياهم إدوارد وأشار إليهم أن ينضموا إليهما .

- سألهما هيثم : (إيه اللي حصل وبتنهجوا كده ليه ؟)

- إلتقط إدوارد أنفاسه وهو يقول : (وإحنا جايين على هنا، فوجئت بسبنسر مساعد نائب القبطان واقف قدامي : سألني عن تذاكر السفر، وبيقولى دي أوامر مستر كريستوفر، دورت على التذاكر في جيب الجاكت مالقيتهاش، مش عارف راحت فين ! لقيته بيقولي أنت مقبوض عليك، زقيته ومسكت إيلين وجرينا بسرعة قبل ما يمسكنا . مش عارف التذاكر راحت فين ؟ وإشمعنى بيسألني عنها دلوقت !)

سكت لوهلة ثم نظر في إتجاه بروسارد الذي كان ينظر إليهما خلسة ويتظاهر بإنهماكه في العزف ثم إلتفت إلى إيلين قائلاً : (بروس هو الوحيد اللي دخل الكابينة عندي النهاردة، تفتكري ممكن ! طيب ويعمل كده ليه !)

- أجابته إيلين : (بصراحة مش عارفة، بس ما استبعدش ده. مستر كريستوفر ممكن يشتري ناس مش ممكن تفكر إنهم يبيعوا نفسهم)



- وجه مهند حديثه إلى إدوارد قائلاً : (هاتغني إيه النهاردة يا إدوارد)

- إلتفت إليه إدوارد قائلاً : (أغنية من تأليفي، كتبتها مخصوص لإيلين، سمعتهالها من شوية، بس مش راضيه تقولي رأيها إيه؟)

- ابتسمت إيلين ثم مالبثت أن طبعت قبلة على وجنته وهي تقول : (هو ده رأيي)

- غمغم مهند وهو ينظر إليه متمتمًا : ماشي يابن المحظوظة !

- سأله إدوارد : (بتقول حاجة يا مهند ؟)

- هز مهند رأسه نفيًا وهو يقول : (لأ، بأقول ربنا يوفقك)

- قالت إيلين : (إحنا هنفضل واقفين نتكلم ! ياللا بينا نروح مع أصحابنا في الزحمة هناك، علشان مايبقاش سهل على سبنسر إنه يلاقينا، لغاية مانشوف موضوع التذاكر ده . وبالمرة نحط عينَّا على بروس)

مضى الوقت سريعًا والجميع مستمتعًا بالموسيقى وإدوارد الذي أطلق لصوته العنان، وبجانبه وقفت إيلين تستمع إليه وتصفق تشجيعًا بين الحين والآخر . إلى أن إقتربت الساعة من



الحادية عشر مساءً، فأشار هيثم لمهند وكريم أن يتبعاه إلى سطح الباخرة حيث توجد قوارب النجاة .

- تلفت هيثم حوله ليتأكد من خلو السطح من الركاب ثم نظر في ساعته قائلاً : يا جماعة الساعة داخلة على ١١ وإحنا ما إتفقناش هانعمل إيه .

- كريم : أعتقد إن موضوع إننا نحذر الناس صعب دلوقتِ، أنا شايف إننا نجهز نفسنا ونلم حاجتنا . ثم نظر في جهازه وهز رأسه آسفًا واستطرد قائلاً : لسه فاضل ٢١ ساعة تقريبًا والجهاز يبقى تمام . يعني لو الليلة عدت على خير يبقى بكره على الساعة ٨ بالليل هايكون كله تمام إن شاء اللّٰه.

- نظر إليه هيثم قائلاً : وإذا المركب غرقت النهاردة يبقى مالهاش حل، نشغل الجهاز قبل مانغرق معاها وزي ما ياخدنا بأه، إحنا ونصيبنا.

- ظهر الرعب على وجه مهند وهو يقول : إحنا ونصيبنا ! شكلها كده هاترسى على نعمان .

غلف الصمت المكان وخيم الوجوم علي الجميع، وبدا التوتر عليهم وهم ينظرون في ساعاتهم بين الحين والآخر كان الجو باردًا بحق مما أضفى على الأجواء نوعًا خاصًا من الكآبة، وازداد القلق



مع اقتراب الساعة من الثانية عشر منتصف الليل . ومضى الوقت ثقيلاً ومهند يكاد يجزم بأن الساعة ثابتة لاتتحرك.

تنفس الجميع الصعداء بعدما جاوزت الساعة الواحدة صباحًا . وقال هيثم : الساعة دلوقتِ عدت واحدة الصبح . إحنا فلتنا النهاردة، ربنا يسترها بكره، عايزين الصبح نشوف هانعمل إيه، وإزاي نحذر الناس اللي في المركب من غير مشاكل .

- تنهد كريم قائلاً : يا جماعة أنا ماليش نفس أسهر النهاردة. أنا هاروح أنام دلوقتِ علشان أنا خلصان .
- هيثم : أنا هأقعد شوية، أهو نضيع وقت .
- قال مهند : وأنا كمان مش جايلي نوم، هأقعد شوية مع هيثم، تصبح على خير يا نجم .
- تمنى لهما كريم سهرة طيبة قبل أن ينصرف . انشغل هيثم ومهند في الحديث ولم يلحظا بروسارد القابع في الظلام والذي تبعهم عقب مغادرتهم الطابق السفلي . ظل بروسارد يتابع كريم بنظره حتى دلف الأخير إلى قاربه فانصرف من حيث آتى، مضى الوقت وجاوزت الساعة الرابعة صباحًا .
- قال هيثم : ياه الساعة عدت أربعة ياللا بينا يا مهند كفاية كده النهاردة، مع إن مش هايجيلي نوم من القلق، بس هأقوم أريح شوية . وأنت يا مهند ؟



- خخخخخ، علا شخير مهند وهو يغط في النوم . صاح فيه هيثم : اصحى يا مهند، قوم يا عم . وعمال تقول مش جايلك نوم وهاتقعد معايا ! قوم يا نجم .

- ساعده هيثم على الوقوف وأمسك به، وما أن وصلا إلى قارب مهند حتى ساعده في الولوج أسفل الغطاء، وسرعان ما استغرق في نوم عميق . مطَّ هيثم شفتيه قائلاً : تصبح على خير يا مهند . لم يتلق جوابًا فهز رأسه وذهب إلى قاربه ليحاول النوم .

- قضى هيثم ليلة غلب عليها الأرق إلى أن غلبه النعاس . نظر في ساعته وحدث نفسه قائلاً : ياااه، الظاهر راحت علي نومة، معقول الساعة ١٢ ! أنتابه شعورًا بأن أحدًا يحدق فيه فإلتفت إلى يساره، وانتفض فزعًا، فمن فرجة تحت الغطاء كان هناك وجهًا ينظر إليه لم يستطع تبين ملامحه، كان الضوء يتسرب من خلف الوجه خلال هذه الفرجة مما أضفى عليه ظلاً وصعب معه تمييزه .

- صباح الخير يا إتش، أخيرًا صحيت ! ناموسيتك كحلي يا معلم . يالّلا يا نجم كفاية نوم بأه . كان هذا صوت مهند جاء ليوقظه .



- تنهد هيثم وإلتقط أنفاسه ثم أزاح الغطاء وخرج من القارب وهو يقول : صباح الخير . إيه يا مهند في حد يتسحب كده ويخض الناس على الصبح ! مش تقول حاجة يا أخي !

- رفع مهند حاجبيه وهو يقول : أنا بنادي عليك بقالي ساعة، لما ماردتيش إفتكرتك روحتوا تجيبوا حاجة أنتَ وكريم .

- انتبه هيثم لما يقوله مهند : كريم ! هو كريم مش موجود ؟ راح فين ده !

- أجاب مهند : يمكن راح الحمام أو بيجيبلنا حاجة نأكلها .

- بدت على هيثم أمارات القلق وهو يقول : أكل إيه بس، وهيتفاهم مع الناس إزاي طيب، هو بيعرف إنجليزي أصلاً! تعال ننزل ندور عليه تحت، وبالمرة الواحد يدخل الحمام ويتشطف .

●●●

- أمسك السيد جونز بتذاكر السفر خاصة إدوارد في يده ونظر إلى معاونه سبنسر وهو يبتسم إبتسامة نمت عن رضاه قائلاً : (برافو عليك يا سبنسر)، ثم إلتفت إلى بروسارد الذي كان واقفًا بالباب ككلب مطيع في انتظار عظمة من سيده . رمقه في إزدراء وألقى إليه بعض القطع النقدية قبل أن يشير إليه بالإنصراف .



كان بروسارد قد ذهب في الصباح الباكر إلى السيد جونز وأعلمه بمكان كريم فما كان من الآخير إلا أن أصدر أوامره إلى سبنسر أن يذهب وبروسارد ويأتياه بكريم مقيدًا .

أشار بروسارد إلى القارب الذي ينام فيه كريم فما كان من سبنسر إلا أن رفع غطاء القارب . فتح كريم عينيه وظن أنه يحلم . إنقضَّ عليه سبنسر وطوقه بذراعيه شالاً حركته فيما قام بروسارد بتكميم فمه . لم تسنح لكريم فرصة للمقاومة أو حتى الإستنجاد برفيقيه .

- جلس السيد جونز على كرسيه في غرفته، وأومأ برأسه إلى سبنسر بأن يباشر مايفعله، نظر إلى كريم الذي كان مقيدًا إلى كرسي خشبي وبدا على قسمات وجهه الرعب، فيما ظهرت عليه آثار التعذيب . وقف أمامه سبنسر وارتسمت الصرامة على وجهه وهو يسأله : (برضه مش عايز تتكلم؟ أوعدك أنك مش هاتستمر على كده كتير) قالها وصفعه على وجهه بقسوة .

- طارت النظارة من على وجه كريم وسالت الدماء من بين شفتيه وكاد يبكي قائلاً : حرام عليك، والله مافاهم كلمة منك، فهمني أنت عايز إيه وأنا أعمله .



- أطلق سبنسر قبضته اليمنى في بطن كريم وهو يصيح : (براحتك، زي ما أنت عايز، عمومًا مش هاتخرج من هنا على على رجليك)

- تأوه كريم من شدة الألم واختنق صوته وهو يقول محاولاً التحدث بالإنجليزية : (أنتَ .. أنا مش عارف .. ماشي ؟)

- همَّ سبنسر بصفع كريم مرة أخرى، إلا أن السيد جونز قاطعه بلهجة آمرة : (خلاص كفاية . خذه للقبطان سميث، قوله إن ده متسلل وإن أنا مسكته على السفينة) ثم أشار إلى نظارة كريم الملقاة على أرض الغرفة قائلاً : (خذ دي كمان، مش ناقصة زبالة هنا)

- اصطحب سبنسر كريم إلى القبطان سميث الذي أصدر أوامره لأحد الضباط بوضعه في سجن السفينة، إستوقف سبنسر الضابط، وأمسك بذراع كريم وناوله نظارته وهو يبتسم في سخرية : (خُد زبالتك معاك، زي ما قال مستر جونز مش عايزين الزبالة دي هنا)

وضع كريم النظارة على وجهه ولم يُبدِ أية مقاومة والضابط يصطحبه إلى سجن الباخرة، بدا عليه الإعياء وهو يفكر، هل سيعرف صديقاه مكانه ؟ وهل سيتمكنون من الفرار من السفينة قبل غرقها ؟

●●●



- طرق مهند باب الحمام على هيثم الذي غاب في الداخل قائلاً : ياللا يا هيثم أنا خلصت ومستنيك، بقالي ساعة . بتعمل إيه كل ده !

- خرج هيثم وقد بدا عليه الإنتعاش قائلاً : أما حتة دش، كنت هاموت وأستحمى . ثم نظر إلى مهند وسأله : برضه كريم ما ظهرش ؟ الموضوع ده مش طبيعي .

- رفع مهند يده بالتحية، إلتفت هيثم فوجد بروسارد قادمًا في إتجاههما . حيا الجميع بعضهم البعض، ثم سأله هيثم : (أنت شفت كريم النهاردة يا بروس ؟)

- تحاشى بروسارد النظر في عيني هيثم، وهز رأسه نفيًا قائلاً: (ماشوفتهوش من إمبارح، أنا لسه صاحي دلوقت، معلهش إعذروني أنا هاروح أجيب أكل، أجيبلكم معايا ؟)

- شكره الاثنان . انصرف بروس تلاحقه نظرات هيثم الذي حدث مهند قائلاً : الأخ ده شكله مش مريح، أقطع دراعي إن ما كان في حاجة مخبيها .

- مهند : سيبك منه، تعال إحنا ندور على كريم، حتى لو قلبنا المركب من فوق لتحت .



- انطلقا يقطعان الباخرة إياباً وذهاباً، إستغرقهم البحث وقتًا طويلاً وهم يجوبون الباخرة العملاقة بحثًا عن صديقهما . صادفا ويليام وكارلوس أثناء رحلة البحث، أكد ويليام وكارلوس عدم رؤيتهما لكريم منذ ليلة أمس . تعجب ويليام من إختفاء كريم وتسائل هل هي صدفة أن يختفي هو وإدوارد في نفس اليوم ؟ فلقد قابلا إيلين منذ لحظات وكانت هي أيضًا تبحث عن إدوارد .

- مهند : وبعدين يا هيثم، الساعة داخلة على تسعة ومفيش أثر لكريم . هنعمل إيه دلوقتِ ؟ وكمان موضوع إدوارد ده خلى الواحد يقلق أكتر .

- أطرق هيثم برأسه إلى الأرض مفكرًا : معاك حق، الموضوع يقلق ! المشكلة إن كريم معاه الجهاز، حتى لو الجهاز معانا مش هايشتغل غير بينا إحنا التلاتة، وفوق كل ده مش ممكن كنا هانمشي من غير كريم . بص يا مهند أنا شايف إن مفيش وقت، الفرصة الوحيدة قدامنا إن إحنا نحاول ننقذ المركب دي، وبكده نضرب عصفورين بحجر، ننقذ حياة الركاب ويبقى عندنا وقت ندور على كريم لحد ما نلاقيه .

- مهند : أنت رجعت في كلامك يا هيثم ولا إيه ! أمال فين بأه إن إحنا مش ممكن نغير التاريخ، وإن المركب هاتغرق مهما حصل !

- طيب وعلى فرض إن إننا هنحاول فعلاً ويمكن نعرف ننقذها، هانعملها إزاي دي ؟ نروح لقبطان المركب نقوله إن كل الناس اللي أكدوا إن المركب مستحيل تغرق، بيضحكوا عليه وأنها هاتغرق النهاردة بالليل!

- هز هيثم رأسه : مش بالظبط كده . بص أنا عندي فكرة، إحنا هنروحله بصفتنا ركاب وخصوصًا إننا لابسين عادي دلوقتِ . نستأذنه إننا نقعد معاه شوية في غرفة القيادة لإن دي فرصة عظيمة مابتتكررش إننا نقعد مع قبطان من أعظم القباطنة في العالم ونشوف إزاي هو بيتحكم في باخرة عملاقة زي دي .

خد بالك إننا عندنا نقطة قوة، إحنا عارفين المركب دي غرقت إزاي .

- قال مهند معقبًا : آه طبعًا، المركب خبطت في جبل جليد فحصل قطع كبير في جنبها وغرقت . وطبعًا أنت ناوي تحذر القبطان من الجبل ده وإحنا معاه في الكابينة، وبكده المركب مش هاتغرق . مظبوط ؟

- ابتسم هيثم : بالظبط كده . وإحنا في الكابينة، أنت هتراقب جنب وأنا هراقب الجنب التاني . وننبه القبطان ويأخد باله وربنا يسترها والمركب ماتغرقش .



- أومأ مهند برأسه موافقًا : توكلنا على اللّه .

●●●

كان سجن الباخرة عبارة عن غرفة مستطيلة الشكل، لها واجهة من القضبان الفولاذية، يتألف السجن من أربعة من الزنزانات يفصل فيما بينها قضبان فولاذية كالتي في الواجهة، كما أن لكل زنزانة باب من الفولاذ يتم غلقه بمزلاج حديدي مثبت عليه قفل ضخم يصعب تحطيمه .

- تلفَّت كريم حوله في زنزانته الضيقة وأنتابه القلق وهو ينظر في ساعته محدثًا نفسه : هو أنا هاموت في تيتانيك ولا إيه ! المركب فاضلها ساعتين وتغرق . أخرج الجهاز من جيبه وتفحصه أظهرت العلامة وصول الجهاز لكامل الشحن .

إلتفت إلى الزنزانة المجاورة، فرأى جسدًا ممددًا على أرضيتها . دقق النظر جيدًا، فإذا به إدوارد، لم يكن واضحًا، أهو نائم أم غائب عن الوعي . صاح مناديًا : إدوارد، إدوارد . لم ينبس إدوارد ببنت شفة، حاول أن يمد يده ما بين القضبان محاولاً إيقاظه، إلا أنه فشل في الوصول إليه .

أدخل رجله اليمنى مابين القضبان ودفعه برفق وهو ينادي عليه : إدوارد ... إدواااارد . مضت لحظات وإعتدل إدوارد جالسًا



وأمسك رأسه من شدة الألم . محاولاً تذكر ماحدث . آخر ما يذكره أنه كان يقف مع بروس أمام باب غرفته، وإذ بالباب يفتح ويجد سبنسر واقفًا أمامه قائلاً : (لسه مالاقيتش التذاكر ؟)، وبدون سابق إنذار آتته ضربة من الخلف على مؤخرة رأسه . أظلم بعدها كل شيء . إدوارد.... إدوااااارد.

- نظر إدوارد إلى مصدر الصوت، رفع حاجبيه في دهشة : (كريم ! إيه اللي حصل ؟ إيه اللي جابك هنا؟)

- كاد كريم أن يبكي من شدة الفرح قائلاً : إدوارد، الحمد لله إنك بخير . قلقتني عليك .

- نظر إليه إدوارد وبدت عليه أمارات عدم الفهم وهو يقول : (كريم، أنامش فاهم حاجة)

- مطّ كريم شفتيه وتطلع إليه في حسرة : أنا مش هاعرف أفهمك، المركب دي فاضلها أقل من ساعتين وتغرق ونموت كلنا . قوللى بأه نعمل إيه ؟ تنهد قليلاً وتذكر صديقاه قائلاً: يارب تعرفوا تعملوا حاجة .

●●●

- كان هيثم ومهند واقفين مع القبطان سميث في غرفة القيادة، يتبادلون الأحاديث الضاحكة، ويحكي لهما عن زيارته لمصر



وذكرياته بمدينة الأسكندرية التي سحرته بجمالها. ظهر جليًا أن خطة هيثم بدأت تؤتي ثمارها . إلا أن غياب القمر وتكتل السحب في السماء جعل من الصعوبة مراقبة ما حولهم . نظر هيثم إلى ساعته فإذا هي قد تجاوزت الحادية عشر مساءً .

- فجأة صاح مهند بعلو صوته وهو يشير إلى الأمام :(حاسب، حاسب يا قبطان . في جبل قدامنا)

كان الظلام دامسًا بحق . أمسك القبطان سميث بالتليسكوب محاولاً تبين ما أشار إليه مهند، إتسعت عيناه مع رؤيته للجبل الجليدي الذي يقبع أمامهم مباشرة ولا يفصلهم عنه سوى أمتار قليلة، أدار الدفة إلى جهة اليمين قدر إستطاعته وضغط على صافرة الإنذار . أمسك بجهاز الإتصال وأخذ يصدر أوامره لغرفة المحركات بتخفيف السرعة . كان رابط الجأش يعرف بخبرته الطويلة أنه يمكنه أن يعبر بالباخرة والركاب إلى بر الأمان إذا لم يفقد أعصابه . بذل جهدًا خارقًا ليحافظ على رباطة جأشه وهو يعطي أوامره للطاقم . تحولت السفينة لخلية نحل وانطلق الطاقم يسابق الزمن لتنفذ أوامر القبطان سميث بحذافيرها .

تعالت الصرخات وساد الهرج الباخرة التي كادت أن ترتطم بجانبها الأيسر بالجبل الجليدي وهي تنحرف لجهة اليمين بشكل حاد، إلا أن إوامر القبطان سميث وسيطرته على سرعة السفينة



وإتجاهها حال دون ذلك. خيم الوجوم على ركاب الباخرة وساد الصمت والكل يترقب وينتظر الإرتطام . كاد الجانب الأيسر أن يحتك بالجبل والباخرة تميل على جانبها الأيمن بشدة، إلا أنها نجت من الإرتطام بشق الأنفس .

- هلل الجميع فرحًا بالنجاة واحتضن هيثم مهند وهو يطير فرحًا : الحمد لله يا مهند، عملناها .

- إحتضنه مهند بدوره وانهمرت دموع الفرح وهو يصيح : الحمد لله، الحمد لله، المركب مش هاتغرق . التيتانيك ماغرقتش يا تاريخ . التيتانيك مش هاتغرق .

- ثم نظر إلى ساعته التي قاربت من منتصف الليل، وإلتفت إلى القبطان سميث الذي كان ينظر عبر التليسكوب محاولاً أن يتبين الطريق أمام الباخرة في هذا الظلام الدامس . دقق القبطان النظر فوجد قطعة من الجليد طافية على وجه الماء فلم يعيرها انتباهًا، فقال محدثًا نفسه في زهو : لم يتمكن جبل الجليد من هزيمتي، فهل ستهزمينني أنتِ أيتها الصغيرة! إنها التيتانيك قاهرة المحيطات . ثم صاح في جهاز الإتصال الداخلي : (أقصى سرعة . إلى الأمام)

- بووووم . كان صوت الإرتطام عنيفًا . فلم تكن فقط قطعة جليد طافية، بل كان جبل جليدي أطلت قمته أو بالأحرى جزء



منها فوق الماء . نظر مهند إلى هيثم وأسقط في أيديهما، لقد أدركا أن الجميع هالكون لا محالة .

- بدأت أصوات الصراخ تتعالى من الدرجة الثالثة التي بدأت المياه تغمرها، فيما ترك هيثم القبطان سميث في غرفة القيادة ونزل ركضًا يتبعه مهند إلى قوارب النجاة آملين في وجود كريم ليرحلوا عن الباخرة بأقصى سرعة، ظهرت خيبة الأمل على وجهيهما عندما لم يجدوا كريم . قال هيثم : لِمّ حاجتك بسرعة وأنا هاجيب حاجتي أنا وكريم . الناس هيركبوا المراكب دي دلوقت .

لم تمضِ سوى بضع دقائق، وكان مهند وهيثم قد اجتمعا ومعهما الحقائب . نظرا لبعضهما البعض وعلامات الآسى على وجهيهما وقد أدركا مصيرهما . (مهنااد، مهنااااااد) كان صوتًا أنثويًا يأتي من بعيد . دققا النظر في إتجاهه، كانت إيلين تأتي راكضة في إتجاههما وقد بللتها المياه تمامًا، نظرا إليها في تساؤل.

- قالت إيلين وهي تحاول إلتقاط أنفاسها : (تعالوا معايا بسرعة، السجن في الدور التحتاني . الدور كله غرق ميه وحاولت أكسر باب زنزانة إدوارد ماعرفتش . علشان خاطري ساعدوني، إدوارد هايموت)، وأخذت تنتحب . حاولت تجفيف دموعها وهي تقول : (وكمان صاحبكم محبوس هناك)



- صاح الإثنان في صوت واحد : كريم ؟ أومأت برأسها إيجابًا .

- انطلق ثلاثتهم إلى الطابق السفلي يشقون طريقهم بصعوبة وسط جموع الركاب الذين يحاولون الصعود إلى سطح الباخرة للنجاة بحياتهم، إستطاعوا الوصول للسجن بشق الأنفس .

- كان منسوب المياه قد ارتفع في السجن وكريم يتمسك بكلتا يديه في ماسورة مثبتة في سقف الزنزانة وقد وصلت المياه إلى صدره، وهو يحاول جاهدًا أن يرفع نفسه قدر إستطاعته .

- صاح مهند : كريم، كريم . الحمد لله .

- صرخ كريم في لهفة : إلحقني يا مهند خلاص هاموت .

تلفت هيثم حوله باحثًا عن شيءٍ يحطم به قفل الزنزانة، وقعت عيناه على بلطة حديدية معلقة في صندوق حديدي ذو واجهة زجاجية، حطم هيثم الواجهة الزجاجية وانتزع البلطة وانهال ضربًا بكل ما أوتي من قوة على قفل زنزانة كريم .

ما هي إلا لحظات حتى تحطم القفل . فتح مهند باب الزنزانة واحتضنا كلاهما كريم، وأسرع هيثم لمساعدة إيلين وحطم قفل زنزانة إدوارد .

- احتضنت إيلين إدوارد في لهفة وهي تبكي قائلة : (أنا كنت فاكره إني فقدتك للأبد، مش هاسيبك أبدًا)



- نظر إليها مهند قائلاً : (هو حضرتِك لو ماتحركناش دلوقتي هاتفقدينا كلنا) . يالـلا ياحاجة اللّه لا يسيئك .

- نظرت إليه إيلين متسائلة : (بتقول حاجة يا مهند ؟)

- مهند : (مفيش، بقول ربنا يهنيكوا ببعض، يالـلا بينا كفاية كده)

- اندفعوا مسرعين إلى الطابق الأول، كانت الباخرة قد مالت على جانبها الأيمن وقد غمرت المياه أجزاء كبيرة منها .

- كان طاقم السفينة يسابق الزمن ويقومون بإنزال قوارب النجاة ويرتب أولوية الركوب للنساء والأطفال . ظهر جليًا أن القوارب لن تكفي الركاب جميعًا، ألقى بعض الركاب بأنفسهم إلى مياه المحيط في محاولة يائسة للنجاة بحياتهم .

- جاهد مهند وهيثم وكريم ليصعدوا إلى أعلى نقطة على الجانب الأيسر للباخرة التي غمرتها المياه تقريبًا . إلتقطوا أنفاسهم من فرط ما بذلوه من جهد، وضع كل منهم حقيبته على ظهره وأخرج كريم الجهاز وضغط زر التشغيل . إتسعت عينا كريم في رعب وهو يقول : الميه دخلت جوه الجهاز، الشاشة مش عايزه تنور .

- صاح به هيثم : يعني إيه ؟ مش الجهاز ضد الميه ؟



- أومأ كريم برأسه إيجابًا : أيوه ضد الميه، بس مش معنى كده إنه يفضل في الميه المالحة المدة دي كلها لما كنت في السجن .

- وصلت المياه إلى أقدامهم . فقال هيثم متوترًا : مالهاش حل، دوس (OK) وخلاص . خرجنا من هنا وبعد كده ربنا يسهلها .

ضغط كريم على زر (OK) . ولكن ... شيئًا لم يحدث .

أُسقط في أيديهم وكريم يصيح في توتر : الجهاز مش عايز يشتغل . ثم نظر إليهما صارخًا : مش عايز يشتغل .

استمر ارتفاع منسوب المياه وقد أوشكت الباخرة أن تختفي في قاع المحيط .

صاح مهند في رعب : دوس تاني يا كريم، دوس تاني .

ضغط كريم على المفتاح مرة ... ثم مرة .... ثم مرة . ظهر الرعب على ملامحهم جميعًا . نظروا إلى بعضهم البعض وقد أدركوا أن هذه نهايتهم .

استمر ارتفاع منسوب المياه حتى وصل إلى صدورهم .

- صاح هيثم : إديني الجهاز يا كريم، أمسك هيثم بالجهاز وقام برجه بشدة ثم قام بالطرق عليه بكف عدة مرات، وضغط على الزر .



- فجأة تألقت الساعات الثلاثة بضوء فيروزي وسمع الجميع صوت فرقعة مكتومة وظهرت أمامهم دائرة الطاقة، محاطة بشرارات كهربائية مع صوت فرقعات قصيرة، إلا أن هذه المرة كان جزء من الدائرة مغطى بالمياه، وقفز الثلاثة داخل الدائرة تتبعهم مياه المحيط .

●●●



الفصل الثالث





الفصل الثالث

١٠- ٩ - ٨ - ٧ - ٦ - ٥ - ٤ - ٣ - ٢ - ١ - ٠

انتهى العد التنازلي في إحدى القواعد العسكرية بولاية فلوريدا الأمريكية، وانتشرت أدخنة كثيفة تحجب الرؤية وإرتجت الأرض مع إنطلاق مكوك الفضاء الأمريكي تشالنجر وهو يشق عنان السماء . تعلقت أنظار الجميع في مركز التحكم التابع لوكالة ناسا بالشاشات العديدة التي تملأ القاعة متابعين في قلق لحظة الإطلاق .

أشارت عقارب الساعة الرقمية على الشاشة العملاقة - التي تتوسط القاعة - إلى الحادية عشر وثمانية وثلاثون دقيقة ظهرًا، بينما كان تاريخ اليوم هو الثامن والعشرون من يناير عام ١٩٨٦ .

قال السيد جراهام بالإنجليزية : (النهاردة يوم عظيم ......)

قطع حديثه صوت فرقعة مكتومة على مقربة منه، وعلى بُعد أمتار قليلة تشكلت دائرة من الطاقة محاطة بشرارات كهربائية يصحبها فرقعات قصيرة .

إلتفت الجميع إلى ما يحدث مابين فاغرًا فاه مشدوهًا، أو مختبئًا أسفل طاولات التحكم يكاد أن يغشى عليه من الرعب . لم تمضِ إلا ثوانٍ قليلة واندفعت كميات ضخمة من المياه إلى القاعة



ومعها ثلاثة أشخاص يخوضون حربًا للبقاء، وبدا عليهم أنهم قد إبتلعوا كميات لا بأس بها من المياه وهم يحاولون إنقاذ أنفسهم من الغرق .

تعالت صرخات الجميع والمياه تندفع بقوة دافعة أمامها كل ما يعترض طريقها، تمكن البعض من الفرار عبر باب الغرفة، فقد كانوا الأقرب إليه . أما الباقون، فقد دفعتهم المياه بعنف . منهم من ارتطم بقوة بالحائط المقابل، ومنهم من يجاهد لرفع رأسه فوق المياه محاولاً التشبث بطاولات التحكم الطافية بجوارهم بعدما انتزعت المياه بعضها من أماكنها .

ما هي إلا ثوانٍ قليلة واختفت الدائرة فجأة كما ظهرت بعد أن أغرقت المياه الغرفة بكل مافيها من أجهزة. وتطايرت الشرارات الكهربائية في أرجاء المكان .

دفعت المياه أمامها السيد ويليام جراهام الذي ارتطم بأحد الحوائط في عنف، كادت شدة الإرتطام أن تفقده الوعي . اتجهت أنظاره إلى لوحة التحكم الرئيسية التي تقبع في منتصف الغرفة والتي تحتوي على زر إلغاء مهمة المكوك، أو بالأحرى زر التفجير إذا ما ساءت الأمور وخرج المكوك عن مساره مهددًا حياة المدنيين. أدى الماس الكهربائي إلى إشتعال النيران في اللوحة و.. وإغلاق الدائرة الكهربائية .



نظـر جراهـام في رعـب إلـى اللوحـة المشـتعلة، وتجاهـل الآلام المبرحـة التـي يشـعر بهـا وجاهـد للوقـوف علـى أقـرب الطـاولات إليـه.

- صـرخ بأعلـى صوتـه في معاونيـه : (بسـرعة حد يفصل الكهربـاء، طفايـات الحريـق بسـرعة، حـد يطفـئ النـار)

انتـزع اثنـان منهـم أجهـزة إطفـاء الحريـق المثبتـة بجوارهمـا بينمـا اندفـع آخـران في محاولـة لفصـل التيـار الكهربائـي عـن لوحـة التحكـم.

كادا أن ينجحـا إلا أنهمـا تسـمرا في مكانيهمـا حينمـا ظهـرت على الشاشـة العملاقـة عبـارة « تم تأكيـد التفجيـر الذاتـي «، وانطلقـت صرخـة جراهـام تهـز أرجـاء المـكان (لاااااااا ااااااا) . بـوووووم، ودوي الانفجـار .

انفجـر مكـوك الفضـاء تشـالنجر . تحـول إلـى أشـلاء متناثـرة فـوق ميـاه المحيـط الأطلسـي، بعـد ٧٠ ثانيـة فقـط مـن إطلاقـه . في ثـوانٍ معـدودة دُمِـرَ مـا اسـتغرقهم بنـاؤه سـنوات مـن العمـل الشـاق والأبحـاث المضنيـة .

بـدأت أجهـزة الإطفـاء الذاتـي في العمـل لإطفـاء الحريـق الـذي اندلـع في لوحـة التحكـم وعـدد مـن الطـاولات الأخـرى، وسـاهمت الميـاه التـي أغرقـت المـكان في الحـد مـن أنتشـاره .



كانت القاعدة مجهزة بنظام آلي لإطفاء الحرائق علاوة على أنظمة أخرى لمجابهة الكوارث المحتملة . جُهزَت القاعدة بهذه الأنظمة طبقًا لآراء الخبراء بعد دراسة السيناريوهات المحتملة للمخاطر التي من الممكن أن تتعرض لها القاعدة .

إلا أنه لم يكن أيًا من هذه السيناريوهات وضع إحتمالية أن تُغرق مياه المحيط الأطلسي إحدى غرف القاعدة الموجودة في قلب الصحراء . فقد كان إحتمال من المستحيل حدوثه، وكان هذا بالتاكيد خطأ منهم.

بدأت المياه في الإنحسار عبر فتحات الصرف الموجودة في الغرفة، وعلى الأرض تمدد ثلاثة من الشباب يسعلون بشدة وقد بدا عليهم الإعياء مبللين تمامًا كأنما قد خرجوا للتو من أعماق المحيط .

- ساد صمت لم يقطعه سوى صوت مدير وكالة ناسا وهو يصرخ مشيرًا إلى هيثم ومهند وكريم قائلاً :

(أمسكوا بهم،استدعوا الأمن، استدعوا الـ إف بي آي، استدعوا الـ سي آي آيه .... استدعوا الجيش، استدعوا الحرس الوطني، استدعوا الرئيس) وانهار جالسًا لا يصدق ما حدث .



انطلق جميع من في الغرفة يحيطون بالثلاثة، فيما ضغط آخر على زر الطوارئ ودوي جرس الإنذار في القاعدة، وما هي إلا لحظات حتى أحاطت بالمبنى عربات الإطفاء والإسعاف بالإضافة إلى عدد من المدرعات المحملة بالجنود . فيما اقتحم الغرفة جنود مدججين بالسلاح وأحاطوا بثلاثتهم .

لم يعر هيثم أومهند انتباهًا لما يحدث، فقد كانا يحاولان في إستماته إفاقة كريم الغائب عن الوعي والذي لم يبدر منه مايدل على بقائه على قيد الحياة .

- صاح مهند بصوت متحشرج : كريم، اصحى يا كريم فوق. زاد توتره بعدما وضع أذنه فوق صدر كريم لعله يسمع دقات قلبه إلا أنه لم يجد سوى الصمت .

- كان هيثم يبذل قصارى جهده وهو يضغط على صدر كريم براحتي يديه بكل قوة، وهو يقوم بالتنفس الصناعي محاولاً دفع الرئة للعمل ولكن بدا أنها رفضت الانصياع لأوامره . صرخ بعلو صوته : كريييييييم .

أُسقط في يديه عندما لم تصدر عنه إستجابة، فلم يكن واضحًا، هل فقد كريم الوعي أم .... الحياة ؟ إعتدل في جلسته ودفن وجهه بين كفيه وأطلق لدموعه العنان .



- انتفض السيد ويليام جراهام واقفًا عندما وقف بجانبه الجنرال ويلسون الذي بادر بسؤاله عما حدث، تمالك جراهام نفسه وحبس دموعه وهو يقول : (أنا مش شايف أي تفسير للي حصل غير إن دي عملية تخريب متعمدة . إحنا فجأة لقينا نور جامد في وسط الأوضة وكمية مياه رهيبة زي مية البحر غَرَّقَت كل حاجة هنا، وحصل ماس كهربائي وأجهزة كتير ولعت ومنها لوحة التحكم الرئيسية، والماس ده كان السبب في تشغيل التفجير الذاتي وحصل اللي حصل)

صمت قليلاً وأطرق مفكرًا ثم مالبث أن إتسعت عيناه وهويقول : (أيوه صح، مالهاش تفسير تاني)، ثم أشار للثلاثة قائلاً : (التلاتة دول جواسيس روس، وده سلاح روسي جديد عايزين يثبتوا بيه تفوقهم علينا)

- أومأ الجنرال ويلسون برأسه متفهمًا ثم وضع يده على كتف أحد الجنود الذي إلتفت إليه ومالبث أن شد قامته وأدى التحية العسكرية وهو يفسح له الطريق . وقف على بعد خطوات قليلة منهم وهو يقول في صوت خشن ولهجة صارمة باللغة الإنجليزية : (أنتم مين ؟ ودخلتوا هنا إزاي ؟)

- رفع مهند بصره إلى الجنرال قائلاً بصوت غلب عليه الرجاء: (أرجوك ساعدنا، كريم ...) لم يستطع إكمال جملته، وانهمرت الدموع من عينيه .



- أومأ الجنرال برأسه إلى أحد معاونيه الذي مالبث أن أصدر أوامره بإستدعاء المسعفين . اقتحم المسعفين الغرفة ووضعوا كريم على إحدى النقالات وانطلقوا يسابقون الزمن الذي بدا أنه لم يكن في صالحهم أو بالأحرى في صالح كريم .

- أصدر الجنرال ويلسون أوامره إلى معاونه الرائد شيبرد : (عايز حراسة مشددة على المستشفى كلها، مفيش حد غريب يدخل، حتى طقم المستشفى نفسه مفيش دخول ولا خروج لأي حد منهم إلا لما تتأكدوا من شخصيته)

- صمت قليلاً ثم أشار إلى مهند وهيثم قائلاً: (خد الإتنين دول على غرفة التحقيقات، عايز معلومات كاملة . مفيش وقت، الـ إف بي آي و الـ سي آي آيه هتلاقيهم هنا في أي وقت. أكيد الرئيس ووزير الدفاع هايكونوا عايزين تقرير مفصل باللي حصل، وهاكون أنا أول واحد يبلغهم)

- أومأ الرائد شيبرد برأسه متفهمًا وهو يقول : (تحت أمر سيادتك يافندم، التقرير هايكون عند حضرتك في أسرع وقت)

الرائد مارك شيبرد مساعد الجنرال ويلسون، خريج كلية الويست بوينت الأمريكية . متوسط القامة نحيف الوجه والقوام، أبيض البشرة، له شعر بني مائل للإصفرار وعينان عسليتان،

رياضته المفضلة البيسبول التي يجيدها، ويقضي ساعات طويلة في عطلة نهاية الأسبوع يمارسها مع أصدقائه في حديقة منزله بمدينة نيويورك .

- هم شيبرد بالإنصراف إلا أن الجنرال ويلسون إستوقفه قائلاً: (إعمل معاهم اللي أنت عايزه يا مارك . المهم تاخد منهم كل المعلومات اللي يعرفوها . هم مين ؟ دخلوا هنا إزاي ؟ مين اللي مشغلهم ؟ إيه مهمتهم؟ عايز أعرف عنهم كل حاجة من ساعة ما إتولدوا)

- ثم ضغط على أسنانه قائلاً: (استخدم أي طريقة، سمعتني؟ أي طريقة، المهم النتيجة)

●●●

في غرفة الطوارئ تمدد جسد كريم دون حراك وقد إتصلت بجسده العديد من الأجهزة، منها مايقيس وظائفه الحيوية ومنها للتنفس الصناعي، وأخرى تسحب المياه التي تملأ رئتيه . تعلقت فجأة أنظار الأطباء بجهاز قياس ضربات القلب الذي ارتسمت على شاشته خطًا مستقيمًا مع إصداره صفيرًا متصلاً ليعلن توقف القلب عن العمل .



- صاح الطبيب توم في الممرضة الواقفة بجواره : (بسرعة جهاز الصدمات الكهربائية، المريض بيموت بسرعة)

- أسرعت الممرضة بضبط الجهاز على الدرجة المطلوبة ووضعت بعض الجيل على قطعتيه وناولته للطبيب . أمسك الطبيب بقطعتي الجهاز وضعهما على صدر كريم وهو يصيح في زملاءه : (ابعدوا)

- انتفض جسد كريم بشدة من قوة التيار الكهربي الذي سرى فيه، نظر الأطباء إلى شاشة جهاز القلب ولكن شيئًا لم يتغير، مازال الخط كما هو والصفير مستمرًا . صاح الطبيب في الممرضة : (مرة تاني، زودي قوة الكهرباء كمان درجة)

- نفذت الممرضة ما أمرها به رئيسها ثم وضعت بعض الجيل على قطعتي الجهاز وناولته إياه، ومرة أخرى انتفض جسد كريم من الصدمة الكهربائية، وبقيت شاشة الجهاز كما هي .

- إلتفت توم إلى أحد زملائه الذي وضع يده على كتفه قائلاً : (مفيش فايدة يا توم، ماتتعبش نفسك، واضح إن جسمه ما إستحملش كمية الميه اللي دخلت الرئة)

- ظهرت علامات التأثر على وجه توم وهو يقول : (لأ، ده لسه شاب صغير) صمت قليلاً وظهرت في عينيه نظرة تحدي وهو يقول لمساعدته : (دوريس، بسرعة زودي الجهاز ٣ درجات)



- (ابعدوا) قالها توم بعلو صوته واضعًا قطعتى الجهاز على صدر كريم وهو يصيح : (يالـلااااااااا)

ساد الصمت الغرفة وأطرق توم بنظره إلى الأرض وهو يهز رأسه في آسى، عندما ظلت شاشة الجهاز كما هي، معلنة أن محاولات الأطباء جميعها قد باءت بالفشل .

كانت تلك هي المرة الأولى التي يرى فيها كريم، ويعرف أنه ربما كان جاسوس روسي كما تناهى إلى أسماعه . إلا أنه كطبيب لا يحب أن يفقد مريضًا بين يديه وخاصة إذا كان في ريعان شبابه.

- نظر في ساعته وقال للممرضة دوريس : (ساعة الوفاة الساعة حداشر وواحد وخمـ .....)

تيت ... تيت... تيت، قطع كلامه صوت صفير متقطع فإلتفت إلى جهاز القلب ومالبث أن اتسعت عيناه في دهشة لا يصدق ما يراه على الشاشة، فقد بدا جليًا أن قلب كريم قد بدأ في العمل مرة أخرى .

- هرع توم وزملاؤه إلى كريم يحاولون ألا يفقدوه مرة أخرى. تمالك توم نفسه وهو بالكاد يصدق ما تراه عينيه، فصاح في حماس: (دوريس، حقنة أتروبين بسرعة . سيبيه على جهاز التنفس الصناعي لحد ما الميه تطلع من صدره والرئة تشتغل طبيعي) .



- كتب قائمة بالأدوية المطلوبة لكريم، وأصدر لها أوامره قائلاً: (علقي له محاليل دلوقتِ وتتغير بصفة مستمرة . هاتديله حُقَن بس لغاية مايفوق وبعدين حسب حالته نبقى نتصرف، إحنا مش عارفين هايفوق إمتى . عايز متابعة مستمرة ٢٤ /٧)

- نظرت إليه دوريس وعلى شفتيها إبتسامة قائلة : (حاضر يا دكتور توماس)

توماس بيترسون، رائد طبيب يعمل بالجيش الأمريكي منذ عام ١٩٧٣ . متوسط القامة، أبيض البشرة ذو وجه مستدير يعلوه شعر أصفر اللون، يرتدي نظارات طبية تحتهما عينان زرقاوتان. يشهد له زملاؤه بدماثة خلقه وطيبة قلبه. كما تنم ملابسه عن مدى إهتمامه بمظهره .

- ألقى توم بجسده على أقرب المقاعد إليه في إستراحة الأطباء بالمستشفى، وصدرت عنه تنهيدة كأنما أزاح حملاً ثقيلاً عن كاهله . قبل أن يقول : (اللي حصل النهاردة ده معجزة، لولا وجود دوريس معايا، كان الشاب ده راح مننا) ثم إلتفت إلى أحد زملائه يسأله : (مش كده ولا إيه يا جوش)

جوشوا سبرينجرز، نقيب طبيب تخرج من كلية الطب بجامعة ستانفورد قبل أن يلتحق للعمل بمستشفيات الجيش الأمريكي في



عام ١٩٧٧ . طويل القامة ممتلئ القوام ذو وجه مستطيل، يتوسطه شارب كث . حاد الملامح والنظرات . الصديق المقرب للرائد توم .

- نظر جوش إلى توم مبتسمًا وهو يقول : (دوريس مين يا توم! هي عملت حاجة غير إنها نفذت اللي أنت قولتلها عليه !)

- مط توم شفتيه قائلاً : (لأ عملَت كتير بس أنت اللي ما أخدتش بالك)

- تنهد جوش قليلاً قبل أن يقول : (بص ياتوم، أنا عارف إنك بتحبها، بس أنت كمان عارف إن قلبها مع واحد تاني . لأ ومش أي واحد، ده زميلك . يعني ماتحاولش) صمت قليلاً ليفكر ثم سأله : (طيب إيه رأيك في دوللي ؟)

●●●

تلفت مهند حوله فشعر أنه في المسلسل الأمريكي « تحقيقات مسرح الجريمة » الذي كان كثيرًا ما يشاهده على شاشة التليفزيون. فقد وجد نفسه في غرفة صغيرة رمادية اللون لها باب واحد، ولا يوجد بها أية نوافذ . إلا أن هناك مرآة ضخمة في منتصف الحائط الذي على يساره . توقع مهند أنه يوجد غرفة أخرى خلف المرآة بها بعض المحققين الذين يراقبونه . كانت الغرفة خالية من الأثاث فيما عدا منضدة في المنتصف على



جانبيها مقعدين . كان جالسًا على أحدهما وقد قُيِدَت يداه خلف ظهره .

- نظر إلى يمينه فوجد دلوًا مملوءًا بالمياه، حدث نفسه قائلاً : جردل ميه ! بس البتاع ده ده ماكانش في المسلسل، ربنا يستر . لفت نظره وجود راديو كاسيت في أحد أركان المنضدة . فاستطرد قائلاً : كاسيت بشرايط! هو فيه حد لسه بيستعمل الحاجات دي ! معندهمش سي دي!

صدرت منه تنهيدة وهو يحدث نفسه قائلاً : يعني نطلع من نقرة، نُقَع في زحليقة ! صمت قليلاً ثم هز رأسه في آسى قبل أن يتساءل : ياترى عامل إيه دلوقتِ ياكريم ؟ قطع أفكاره صوت الباب يُفتح ودخول الرائد شيبرد ومعه شخصٌ آخر لا يبشر وجهه بالخير .

- نظر إليه مارك قائلاً : (أنا الرائد مارك شيبرد، وده الرقيب جورج هنتر)

الرقيب جورج هنتر من القوات الخاصة الأمريكية، من أصول أفريقية، أسمر البشرة، طويل القامة بشكل ملفت، قوي البنيان . حاصل على عدة ميداليات ذهبية في العديد من بطولات الملاكمة داخل الجيش الأمريكي. حاد الطباع، معروف بشراسته .



- نظر الرقيب جورج إلى مهند قائلاً في صرامة : (بص بأه، فيه طريقتين علشان تتكلم . الطريقة السهلة و ...) ثم أمسك بالدلو ووضعه على الطاولة أمامه . واستطرد قائلاً: (والطريقة الصعبة . أنت اللي هاتحدد) ضغط على زر التسجيل بجهاز الكاسيت وهو يقول : (نبدأ الأسئلة، إسمك إيه ؟)

- نظر إليه مهند وهو يبتسم بتوتر قائلاً : (هو فيه إيه حضرتك! لَزمتها إيه بس الطريقة الصعبة، أنا هأقول على كل حاجة. بس أنت ماتعصبش نفسك)

- صاح فيه جورج : (إسمك إيه ؟)

- إبتلع مهند ريقه وهو يقول : (مهند محمد عبد السلام البهنساوي عبد السـ....)

- قاطعه جورج صائحًا : (بس كفاية . إيه ده كله ! أنا عايز اسمك الأولاني بس، ده اسمك الأولاني ؟)

- رد مهند في توتر : (لأ، ده اسمي بالكامل حضرتك، لسه فيه اسمين كمان لو تحب حضرتك أكمل يعني . بُص أنا هاشرح لحضرتك)

- زفر جورج في ضيق قائلاً : (تشرح إيه ! ده إحنا لسه في أول سؤال، بأقولك اسمك إيه !)



- قال مهند في إرتباك : (أصل حضرتك عندنا الأسماء في مصر كانت زمان بتبقى مُرَكَبَة، يعني تجيب اسمين تركبهم على بعض، عادي يعني . أنا اسم بابا مثلاً، جدي هو اللي مرك ....)

- قاطعه مارك وهو يضع يده على كتفه قائلاً : (هدأ نفسك، مفيش داعي للتوتر . معلهش هو جورج عنيف شوية ومش عايزين نزعله)

- أومأ مهند برأسه قائلاً : (مش قصدي حضرتك، أنا بحاول أفهمه بس)

- سأله مارك في هدوء : (ماشي، نبدأ من الأول . اسمك إيه ؟)

- سأله مهند : (إسمي الأولاني ؟) أومأ شيبرد برأسه، فاستطرد مهند قائلاً : (مهند)

- مارك : (منين يا مهند ؟)

- أجاب مهند في سرعة : (من مصر)

- نظر إليه مارك في دهشة قائلاً : (من مصر !!)

- حدق فيه جورج لبرهة من الوقت قبل أن يقول باللغة الروسية التي يجيدها : (قولت اسمك إيه ؟)



- نظر إليه مهند في عدم فهم قائلاً : (هه ؟ حضرتك بتكلمني؟)

- استند جورج على المنضدة بيديه ومال للأمام مقربًا وجهه من وجه مهند وهو يضغط على أسنانه قائلاً بالإنجليزية : (أنت بتستهبل ! شكلك كده هاتتعبنا معاك) اعتدل واقفًا ثم قبض على ياقة سترة مهند دافعًا رأسه في المياه داخل الدلو بقوة .

- أخذ مهند يحاول باستماتة رفع رأسه فوق المياه وهو يكتم أنفاسه، إلا أن محاولاته باءت بالفشل، كاد الهواء في رئتيه أن ينفذ، لم ينقذه إلا مارك عندما أمسك بذراع جورج وهو يقول له: (كفايه كده يا جورج)

- ترك جورج ياقة مهند الذي رفع رأسه يلتقط أنفاسه وهو يسعل، وارتمى على الكرسي وهو يقول بالعربية: حرام عليكم يا ناس، كفاية مية بأه . أنا شارب ميه تكفيني عشر سنين قدام .

- نظر مارك إلى جورج في حيرة ثم أشار لمهند قائلاً : (اللغة دي مش روسي، دي زي ماتكون عربي . أنا عندي شريط أغاني عربي كنت واخده من مصطفى جاري، بيتهأيلي دي نفس اللغة)

- إلتفت إلى مهند وأسرع يفتش في ملابسه وسرعان ما إلتقط محفظته وأخذ يفحص مافيها . لم تكن المحفظة قد جفت



بعد، فمازالت قطرات المياه تتساقط منها . مضت لحظات ثم أمسك بطاقة مهند الشخصية ونظر إلى جورج وعلى وجهه أمارات الدهشة وهو يقول : (غالبًا دي بطاقته الشخصية، عليها صورته . بس مش فاهم منها حاجة . وده كارت فيزا شكله غريب برضه ومكتوب عليه البيانات بالإنجليزي، بس مش دي المشكلة، المشكلة إن تاريخ انتهاء الكارت هو شهر إبريل سنة ٢٠١٩).

- نظر جورج إلى مارك وهو يقول متهكمًا : (ده شغل الـ كي جي بي واضح جدًا . ولا أنت عايز لما الروس يبعتوا جاسوس ليهم، يبعتوا معاه البطاقه الشخصية ويكتبوها لك كمان بالروسي ! مايكتبوا على صدره «أنا جاسوس روسي» أحسن).

- نظر إليه مارك في غضب قائلاً : (ماتنساش نفسك واتكلم كويس يا رقيب هنتر، أنت بتكلم الرائد مارك شيبرد، القائد بتاعك)

- كتم جورج غيظه وأشاح بنظره وهو يتمتم بكلمات غير مفهومة .

- تجاهله مارك ونظر إلى مهند قائلاً : (طيب لو فرضنا إنك بتقول الصراحة، إيه اللي جابك هنا ؟ ودخلت هنا إزاي ؟ وإيه موضوع ٢٠١٩ اللي مكتوب على الكارت ده ؟)



- تنهد مهند وهو يقول : (أنا هأقول لحضرتك، هاحكيلك على كل حاجة)

●●●

- (معاك سيجارة)

- إلتفت هيثم إلى الصوت القادم من أحد أركان غرفة الحبس التي تم إقتياده إليها لحين البدء في التحقيق، رد قائلاً : (لأ، أنا ما بدخنش)، دقق هيثم النظر في مُحَدِثَهُ، وعلى الضوء الخافت تبين أنه فتى صغير الحجم يقبع في الظلام في ركن الغرفة . إلا أنه لم يستطع تبين ملامحه .

كانت غرفة السجن صغيرة الحجم . بها باب حديدي ونافذة صغيرة على ارتفاع عالٍ لا تسمح بمرور شخص بالغ، كما لا توجد بها وسيلة إضاءة، وإنما يتخللها بعض الضوء عبر النافذة ومن بين قضبان الباب الحديدي .

- اقترب الشخص الأخر من هيثم حتى وقع في بقعة الضوء، ونظر إليه قائلاً : (أنت شكلك مش من القاعدة، إيه اللي جابك هنا ؟)

- نظر إليه هيثم فوجد أنه فتى في أوائل العشرينات من عمره صغير الحجم، يرتدي الملابس العسكرية كالتي يرتديها الجنود



الذين ألقوا القبض عليهم . تبدو على ملامحه الطيبة أجابه قائلاً : (أنا اسمي هيثم، أما إيه اللي جابني هنا، فدي حكاية طويلة)

- مد آدم يده مصافحًا هيثم وهو يقول : (أنا اسمي آدم مايرز، جندي في الجيش، كنت بعمل في مكتب الجنرال ويلسون، وهو اللي دخلني السجن علشان مارضيتش أنفذ أوامره وأفتن على زمايلي)، صمت قليلاً ثم سأل هيثم : (أنت صحيح من روسيا ؟)

- رفع هيثم حاجبيه في دهشة قائلاً : (روسيا !! إشمعنى يعني روسيا ؟)

- أجاب آدم في سرعة : (ده مش كلامي أنا، ده كلام الحارس اللي بره . هو دفعتي وهو اللي قالي إنهم قبضوا عليكم بعد مافجرتوا المكوك تشالنجر، وإنكم جواسيس روس)

- نظر إليه هيثم في استغراب قائلاً : (جواسيس روس ! فجرنا المكوك تشالنجر ! إيه الكلام الفارغ ده !) ومالبث أن سأله : (هو إحنا سنة كام يا آدم ؟)

- أجابه آدم : (سنة كام ! أنت شربت على الصبح كده !)

- هز هيثم رأسه وهو يتهد قائلاً : (يا عم أنا ما بَشربش أصلاً، قولى بس تاريخ النهاردة إيه، وسنة كام)



- هز آدم كتفيه قائلاً : (النهاردة ٢٨ يناير ١٩٨٦، هو فيه إيه؟)

- تجاهله هيثم وأطرق بنظره إلى الأرض مفكرًا ثم تمتم قائلاً: ده إحنا جينا في عز التوتر بين روسيا وأمريكا، علشان كده بيقولوا علينا جواسيس روس . يادي المصيبة .

- انتزعه من أفكاره صوت آدم وهو يسأله : (هو أنتم فجرتوا المكوك إزاي ؟)

- رفع هيثم نظره إليه ثم انفعل قائلاً في عصبية : (مكوك إيه اللي فجرناه ! إيه الكلام الفارغ ده ! الدنيا كلها عارفة إن المكوك انفجر نتيجة عطل فني . يعني مش إحنا خالص)

- قال له آدم : (هدي نفسك، هو أنا اللي بأقول ! ده الكلام اللي بيتقال هنا)

- تنهد هيثم ثم حاول تخفيف التوتر فقال : (معلهش يا آدم، الواحد بس متوتر شوية) . صمت قليلاً ثم سأله : (ماقولتليش أنت منين ؟)

- ابتسم آدم في زهو قائلاً : (أنا من ولاية أيداهو) صمت قليلاً ثم قال في صوت منخفض : (شكلي كده راجعلها قريب)

- سأله هيثم : (أنت زعلان إنك راجع بيتك !)



- أجاب آدم في سرعة : (لأ طبعًا مش زعلان، بس المشكلة إن الجنرال ويلسون هايدخلني محكمة عسكرية . يعني غالبًا هاطلع من الجيش) صمت قليلاً ثم أردف قائلاً : (أنا اللي غلطان من الأول، أنا بابا جنرال كبير في البحرية، وكان بيتحايل عليَ أني أروح معاه وهو هايظَبّطنِي . أنا اللي مارضيتش وقولتله إني عايز أعتمد على نفسي . الظاهر إني كنت غلطان)، هز راسه وهو يقول : (بس ملحوقه)

نظر إلى هيثم وسأله : (أنت فعلاً روسي ؟)

- زفر هيثم وهز رأسه قائلاً : (ياعم أنا ولا روسي ولا حاجة، أنا مصري وجيت هنا غلط)

- سأله آدم : (جيت هنا غلط إزاي يعني ؟)

- نظر هيثم في عيني آدم مطولاً كأنما يفكر في شيء ما ثم حزم أمره ووضع يده يتحسس جيب سترته وهو يقول : (اللي ودانا في داهية جهاز صغير ....) قطع كلامه فجأة وانتفض واقفًا يفتش في جيوبه .

ظهرت علامات الرعب على وجهه وهو يصيح : الجهاز !!

●●●



- أفاق كريم من غيبوبته وفتح عينيه بصعوبة وهو يقول في صوت خافت : أنا فين ؟ إيه اللي حصل ؟

كان راقدًا على فراش أبيض اللون وهناك العديد من الأجهزة موصلة بجسده، تلفت حوله فوجد نفسه في غرفة متوسطة الحجم جدرانها مطلية باللون الأبيض . رفع يده في صعوبة وأزاح قناع الأوكسجين من على وجهه وأخذ يسعل في شدة . سرعان ما انفتح باب الغرفة ودخلت منه دوريس مسرعة ومعها ممرضة أخرى .

- نظر إليهما كريم ورفع حاجبيه في دهشة قبل أن يقول في صوت مجهد : أنا فين ؟ أنتم مين ؟ إيه اللي جابني هنا ؟ هو أنا خلاص مُت ودخلت الجنة ؟

- أعادت دوريس وضع قناع الأوكسجين على وجهه وهي تخاطب الممرضة الأخرى قائلة : (دوللي، بسرعة شوي في الضغط)، إلتفتت إلى كريم قائلة : (مافيش داعي تشيل الماسك من على وشك . وكمان الحركة ممنوع، ماتتحركش من السرير نهائي، مش عايزين أي إجهاد . ده أنت إتكتبلك عمر جديد)

- تلفت كريم حوله باحثًا عن نظارته الطبية، فوجدها على المنضدة بجواره . ثبتها أمام عينيه ونظر إلي دوريس يتفحصها، كانت شقراء فاتنة، زادها زي التمريض الوردي اللون جمالاً . طويلة القامة ممشوقة القوام . ذكرته بالفاتنة



روز على التيتانيك . هز كريم رأسه في آسى وهو يتمتم والقناع على وجهه : يا ستى حرام عليكي، مش فاهم منك حاجة .

- إلتفتت دوريس إلى دوللي قائلة : (خليكي هنا يادوللي، قيسي الضغط وخدي عينة دم علشان السكر وباقي الفحوصات، وأنا هابلغ الدكتور توماس علشان ييجي يشوف الحالة بنفسه ويكتب الأدوية اللازمة)

- غادرت دوريس الغرفة تاركة دوللي تقوم بما هو مطلوب منها، فقامت بتركيب الجهاز على ذراع كريم وبدأت في قياس الضغط . مضت لحظات ثم نظرت إليه قائلة : (الضغط تمام، ١٢٠/٨٠)

أخذ كريم يتابعها في شغف، كانت فتاة خمرية اللون ذات شعر أسود فاحم وعينان واسعتان سوداوتان، في أوائل العقد الثالث من العمر، لها وجه دائري يتوسطه أنف دقيق وشفتان ممتلئتان . متوسطة الطول، ذات جسد رياضي .

- أمسكت بحقنة فارغة لتسحب عينة دم . لم يكد طرف الإبرة يدخل ذراع كريم حتى صرخ من الألم، نظرت إليه في دهشة قائلة : (أنت بتصرخ ليه ! أنا ما عملتش حاجة، دي شكة إبرة يستحملها عيل صغير، مش واحد زيك)



- أزاح كريم القناع ونظر إليها قائلاً : واللّه مافاهم حاجة . هو أنا في الجنة ولا بحلم ؟

- نظرت إليه وهي تسحب عينة الدم قائلة : (لو سمحت حُط الماسك على وشك زي ماكان)

- تنهد وهو يقول : وحياتك ما فاهم منك ولا كلمة، بس مش مهم . حتى مش مهم أعرف أنا فين، المهم أني معاكي أنتِ، يا نهار أبيض على الجمال، يخرب بيتك حلاوتك، إيه الجمال ده ! هو فيه كده ! إيه عينيكي اللي موتتني دي، ولا شعرك الجامد ده، ولا جسمك اللي ...

- لهون و ستوب . شو بيك يا زلمة ! هلا بلشت تفيق وعم تبصبصلي !

- فغر كريم فاه واختلطت مشاعره مابين الفرحة والخجل وأخذ يتلعثم قائلاً : إن .. إن .. إنتي بتتكلمي عربي ؟

- قالت دوللي : إيه، بحكي عربي . شو بيك ؟

- تورّدت وجنتاه وعدل وضع نظارته على أنفه، وهو يقول : بتحكي عربي ! طيب فهمتي من أول فين ؟

- نظرت له وهزت رأسها وهي تتنهد : فهمت عليك من أول



مافيقت وعملتلي فيها شاعر العرب . أنت بتحكي مصري منيح . غريبة، أنت مش روسي !

- تقلصت قسمات وجهه وهو يجيب : روسي ! لأ طبعًا، روسي إيه وكلام فارغ إيه ! أنا مصري أبًا عن جد . جبتي الكلام ده منين ؟

- ردت قائلة : ده الحكي اللي كان بيحكيه الدكتور توم . اللي كان عم يسعفك .

- نظر إليها في بلاهة متسائلاً : توم مين ؟ أنا فين أصلاً ؟

- نظرت له في إستغراب قائلة : أنت بالمستشفى يا زلمة، مالك حايص ! أنت فقدت الذاكرة ؟ بتعرف شو اسمك ؟

- هز كريم رأسه إيجابًا وهو يقول : أيوه طبعًا عارف، أنا إسمي كريم . قوليلي أنتِ الأول، إسمك إيه ؟ وإتعلمتي عربي فين ؟

- أجابته دوللي في توتر : لو حدا شافني بحكي معك راح تتخربط الدنيا فوق رأسي . الكل بيعرف إنك جاسوس روسي. أنا ممكن أفوت على المحكمة العسكرية منشان بحكي معك .

- نظر إيها قائلاً : والله العظيم لا أنا جاسوس ولا حتى روسي. أنا مصري . مش عارف جبتوا الكلام ده منين! بذمتك ده منظر جاسوس ؟



- ارتسمت على شفتيها إبتسامة رقيقة وهي تهز رأسها بالنفي، تهللت أساريره وهو يقول : شوفتي بأه، أصل أنا طيب وإبن حلال، ها ماقولتيليش بأه، اسمِك إيه وإتعلمتي عربي فين ؟

- ترددت قليلاً ثم تنهدت قائلة : اللّه يستر . أنا إسمي دوللي، إمي لبنانية و بَيي أمريكي . ومنشان إمي لبنانية إتعلمت أحكي عربي .

- أومأ كريم برأسه قائلاً : تمام، مامتك من لبنان . طيب وباباكي منين ؟

- رَفعَت حاجبيها في دهشة وهي تقول : شو بيك يا زلمة ! أنا بحكي عربي مو إنجليزي، عم أقولك بَيي أمريكي . مافهمت علي ؟

- هز كريم رأسه دلالة على الفهم قائلاً : طيب ماتزقيش، خلاص فهمت، بيي دي يعني أبوكي . طيب أنتِ بتعملي إيه هنا؟

- تنهدت وهي تقول : مابعرف ليش بحكي معك، بس شكلك كتير مهضوم، ومابيلبق عليك الحكي بتاع جاسوس روسي .

- ارتسمت على وجهه إبتسامة عريضة وهو يقول : أنا برضه إرتحتلك جداً يا دوللي، طيب كملي بأه،إنتي بتعملي إيه هنا ؟



- ارتسمت إبتسامة بسيطة على شفتيها وهي تقول : أنا بشتغل هون . بعد ما خلصت مدرسة التمريض تبعي، بلشت بالجيش الأمريكي سنة ٨٣، يعني صار لي ٣ سنين .

- حدق في وجهها لبرهة ثم سألها : يعني إحنا في سنة ١٩٨٦ ؟

- حدقت فيه بدورها ثم قالت : دخيل الله . عن جد مابتعرف بأي سنة نحنا ؟ نحنا بسنة ١٩٨٦ . أنت فقدت الذاكرة تبعك؟

- أجابها قائلاً : لا مافقدتش حاجة بس يمكن الصدمة نستني. هو تاريخ النهاردة إيه ؟

- ردت قائلة : ٢٨ يناير، بيكفي أسئلة . أنت عم بتقول إنك مو جاسوس روسي، طيب من وين أنت ؟ وكيف جيت لهون ؟

- صمت قليلاً يفكر ثم مالبث أن حزم أمره فنظر إليها قائلاً : بصي دي حكاية طويلة، مش عارف أنا واثق فيكي كده ليه ! فيه حاجة جوايا بتقولي أثق فيكي، عمومًا أنا هأقولك بس على الله تصدقي . أنا وأصحابي جينا هنا عن طريق آلة الـ..... .

- قطع كلامه دخول الرائد توماس ومعه المرضة دوريس التي توجهت إلى كريم بسرعة ووضعت على وجهه القناع مرة أخرى قائلة في حزم : (مش أنا قولتلك ماتشيلش القناع تاني من على وشك ؟)



- ابتسم توماس ونظر إلى دوريس قائلاً : (بالراحة شوية يا دوريس، ده لسه فايق)، ثم أمسك بالتقرير الطبي المثبت بسرير كريم ليراجع البيانات المدونة به قائلاً : (طيب كويس أنا شايف إن الحالة بدأت تستقر. بس مش عايزين أي حركة من السرير نهائي)

نظر إلى كريم في صرامة وهو يقول : (لولا إنك مريض وواجبي كطبيب يحتم علي إني أعالجك، كان هايبقى فيه تصرف تاني . على العموم كلها يوم ولا إتنين بالكتير وتروح مع زمايلك على السجن)

- نظر إليه كريم ولم ينبس ببنت شفه، غادر توم الغرفة ومعه دوريس . نظرت دوللي إلى كريم وهي تقول : أكيد مافهمت منه إشي . ترجمت ما قاله توم، ثم نظرت في ساعة يدها قائلة : أووه، الساعة ٦ الصبح، لازم أمشي، بدي أريح شوي، ونكمل حكي بعدين . لو بتريد إشي عيط على رفقاتي بره .

●●●

- انتفض جسد الجنرال ويلسون عندما رن جرس الهاتف الأحمر في مكتبه، ألقى نظرة سريعة على ساعة الحائط التي تشير عقاربها إلى السادسة صباحًا فرفع السماعة في سرعة وهو يقول : (أؤمر يافندم)



- جاءه صوت وزير الدفاع يقول : (مدير ناسا إتكلم مع الرئيس وقاله على اللي حصل، وإنه بيشك إنهم جواسيس روس) صمت قليلاً ثم انفجر غاضبًا وهو يقول : (أنا وزير الدفاع، آخر من يعلم)

- أجاب الجنرال في توتر : (أصـ ... أصل يافندم اللي حصـ ....)

- قاطعه صائحًا : (مستني إيه علشان تبلغني ؟ مستني القاعدة تتهد على دماغك !) ثم ضغط على أسنانه وهو يقول : (بس اللي مش فاهمه، إزاي الثلاثة دول عدوا من الإجراءات الأمنية اللي عندك !)

- إبتلع الجنرال ريقه ثم أجاب في صعوبة : (يافندم هم ما دخلوش من أي بوابة أو حتى من على السور)

- لم يخلو صوت الوزير من نبرة تهكم وهو يقول : (أمال دخلوا منين ! عفاريت ؟) سكت لبرهة ثم أردف قائلاً : (طيب بص يا سيادة اللواء، سيادة الرئيس ريجان باعتلك نائب مدير المخابرات المركزية بنفسه علشان يستجوب الجواسيس اللي عندك، وبعد كده هايخدهم معاه . بالعافية اتفقت مع سيادته إنه يأجل الموضوع ده ٤٨ ساعة . يعني قدامك فرصة تكون استجوبتهم وتجهزلي تقرير مفصل فيه كل حاجة عن



الموضوع، علشان أقدمه للريس . أنا مش هاستني المخابرات تعمل شغلك)

- أجاب الجنرال في اقتِضَاب : (تمام يافندم)

- أردف الوزير قائلاً : (حاجة أخيرة، مش عايزين نعمل قلق للناس . ومش عايز أي كلام يوصل للإعلام إن فيه جواسيس روس نجحوا يدخلوا في قلب القاعدة ويدمروا المكوك)

اكتسى صوته بصرامة وهو يصدر أوامره مضيفًا : (الكلام اللي يتقال، هو إن مفيش أي شبهة تخريب في انفجار المكوك، وغالبًا السبب عطل فني ولسه اللجنة الفنية التي اتشكلت بتبحث فيه . ده موضوع أمن قومي مافيهوش هزار . فاهم ؟)

- أجاب الجنرال وهو يضغط على أسنانه : (فاهم يافندم)

- أغلق الوزير الهاتف في وجه ويلسون الذي مالبث أن وضع السماعة وجلس على كرسيه وأسند رأسه إلى كفيه وظهرت على وجهه أمارات الغضب، وحدث نفسه قائلاً : (ماحدش يكلم الجنرال ويلسون بالطريقة دي، حتى لو كان الوزير)

- ضغط على زر الإستدعاء على مكتبه، وما هي إلا لحظات حتى طرق الباب أحد مساعديه الذي دلف إلى المكتب وأدي التحية العسكرية قائلاً : (تحت أمرك يافندم)



- نظـر إليـه الجنـرال في صرامـة قائـلاً : (قـول للرائـد مـارك شيبرد ييجـي حـالاً، وإتصل بالمستشفى شوف أخبار الجاسـوس اللـي هنـاك إيـه ؟)

- أدى التحيـة العسـكرية وهـو يقـول : (حاضـر يافنـدم) ثـم دار للخلـف وانصـرف لتنفيـذ أوامـر الجنـرال .

●●●

- ظهـر القلـق جليًـا علـى وجـه هيثـم وهـو يقطـع الزنزانـة ذهابـاً وإيابـاً وهـو يحـدث نفسـه قائـلاً : الجهـاز فيـن ! كان في إيـدي، وأول حاجـة عملتهـا أنـي حطيتـه في جيبـي وانـا بحـاول أفـوق كـريم . صمـت برهـة مفكـرًا وتمتـم قائـلاً : ولا أنـا بيتهيألـي، ويكـون وقـع منـي في الميـه وغـرق مـع المركـب .

- سـأله آدم : (فيـه إيـه ! أنـا مـش فاهـم حاجـة . فيـه حاجـة ضايعـة منـك ؟)

- انْهَـار هيثـم جالسًـا غيـر مصـدق لمـا حـدث . أطـرق بنظـره إلـى الأرض قائـلاً : (مـش لاقـي الجهـاز)

- مـط آدم شـفتيه وهـو يسـأله : (جهـاز ! جهـاز إيـه ؟ أنـت كـده هاتخلينـي أصـدق اللـي بيتقـال عنـك)



- صدرت تنهيدة من هيثم وهو يقول : (تصدق إيه بس يا آدم! لتاني مرة بأقولك أنا مصري ومش جاسـ....)

- قطع كلامه صوت الباب الحديدي وهو يفتح، ودخول اثنان من جنود القاعدة بالسلاح، قال أحدهما :

(الجنرال ويلسون عايزك دلوقتِ)، نهض هيثم واقفًا للذهاب معهما، إلا أنهما بادراه بالقول : (لأ مش أنت، هو عايز الجندي آدم) . وضعا القيد الحديدي في يدي آدم واصطحباه معهما .

●●●

- ارتسمت إبتسامة سخرية على وجه جورج ونظر إلى مارك قائلاً : (آلة الزمن ! فعلاً ! مش قولت لك إنه متدرب كويس)، إلتفت إلى مهند صائحًا : (آه فهمت، أنت شوفت فيلم «العودة للمستقبل» وجاي تشتغلنا ! طيب بص بأه، الساعة دلوقتِ عدِّت ٦ الصبح، وأنا مانمتش من إمبارح . مشكلتي إني لما مابنامش كويس ببقى عصبي أوي، واللي بيعصبني أكتر، لو فيه حد بيحاول يشتغلني) . قالها وانهال على وجه مهند بصفعة قوية .

- صرخ مهند من شدة الألم وإحمر وجهه، كاد أن يبكي واختنق صوته وغالب دموعه وهو يقول :



(أشتغلك ليه ! أنت سألتني وأنا جاوبت . خليني أكمل كلامي وبعد كده أُحكم بنفسك)

لم ينتظره جورج ليكمل كلامه، بل كور قبضته وأطلقها بكل قوة في معدة مهند الذي تأوه من الألم وهو يبصق الدماء من فمه .

- سعل مهند عدة مرات والدماء تسيل على جانب فمه، ونظر إليهما قائلاً : (أنا بحاول أقولكوا الحقيقة، أعمل إيه تاني ! عايزنِّي أكدب ؟ ماشي مفيش مشكلة . شوفوا عايزني أقول إيه وأنا أقوله)

- نظر مارك إلى جورج وأشار له ليتوقف، إلتفت إلى مهند وبدت في عينيه نظرة تعاطف وهو يخاطبه بصوت هادئ : (إحنا مش عايزين غير الحقيقة يا مهند)

- نظر مهند إليه بعينين مغرورقتين بالدموع وهو يقول : (زي ماقولت لحضرتك، إحنا فعلاً إتنقلنا في الزمن و روحنا عند قوم لوط، وهربنا من التيتانيك وهي بتغرق والجهاز باظ وجابنا على هنا . طيب ممكن أسألك سؤال ؟) هز مارك رأسه بالإيجاب، فأستطرد مهند قائلاً : (إحنا سنة كام دلوقتي؟)



- صفعه جورج مرة أخرى ثم تلاها بلكمتين متتاليتين في معدته وصاح في وجهه : (تاني ! أنت برضه مصمم تشتغلنا !)

- تدفقت الدماء من فم مهند الذي خارت قواه وكاد أن يفقد الوعي من قوة لكمات جورج، الذي نظر إليه في سخرية وهو يقول : (أنت هايغمى عليك ! هو أنت لسه شوفت حاجة، أنا بأه هافَوَقَك)، أمسكه بكل قوة من ياقة سترته ووضع رأسه في المياه داخل الدلو مرة أخرى . كان مهند أضعف من أن يقاوم وبدا أنَّ جورج لن يتركه إلا جثةً هامدة .

- قبض مارك على معصم جورج قائلاً : (كفاية كده يا رقيب هنتر)، لكن جورج لم يستجب له فدفعه للخلف بقوة وهو يصيح فيه : (بأقولك كفاية يا جورج، أنت عايز تموته !)

- أمسك مارك بمهند الذي رفع رأسه بالكاد خارج المياه وهو يسعل بشدة، محاولاً إلتقاط أنفاسه . وعاونه ليجلس على مقعده، ثم نظر لجورج حانقًا وهو يقول : (أنت شكلك تعبان وعايز تستريح . اتفضل روح إستريح في أوضتك وأنا هأكمل لوحدي)، كاد جورج أن يعترض إلا أنه قوبل بنظرات مارك الصارمة، الذي أردف قائلاً : (ده أمر يا رقيب هنتر)



- غـادر جـورج الغرفـة مغلقًـا البـاب ﭬ عنـف . إلتفـت مـارك إلـى مهنـد الـذي ظهـر عليـه الإجهـاد، وبـدا أنـه يجاهـد حتـى لا يفقـد الوعـي . نظـر إليـه مهنـد بعينـين زائغتـين، وفجـأة سـقطت رأسـه علـى صـدره فاقـدًا للوعـي . وضـع مـارك يـده علـى كتـف مهنـد وأخـذ يهـزه وهـو ينـادي عليـه محـاولاً إفاقتـه، ثـم اغتـرف غرفـة بيـده مـن ميـاه الدلـو ورشـها علـى وجـه مهنـد برفـق وهـو يناديـه: (مهنـد، اصحـى يـا مهنـد، فـوق)

- وماهـي إلا لحظـات قليلـة حتـى أفـاق مهنـد مـن غيبوبتـه وتلفـت حولـه يبحـث عـن جـورج ، تلاحقـت أنفاسـه ونظـر إلـى مـارك متسـائلاً : (هـو فـين ! راح فـين !)

- تنهـد مـارك ونظـر إلـى مهنـد وقـال لـه مطمئنًـا : (مـا تخافـش، أنـا مشـيته . خـلاص هـدي نفسـك)، انتظـرَ قليـلاً حتـى هـدأت أنفـاس مهنـد وبـدا أنـه قـد اسـتعادَ وعيـه .

جلـس علـى حـرف الطاولـة أمـام مهنـد وهـو يقـول : (إحنـا ﭬ سـنة ١٩٨٦ يـا مهنـد)

- نظـر إليـه مهنـد وهـو يقـول ﭬ صـوت واهـن : (سـنة ١٩٨٦ ! طيـب بـص علـى تاريـخ ميـلادي ﭬ البطاقـة بتاعتـي، أنـا مولـود سـنة ١٩٨٧، يعنـي المفـروض إن أنـا لسـه مـا إتولدتـش . ده منظـر واحـد لسـه مـا إتولـدش حضرتـك !)



- أمسك مارك ببطاقة مهند ودقق النظر فيها ثم رفع نظره إلى مهند قائلاً : (أنا مش فاهم حاجة من البطاقة يامهند، مكتوبة بلغة مش فاهمها . وحتى لو كان مكتوب فيها تاريخ ميلادك زي مابتقول، ممكن البطاقة تتزور عادي . الموضوع مش صعب)

- تنهد مهند وهو يقول : (طيب أنا عندي حاجة تقطع الشك بالسكين)

- رفع مارك حاجبيه وسأله : (سكين إيه ! أنا مش فاهم حاجة)

- قال مهند في سرعة : (ده مثل عندنا في مصر . سيبك أنت، تقدر تقولي إحنا دخلنا القاعدة إزاي ؟ طيب والميه دي كلها اللي غرقت الدنيا، تقدر تقولي جت منين ؟)

- أجابه مارك : (بسيطة، ده سلاح روسي متطور، الغرض منه يخرب عملية إطلاق المكوك، ويخلينا نقعد نلف حوالين بعض، ونسأل نفسنا عملوها إزاي ! وده بالظبط اللي حصل دلوقتِ)

- سأله مهند : (طيب لو روسيا عايزه تخرب المكوك، مش كان أسهل يزرعوا متفجرات بدل الهيصة دي كلها ! ولو افترضنا زي ما أنت بتقول إننا جواسيس، هيضحوا بينا كده بسهولة ويسيبونا في إيديكم !)



- صمت مارك لبرهة مفكرًا ثم قال : (لو افترضنا إنك بتقول الحقيقة، فين آلة الزمن دي ؟)

- صمت مهند قليلاً ثم نظر إليه قائلاً : (الجهاز مش معايا، ومعرفش مع مين . إحنا كنا خلاص هانموت على المركب، وبعدين لما جينا هنا، أنا وهيثم إتلخمنا في كريم)

- انفتح الباب ودلف منه جنديين آديا التحية للرائد شيبرد الذي صاح فيهما : (فيه إيه ! إزاي تدخلوا كده من غير إذن؟)

- أجاب أحدهما : (آسف يافندم، بس الجنرال عايز حضرتك دلوقتِ حالاً في مكتبه)

- صدرت عن مارك زفرة حارة قبل أن يساعد مهند على الوقوف وهو يقول للجنديين : (طيب خدوه على السجن وهاتولي زميله التاني، أول ما أرجع من عند الجنرال) أشار لمهند قائلاً : (إسندوه علشان مش هايقدر يمشي)

●●●

- طرق مارك باب مكتب الجنرال ويلسون، ودلف إلى الداخل فوجد الجنرال جالسًا خلف مكتبه . رفع نظره إليه وبادره بالسؤال : (إيه الأخبار يا شيبرد عملت إيه ؟)



- أدى مارك التحية للجنرال ويلسون قائلاً : (تمام يافندم، أنا إستجوبت واحد فيهم . وبعتّ أجيب التاني دلوقتِ، وفيه واحد منهم في المستشفى معرفش عنه حاجة)

- قال الجنرال بصوت حاول أن يجعله هادئًا : (أنا كلمت المستشفى والجاسوس اللي هناك فاق خلاص وكلها النهاردة، وهايخرج بكره الصبح بالكتير)

- مارك : (طيب كويس يافندم)

- سأله الجنرال : (عرفت إيه من الجاسوس الأولاني ؟)

- أجاب مارك : (هو بينكر إنه روسي يافندم وبينكر كمان إنها عملية تخريب)

- ابتسم الجنرال في سخرية قائلاً : (طبيعي يا شيبرد، أُمال عايزه يعترفلك أنه جاسوس !) ثم اكتست ملامحه بالصرامة وهو يقول : (خد بالك ياشيبرد الوزير كلمني وكان قلقان جدًا، وقاللي إن الريس بنفسه مهتم بالتحقيق ده جدًا . أنا طمنته وقولتله مايقلقش، أنا إديت التحقيق لأكفأ ضابط عندي في القاعدة)

- ارتسمت إبتسامة عريضة على وجه مارك وهو يقول : (متشكر جدًا يافندم، هاكون عند حسن ظن سيادتك)



- هز الجنرال رأسه وأردف قائلاً : (المهم وصلت لإيه مع الجاسوس)

حكى له مارك كل مادار في غرفة الإستجواب عدا طرده للرقيب هنتر من الغرفة، بعد أن كاد يودي بحياة مهند .

- استمع له الجنرال بإهتمام، نظر في عينيه طويلاً ثم تنهد قائلاً : (آلة زمن إيه يا شيبرد ! أنت عايزني أقول للوزير إن دول مش جواسيس روس، دول طلعوا من مصر ! لأ ومش بس كده، ده المصريين إخترعوا آلة الزمن ! أنت عايزهم يقولوا عليا مجنون ؟) تغيرت نبرت صوته وصاح فيه : (فيه إيه يا مارك ! ده أنا بأقول عليك أحسن ظابط عندي)

- صمت قليلاً ثم قال : (استجوب الباقيين، وسيبك من موضوع آلة الزمن والهبل ده). اكتسى صوته بصرامة شديدة وهو يتابع قائلاً : (تاني مرة، ماتطردش الرقيب هنتر من التحقيق)

- ارتفع حاجبا مارك في دهشة، همَّ أن يقول شيئًا إلا أنه عدل عن ذلك، ثم تنهد قائلاً : (أوامرك يافندم) . أدى التحية وغادر المكتب وهو يكتم غيظه .

- بمجرد خروج مارك، انفتح الباب الجانبي في مكتب الجنرال ودلف منه الرقيب هنتر، الذي ابتسم للجنرال في خبث وهو



يقول : (مش قولت لسيادتك ! الرائد شيبرد طيب ومش هاينفع يكمل التحقيق)

- نظر إليه الجنرال قائلاً : (عندك حق يا جورج) تنهد قائلاً: (خليك معاه في التحقيق . لما نشوف آخرتها إيه، خد بالك إن المخابرات المركزية جايين بكره يأخذوهم، ولو التقرير اللي طالبه الوزير مش جاهز، هتبقى مشكلة) . صمت قليلاً مفكرًا ثم أشار للرقيب هنتر بالإنصراف .

●●●

- انفتح باب السجن ودخل منه حارسان ومعهما مهند الذي بدا عليه التعب وهو يجاهد للوقوف على قدميه، اندفع هيثم يحتضنه في لهفة قائلاً : مهند، إيه اللي حصلك ! عملوا فيك إيه ؟

- جلس مهند أرضًا وهو يتنهد قائلاً : مش قولتلك يا هيثم، مش كل مرة تسلم من مروة . المرة دي مش هاتعدي على خير

- نظر إليه هيثم مشفقًا ثم قال: يابني ارحم نفسك شوية، حتى وأنت في الحالة دي بتقول أمثال مضروبة!

- قال أحد الجنود في صرامة، مخاطبًا هيثم : (اتفضل معانا، الرائد شيبرد مستنيك)، ثم قاما بوضع القيد الحديدي في يديه.



- أمسك مهند بيد هيثم قائلاً وهو يلتقط أنفاسه : هيثم ... .

- قاطعه هيثم وهو ينظر إليه مبتسمًا قائلاً : عارف، هأخذ بالي من نفسي .

- إلتقط مهند أنفاسه في صعوبة قائلاً : لأ، خليهم يبعتولي حاجة آكُلها .

- همَّ هيثم أن يقول شيئًا، إلا أن دخول جندي آخر ومعه آدم ويداه مقيدتان خلف ظهره جعله يتوقف . فك الجندي القيد من معصم آدم ثم دفعه في قسوة .

- وقع آدم أرضًا فصاح بصوت عالٍ : (أنا جندي أمريكي وليا حقوق، اللي بيحصل ده مخالف للدستور)

تجاهله الجندي وأسرع يغلق باب الزنزانة عقب خروج هيثم برفقة الجنديين .

- نظر آدم إلى مهند الذي تمدد أرضًا محاولاً إستعادة قواه، بدا واضحًا أنه بالكاد يستطيع أن يتحدث . جلس بجواره وهو يقول: (هم عملوا فيك إيه ؟ إحنا مش هانسكت، اللي بيحصل ده مخالف للدستور، أنا بابا جنرال كبير في البحرية، وأول ما ...)

- قطع حديثه صوت باب الغرفة وهو يفتح ودخول الحارس وهو يحمل صينيتين من الطعام وكوبان من الماء. وضعهما



على الأرض وهو يقول : (الأكل، قدامكم ربع ساعة وهاجي آخد الصواني . سواء خلصتو أكل أو ما خلصتوش) . قالها وأغلق الباب خلفه بعنف .

- ساعد آدم مهند على الجلوس وأحضر له صينية الطعام وهو يقول : (ياللا نأكل بسرعة علشان الأخ ده شكله مابيهزرش) . قالها وبدأ في تناول طعامه، أمسك مهند بصينية الطعام وبدأ يأكل في نهم .

- نظر آدم إليه وهو يأكل في نهم وقال : (ياه، ده اللي يشوفك كده يفتكر إنك ما أكلتش من سنين . بالمناسبة أنا اسمي آدم، أنت اسمك إيه ؟)

- رفع مهند نظره إليه وتوقف عن مضغ طعامه قائلاً : (أنا اسمي مهند، زميل هيثم اللي أنت شوفته وكريم اللي خدوه إمبارح على المستشفى ومعرفش حاجة عنه)

- أجابه آدم : (تشرفنا يا مهند، على فكرة صاحبك اللي في المستشفى بقى كويس، أنا كنت في مكتب الجنرال ويلسون وسمعته وهو بيكلم دكتور من المستشفى وقاله إنه بيتحسن وهايخرج بكره الصبح)

- تهللت أسارير مهند وسأله في لهفة : (أنت متأكد إن كريم كويس ؟) . أومأ آدم برأسه إيجابًا، فصاح مهند من الفرحة : الحمد لله، الحمد لله يارب .



- ابتسم آدم إبتسامة خفيفة ثم سأله : (هيثم إمبارح كان عمال يدور على جهاز ضايع منه، جهاز إيه ده؟)

- تغيرت ملامح مهند وظهر الخوف جليًا على قسمات وجهه وهو يقول : (إيه، الجهاز مش معاه ! أمال مع مين ! يعني إيه، روحنا في داهية !)

- نظر إليه آدم في دهشة وسأله : (جهاز إيه ده يا مهند اللي مخليك أنت وهيثم خايفين كده ؟)

- مط مهند شفتيه ثم قال : (لو قولتلك مش هاتصدقني)

- قال آدم في سرعة : (لأ هاصدقك، جربني)

- صمت مهند قليلاً ثم تنهد قائلاً : (الجهاز ده عبارة عن آلة زمن، وهي اللي جابتنا هنا، ومجالناش من وراها غير المشاكل)

- ظهرت على آدم علامات عدم الفهم فسأله قائلاً : (آلة الزمن! إيه الكلام ده ! يعني أنت عايز تفهمني إنهم اخترعوا آلة الزمن؟ طيب إذا كانوا اخترعوها، إزاي ما سمعناش عنها؟)

- رفع نظره إلى آدم قائلاً : (علشان لسه ما اخترعوهاش، مفيش حد هايخترعها قبل سنة ٢٠١٧ . كريم وهيثم همَّ اللي إخترعوها)



- نظر إليه آدم في ريبة قائلاً : (يعني أنت عايز تفهمني إنك من المستقبل ! أنت بتشتغلني ! أصلاً اللبس اللي أنت لابسه ده مش لبس واحد من المستقبل)

- هز مهند رأسه قائلاً : (موضوع اللبس ده يطول شرحه)، زفر في ضيق ثم ضرب على فخذه براحة يده قائلاً : (للأسف خدوا مني الشنطة اللي فيها حاجتي، وكمان خدوا المحفظة)

- حدق آدم في وجه مهند، وبدا عليه أنه لا يصدق حرفًا واحدًا مما يقول . سرح بأفكاره وحدث نفسه قائلاً : (آلة الزمن ! معقولة !)

●●●

- كيفك اليوم ؟

- توقف كريم عن الكتابة، رفع نظره وتهللت أساريره وهو يقول: إزيك يا دوللي، عاملة إيه ؟ ماحسيتش بيكي لما دخلتي .

- قالت دوللي : أنا منيحة . شو بتُكتُب ؟ بتكتب قصة حياتك ؟ ثم غمزت بعينها وارتسمت على شفتيها إبتسامة وهي تقول : ولا بتكتب معلومات عن هون ؟

- هز كريم رأسه ثم نظر إليها قائلاً : اقعدي هزري كده لما حد يسمعك ويفتكرك بتتكلمي جد، وأروح أنا في داهية . طيب



أحلفلك بإيه إن أنا مش جاسوس . طيب وحياتك عندي أنا مش جاسوس .

- توردت وجنتاها وحاولت أن تخفي إبتسامتها وهي تقول : شو بيك تحلف بحياتي ! أنا مايخصني أنك جاسوس ولا لأ .

- نظر إليها كريم وعلى وجهه إبتسامة حانية وهو يقول : حتى لو قولتلك أني كنت بكتب شعر علشانك ؟

- رفعت حاجبيها في دهشة قائلة : منشاني أنا !

- قال كريم : وحياتك إنـ ... طقطق بلسانه وتنهد قائلاً : طيب بلاش وحياتك علشان ماتزعليش، وحياة أمي علشانك . أسمعهولك ؟

- هزت كتفيها في لا مبالاة قائلة : مايخصني . متل مابدك، عايز تقول، قول .

- نظر إلى الورقة التي أمامه قائلاً : بصي هو أنا لسه ماخلصتهاش . بس على العموم، اسمعي يا ستي .

أنا قلبي لما دق ماقالش غير إسمك	وعنيه لما شافت ماشافتش غير رسمك
أنا اللي طول الليل مستني لو همسك	وطول نهاري مابشوفش غير صورتك
وأناجي نجوم الليل يحكوا لي عنك	وأحسد نسيم الليل اللي لمس شعرك
وأقول يابختها مرايتك	دي ف حضنها صورتك



- سألها: ها إيه رأيك ؟ لم يجد إجابة، رفع نظره إليها فوجدها تبتسم وهي تحدق في الفراغ أمامها . نادي عليها قائلاً : دوللي، روحتي فين ! بقولك إيه رأيك ؟

- هزت رأسها وهي تقول في : أ .. أ .. عن جد أنت اللي كتبت هيدا ؟ أومأ برأسه إيجابًا، ابتسمت قائلة : يقبرني هالكلام، حلو كتير . صمتت قليلاً ثم قالت : كريم، خبرني شو قصتك.

- صدرت عن كريم تنهيدة حارة وهو يقول : بصي يا دوللي، قبل ما أبدأ، فين الهدوم اللي كنت لابسها ؟

- أشارت إلى الدولاب قائلة : ملابسك هونيك بالدولاب . بتريد إشي منهن ؟

- قال لها : المحفظة بتاعتي موجودة في جيب البنطلون، ممكن تجيبيها؟

- هزت رأسها وهي تقول : أوكيه . فتحت الدولاب وأحضرت المحفظة وناولته إياها .

- أخرج كريم بطاقته الشخصية ورخصة القيادة من المحفظة وناولهما لها وهو يقول : دي بطاقتي الشخصية ورخصة السواقة . بصي فيهم كده وقوليلي لو فيه حاجة لفتت نظرك.



- تفحصتهما ثم مالبثت أن قالت : شكلهن غريب شوي . الكتابة بالعربي . مكتوب عالبطاقة اسمك كريم، وجهة الإصدار : القاهرة، وتاريخ الإصدار ... قطعت كلامها ورفعت عينين ملؤهما الدهشة وهي تقول: شو هالحكي ! البطاقة صادرة بسنة ٢٠١٣ ! هيدا كلام مابيفوت على العقل .

- نظر في عينيها قائلاً : ده اللي كنت بحاول أفهموهولك . أنا وأصحابي جينا هنا غلط، جينا هنا بآلة الزمن اللي اخترعناها . تنهد قليلاً ثم قال لها : اقعدي وأنا هاحكيلك الحكاية كلها . وبدأ كريم يحكي، وعيناها تتسعان من فرط الدهشة .

●●●

- كان التحقيق مع هيثم يتم في نفس الغرفة التي كان بها مهند، ضرب الرقيب هنتر براحتي يديه على المنضدة بقوة قائلاً : (لما أنتم مش جواسيس، بتعملوا إيه هنا ؟ ودخلتوا هنا إزاي؟)

- نظر إليه هيثم في ثبات قائلاً : (قولتلك أنا مصري، إتصل بالسفير. أنا مش هاتكلم إلا في وجود السفير)

- نظر مارك إلى هيثم ووضع يده على كتفه قائلاً : (هيثم، مش كده ؟)، أومأ هيثم برأسه إيجابًا، فاستطرد مارك قائلاً : (مهند حكى لي عنك، و ...)



- قاطعه هيثم قائلاً : (يعني أنت اللي عملت فيه كده ؟)

- هز مارك رأسه نفيًا قائلاً : (لأ مش أنا، على العموم يا هيثم مفيش حد هايقربلك)، وحأنت منه إلتفاته إلى الرقيب هنتر ثم نظر إلى هيثم قائلاً : (إحنا مش عايزين غير الحقيقة)

- زفر هيثم زفرة حارة ثم قال : (طيب الحقيقة إن إحنا مش جواسيس ولا نيلة، إحنا مصريين . وجينا هنا بالغلط عن طريق جهاز والجهاز ده ضاع مني ومش لاقيه، وحتى لو لقيته، الجهاز باظ لما الميه غرقته، وكريم هو الوحيد اللي يعرف يصلحه . بس للأسف كريم ماعرفش عنه حاجة من ساعة ما أخدتوه)

- لم يظهر على ملامح الرائد شيبرد أنه قد اقتنع بكلام هيثم فتنهد قائلاً : (قصدك آلة الزمن ؟) أومأ هيثم برأسه بالإيجاب .

- سأله جورج في نبرة لم تخلو من السخرية : (يعني أنت عايز تفهمنا أنكم اخترعتم آلة الزمن ! لو افترضنا إنك بتقول الصراحة، إزاي هاتعترفلنا كده بكل بساطة إن معاك آلة الزمن ! ولو زي مابتقول، ليه ماشغلتهاش وهربتوا بيها !)



- نظـر إليـه هيثـم قائـلاً : (لإنهـا محصلـة بعضهـا، أولاً :الجهـاز ضـاع يعنـي مـش هانعـرف نرجـع تانـي . ثانيًـا : حتـى لـو موجـود، كـريم هـو اللـي هايعـرف يصلحـه، وأنـا ماعرفـش إذا كان عايـش ولا ...)، ولـم يسـتطع أن يكمـل جملتـه .

- نظـر إليـه مـارك قائـلاً : (صاحبـك اللـي في المستشـفى فـاق وبقـى كويـس)

- تهللـت أسـارير هيثـم وتنهـد وهـو يحمـد اللّه، قبـل أن يقـول : (يبقـى كـده فيـه ثالثًـا، وده الأهـم . بـدل مانتعامـل كجواسـيس، إحنـا ممكـن نعمـل معاكـم صفقـة، إننـا نسـاعدكم تعملـوا جهـاز جديـد في نظيـر إنكـم تسـيبونا)

- ومـن خلـف النافـذة الزجاجيـة تابـع كلاً مـن الجنـرال ويلسـون والسـيد ويليـام جراهـام مايحـدث . وتبـادلا النظـرات، قطـب الجنـرال حاجبيـه وأخـذ يحـدث نفسـه : (آلـة الزمـن ! فعـلاً ! ممكن ! ليـه لأ ! ده ممكن يكون تفسـير اللـي حصـل . لأ، ده هـو ده التفسـير الوحيـد للـي حصـل . الموضـوع لـو بجـد، ده الوزيـر يطيـر مـن الفرحـة ومـا هايصـدق يبلـغ الريـس علشـان يكـ ....) توقـف قليـلاً وهـز رأسـه مسـتطردًا : (طيـب وأنـا أقـول للوزيـر ليـه ! مـا أقـول انـا للريـس وآخـد اللقطـة) . ارتسـمت علـى وجهـه إبتسـامة ولمعـت عينـاه وتمتـم قائـلاً : (وأقـول للريـس ليـه! دي آلـة الزمـن . ده ممكـن أبقـى أنـا الريـس)



- انتزعه من أفكاره صوت السيد جراهام وهو يقول في حماس: (لازم أبلغ الريس)

- استوقفه الجنرال قائلاً : (استنى بس يا جراهام لما نتأكد . تعالى معايا المكتب وهانجيبهم كلهم عندي ونشوف الحقيقة فين . وبعد كده تبلغ الريس)

- هز السيد جراهام رأسه قائلاً : (معاك حق)

- فتح الجنرال باب الغرفة ونظر إلى الرقيب هنتر قائلاً : (هاتلي الأخ ده على مكتبي يا جورج وخلي حد يجيبلي آدم ومعاه التاني وييجوا على المكتب، وأنا هابعت أجيب الثالث اللي في المستشفى) ثم مالبث أن نظر إلى شيبرد قائلاً : (مش عايز حد يعرف حاجة عن الموضوع ده حتى لو الريس نفسه)

- أومأ شيبرد برأسه قائلاً : (تمام يافندم)

- اصطحب جورج هيثم وسارا خلف الجنرال والسيد جراهام لمكتب الأول، فيما أنتظر الرائد شيبرد إنصرافهم وتوجه إلى أحد التليفونات الموجودة بالمبنى وإتصل بأحد الأرقام الخاصة وما هي إلا لحظات وقال : (الرائد شيبرد يافندم . فيه موضوع مهم عايز أبلغه لسيادتك)



حكى للطرف الآخر كل مادار بغرفة الإستجواب وما صدر من الجنرال ويلسون .

- (طيب تمام، قالك مش عايز الريس يعرف ! طيب أنا هاتصرف، اطلع دلوقتِ حالاً على المستشفى وخليك هناك، وبلغهم إن دي أوامري إن المريض يفضل في المستشفى ومايغادرش إلا بأوامر مني شخصيًا. مفهوم ؟)

- رد شيبرد في سرعة : (تحت أمر سيادتك يا معالي الوزير) . أنتظر حتى أغلق الوزير الخط ثم وضع السماعة وهو يحدث نفسه قائلاً : (ياترى ناوي على إيه يا ويلسون !) . انتزع نفسه من أفكاره وأسرع إلى المستشفى لينفذ أوامر وزير الدفاع .

●●●

- ما أن دخل الجنرال ويلسون مكتبه حتى رن جرس التليفون الأحمر . نظر مطولاً إلى التليفون وتردد في رفع السماعة إلى أن حسم رأيه ووضع السماعة على أذنه قائلاً بكل هدوء : (نعم !)

- أتاه صوت وزير الدفاع قائلاً في صرامة : (جرى إيه يا سيادة اللواء، مش عايز ترد ولا إيه !)



- قال ويلسون في إستهتار : (أنا لو مش عايز أرد عليك، مش هأرد . أنا حر)

- صمت الوزير قليلاً ثم قال : (أنت إزاي تتكلم معايا كده يا سيادة اللواء ! حسابك معايا بعدين . في الطريق ليك دلوقتِ السيد رئيس الأركان ومعاه قوة علشان يأخذ الجواسيس اللي عندك)

- رد ويلسون في صفاقه : (مفيش داعي، قوله مايجيش أحسن). وما لبث أن أغلق الخط في وجه الوزير وهو يبتسم في سخرية. إلتفت إلى السيد ويليام جراهام الذي كان جالسًا على أحد الكراسي فاغرًا فاه لا يصدق ماحدث . فتح درج مكتبه وأخرج منه مسدسه ووضعه أمامه . ثم وضع إصبع السبابة أمام فمه وهو يقول لجراهام : ششششش . انكمش جراهام في الكرسي ولم ينبس ببنت شفه .

- جلس الجنرال خلف مكتبه وجلس أمامه جراهام ملتزمًا الصمت . وماهي إلا لحظات وطرق الرقيب هنتر الباب ثم دلف إلى الداخل ومعه هيثم تلاه مهند وآدم . وقف الجميع أمام مكتب الجنرال، الذي أشار إلى جورج وآدم قائلاً : (خدوا معاكم سلاحكم وهاتولي الأخ اللي في المستشفى، لو مش عارف يمشي هاتوه على نقالة)



- نظر كلاً من هيثم و مهند لآدم في دهشة، ابتسم لهما بدوره قائلاً: (على فكره، بابا فعلاً جنرال، بس مش في البحرية . في الجيش) . ضحك في سخرية قائلاً : (آه نسيت أقولكم، أنا اسمي آدم بس مش آدم مايرز . اسمي آدم ويلسون، معلش ماهو بابا كان لازم يعرف كل حاجة عنكم، علشان نعرف الحقيقة)

- زفر الجنرال في ضيق قائلاً : (بسرعة يا آدم أنت وجورج، مش عايزين نضيع وقت . أي حد يعترض طريقكم إضربوه بالنار)

●●●

- اتسعت عينا دوللي وهي تستمع مشدوهة لكريم الذي حكى لها كل ما مروا به وهروبهم من التيتانيك قبل غرقها بثوان قليلة إلى أن أفاق ووجد نفسه بين يديها .

- قالت له ولم تخلو ملامحها من الدهشة : يا كريم هيدا الحكي خيال، مو ممكن يكون حقيقة .

- أمسك يديها ونظر في عينيها وهو يتنهد قائلاً : صدقيني يا دوللي، الحقيقة ساعات بتكون أغرب من الخيال .

- انفتح باب الغرفة فجأة ودخل الرائد مارك شيبرد ومعه دوريس، نظرا إليهما لبرهة من الوقت ثم وجه حديثه لكريم



قائـلاً : (الجنـرال ويلسـون هايبعـت يأخـذك دلوقـتِ، الظاهـر إن مهنـد كان بيتكلـم صـح، وشـكلها كـده الجنـرال عايـز يحـط إيـده علـى آلـة الزمـن . ماحـدش عـارف هـو بيفكـر فے إيـه، فـين الجهـاز اللـي معـاك ؟)

- قامت دوللي بترجمة ماقاله الرائد شيبرد لكريم الذي أُسقِط فے يـده وهـو يقـول فے توتـر : الجهـاز مـش معايـا، الجهـاز مـع هيثـم .

- ارتسمت على وجه مارك علامات الدهشة وهو يقول لدوللي: (مـش معـاه ! أمـال فـين ؟) صمـت قليـلاً ثـم اسـتطرد قائـلاً : (لحـد مانشـوف الجهـاز راح فـين، أوامـر الوزيـر ممنـوع خـروج كـريم مـن هنـا إلا بأمـر منـه شـخصيًا)

- (يعنـي أنـت بـأه اللـي بتبلـغ الوزيـر بـكل حاجـة، أنـا كنـت متأكـد مـن كـده)

- نظـر مـارك فے إتجـاه الصـوت ثـم قـال : (يـا رقيـب هنتـر لآخـر مـرة بأقولـك اتكلـم كويـس بـدل مـا أحولـك لمحكمـة عسـكرية). اكتسـى صوتـه بنبـرة حازمـة وهـو يقـول : (والمريـض ده مـش هايخـرج مـن هنـا إلا بأوامـر الوزيـر شـخصيًا)



- رفع جورج سلاحه في وجه شيبرد وهو يقول في تهكم : (أنا عندي أوامر من القائد المباشر بتاعي الجنرال ويلسون، وهأخذ الأخ ده يعني هآخذه)

- قال شيبرد في تحدي : (يبقى على جثتي)

- رد جورج في لا مبالاة : (وهو كذلك) ثم أطلق النار وسقط مارك أرضًا ممسكًا بكتفه .

- صرخت دوريس في لوعة : (مارك، لأااه) . إلتقطت بكرة من الشاش الطبي من على الطاولة بجوار سرير كريم ووضعتها على جرح شيبرد في محاولة لإيقاف الدماء التي سالت من الجرح .

- نظر إليها جورج قائلاً : (المرة دي ضربت في الكتف . لو حد حاول أي حاجة تاني، مش هاضرب في الكتف) .

- أدرك كريم من أنه لا مفر من الذهاب معهما حقنًا للدماء، فتحامل على نفسه وقام واقفًا ونظر إلى جورج واستخدم إشارات يديه وهو يقول : (ملابس ... تغيير .. الأول) .

- نظر إليه جورج في إزدراء، وفهم أنه يريد أن يغير ملابس المستشفى التي يرتديها . أومأ برأسه موافقًا وهو يقول : (بسرعة، مفيش وقت)



- انتهى كريم من تغيير ملابسه خلف البارافان الموجود بالغرفة، نظر إلى دوللي قائلاً : معلهش يادوللي لازم أروح معاهم، مش هأستحمل حاجة تحصل لحد تاني بسببي .

- نظرت دوللي إلى كريم وصاحت قائلة : لأ يا كريم، مش هاتفوت معاهن . تحركت في سرعة وضغطت زر الإنذار، وانطلق الصوت مدويًا في أرجاء المستشفى .

- اشتعلت عينا جورج غضبًا وضغط الزناد ودوى صوت الرصاصة يصم الآذان .

- نظر كريم إلى دوللي التي اتسعت عيناها وظهرت بقعة دماء على ملابسها، ثم ما لبثت أن سقطت أرضًا في عنف مضرجة في دماؤها، صرخ كريم ودوريس في صوت واحد : دوللييييييي

- سالت الدموع من عيني كريم وهو لايصدق ماحدث، قفز نحو دوللي محاولاً إسعافها، إلا أن آدم استوقفه ووضع مسدسه على رأسه قائلاً : (ياللا بينا، الجنرال مش هايستنى كتير)

- رفض كريم التحرك وجلس أرضًا بجوار دوللي لا يدري ماذا يفعل، فما كان من جورج إلا أن أمسك به من ملابسه بقوة مجبرًا إياه على الوقوف . ثم دفعه أمامه قائلاً : (ياللا بينا، خلصنا)

●●●



- فتح جورج باب مكتب الجنرال ودلف منه دافعًا كريم أمامه يتبعه آدم، وقف أمام الجنرال وأدى التحية قائلاً : (تمام يافندم، كريم أهوه)

- انقضَّ كلاً من مهند وهيثم على كريم يحتضناه في لهفة، نسيا ماهم فيه وانسالت دموع الفرح وهما يهتفان باسمه .

- هب الجنرال واقفًا وهو يقول في صرامة : (كفاية، أنا مش جايبكم هنا علشان نلم الشمل . عايز أعرف إيه موضوع آلة الزمن ده وبتشتغل إزاي ؟)

- نظر إليه هيثم قائلاً : (زي ماقولتلك، إحنا مش هأنتكلم من غير صفقة الأول . إيه اللي يضمنلنا إنك مش هاترمينا بعد كده في السجن)

- نظر الجنرال إلى جورج وأومأ له برأسه، فمالبث جورج أن رفع سلاحه وصوبه إلى رأس مهند قائلاً: (رد على الجنرال ويلسون يا أخ هيثم، بدل ما دي تكون آخر مرة تشوف فيها صاحبك مهند . وإذا كنت مش مصدق، إسأل كريم عن اللي حصل في المستشفى)

- نظر مهند في رعب وهو يجد مسدسًا مصوبًا إلى رأسه، فقال في توتر : فيه إيه يا أخ جورج ! هو أنت ماتعرفش حد هنا غيري !



- نظر الجنرال إلى هيثم في تحدٍ قائلاً : (مفيش صفقات قبل ما أعرف كل حاجة بالتفصيل)

- اكتسى صوت هيثم بنبرة آسى وهو يقول : (حتى لو قولنالك كل حاجة، الجهاز ضاع ومش لاقينه)

- فتح الجنرال أحد أدراج مكتبه وأخرج منه جهازًا يشبه التليفون المحمول . أمسكه في يده وهو يقول :

(السيد جراهام لقى الجهاز ده في غرفة التحكم اللي لقيناكم فيها، كان مرمي على الأرض . لاقاه بعد الميه مانشفت) . نظر إلى الجهاز قائلاً : (جابهولي وكان فاكره جهاز تجسس . حاولت أشغله أكتر من مرة، مارضيش يشتغل)

- تهللت أسارير هيثم ومهند وتعلقت أبصارهم بالجهاز في يد الجنرال، ثم مالبث أن قال هيثم محاولاً أن يخفي سعادته : (أيوه هو ده الجهاز، بس الشاشة بتاعته بايظة، وكريم هو الوحيد اللي يعرف يصلحها)

- نظر إليه الجنرال قائلاً في سخرية : (مفيش مشكلة ! الجهاز لو محتاج تصليح، يتصلح قدام عيني)

- نظر هيثم إلى كريم الذي كان لا يبدي إهتمامًا بما يدور حوله، فقد كان يفكر في دوللي وعيناه مغرورقتان بالدموع . نادى عليه قائلاً : كريم، فوق يا كريم . مالك فيك إيه ؟



- نظر إلى هيثم ثم مالبث أن نظر في غل إلى جورج قائلاً : قتلتها ليه ! عملتلك إيه !

- لم يسأله هيثم من يقصد بل قال له : بص يا كريم دي فرصتنا علشان نخرج من هنا . عايزك دلوقتي تبقى فايق كده ومصحصح . خد الجهاز منه ياكريم ودوس على إدخال وبعدين تأكيد، بلاش إنجليزي علشان محدش يفهم . وبعد كده ربنا يسهل .

- صاح الجنرال في حزم : (اللي عايز يتكلم، يتكلم معايا أنا) ثم وجه كلامه لكريم قائلاً : (الجهاز ده إيه مشكلته ؟)

- ترجم هيثم الحوار لكريم، الذي لم ينبس ببنت شفه وإنما مد يده للجنرال ليعطيه الجهاز ليفحصه . تردد الجنرال قليلاً، فنظر كريم لهيثم قائلاً : قول للحيوان ده يديني الجهاز علشان أشوف اللي فيه . وقوله إني محتاج طقم مفكات ومكوة لحام.

- ترجم هيثم للجنرال ما طلبه كريم، فأعطى الجنرال أوامره لآدم لإحضار المطلوب . ثم ناول كريم الجهاز على مضض .

- أمسك كريم بالجهاز وتبادل ثلاثتهم النظرات ثم ضغط على الأزرار المطلوبة وماهي إلا لحظات وتألقت الساعات بضوء فيروزي وظهرت في الهواء دائرة الطاقة مصحوبة بشرارات كهربية . اتسعت عيون الجميع مبهورين بما يحدث أمامهم .



- انفتح باب الغرفة فجأة في عنف ودخل منه الرائد شيبرد، شاهرًا مسدسه وضمادة كبيرة ملوثة بالدماء مثبتة عل كتفه وهو يقول في صوت ضعيف : (بأمر السيد وزير الدفاع مقبوض عليك يا جنرال أنت والرقيب هنتر وآدم بتهمة المساس بالأمن القومي الأمريكي)

- انقض هيثم على جورج وكال له لكمة أودعها كل قوته، سقط الأخير أرضًا من قوة اللكمة . استغل الثلاثة ما يحدث وقفزوا دخل الدائرة .

- صرخ جورج في جنون : (لااااااا) وضغط زناد مسدسه وانطلقت الرصاصة ، صرخ مهند من الألم وهو يقفز داخل الدائرة، ودوى صوت رصاصة أخرى مخترقة رأس الرقيب جورج هنتر . وتصاعد الدخان من فوهة مسدس الرائد شيبرد . الذي قال وهو يجز عى أسنانه : (دي علشان دوللي)

- جن جنون الجنرال وصرخ وهو يقفز داخل الدائرة قائلاً : (لأاااااه، مش هاتهربوا مني أبدًا)، وما أن عبر الدائرة حتى أُغلِقَت وساد الصمت أجواء الغرفة .

- اندفعت أجساد الثلاثة يعبرون النفق المظلم بسرعة مخيفة، ومهند يتأوه من الألم وتسيل الدماء من فخذه الأيمن، نظروا خلفهم واتسعت عيونهم رعبًا، فخلفهم كان الجنرال ويلسون



يصرخ من شدة الألم وجسده يتحول في سرعة إلى ذرات من رماد أسود مالبث أن تبخر أمام عيونهم ولم يبقَ منه شيء .

- رفع الرائد شيبرد سماعة التليفون الأحمر وماهي إلا لحظات وأتاه صوت وزير الدفاع . حكى له ماحدث بالتفصيل . صمت الوزير قليلاً ثم قال : (ماحدش يغادر القاعدة لحد ما رئيس الأركان يوصل عندك، إديني مدير وكالة ناسا أكلمه)

- ناول شيبرد السماعة لجراهام قائلاً : (معالي الوزير عايز يكلمك)

- تمالك جراهام أعصابه وهو يمسك السماعة قائلاً : (تحت أمرك يا معالي الوزير)

- قال الوزير في لهجة آمرة : (بص يا جراهام، مفيش حاجة حصلت عندك في القاعدة . اللي حصل للمكوك ده عطل فني وهو اللي سبب الإنفجار . بالنسبة للجنرال ويلسون، جاتله أزمة قلبية وتوفى نتيجة ضغط الشغل . وإحنا هانعمله جنازة عسكرية محترمه، ماشي ؟)

- مطّ جراهام شفتيه قائلاً : (اللي تشوفه يافندم، بس حضرتك الناس كلها شافت اللي حصل . أقولهم إيه !)

- أجابه الوزير في صرامة : (اللي قولتلك عليه هو ده اللي تقوله، أما بالنسبة لشرارات الكهرباء اللي شافوها والكلام ده،



ده كان ماس كهربي نتيجة عيب في اللوحة العمومية وخلاص هانغيرها، مفهوم ؟)

- هز جراهام رأسه قائلاً : (حاضر يافندم)

- قال الوزير في صرامة : (حاجة أخيرة انسى خالص موضوع آلة الزمن والهبل ده، الموضوع ده لو إتفتح تاني مش هايحصلك كويس . خلي المدة اللي فاضلالك لحد المعاش تعدي على خير)،قالها وأغلق التليفون .

- وضع جراهام سماعة التليفون وهز رأسه متعجبًا ثم قال محدثًا نفسه: (حاضر يافندم)

●●●



الفصل الرابع





الفصل الرابع

جاوزت الساعة الثانية صباحًا بتوقيت شرق أمريكا، وغلف الصمت المطبق هذا الجزء من مدينة نيويورك . وفجأة شق الصمت صرير عجلات سيارة تضغط قائدتها على الفرامل في محاولة للتوقف . وتعالت صرخاتها وهي تنظر في رعب إلي الدائرة التي ظهرت أمامها في الفراغ . دائرة من الطاقة تضيء ماحولها . مصحوبة بشرارات كهربائية، تُصدِر صوتًا كصاعق الكهرباء الذي يستخدمه أفراد الأمن .

اتسعت في رعب عينا أحد المشردين الذي افترش أحد الأرصفة الجانبية بالشارع وقد غطى نفسه بمعطف مهترئ . اعتدل جالسًا فاغرًا فاه ممسكًا بزجاجة بها آثار مشروب كحولي. لا يصدق ما تراه عيناه، تنقلت نظراته مابين الدائرة التي أمامه والزجاجة في يده ظنًا منه أنه قد أفرط في الشراب . حدق كلاهما في الدائرة التي ظهرت على بعد أمتار قليلة منهما وماهي إلا ثوانٍ حتى اندفع منها ثلاثة أشخاص سقطوا أرضًا أمامهم . كان أحدهم ينزف من جرح في فخذه الأيمن .

- اختفت الدائرة وصاح هيثم بعلو صوته : إسعاف، حد يلحقنا .
تلفت حوله في توتر محاولاً أن يستدل على مكانهم، ثم مالبث أن صاح بالإنجليزية : (إسعاف، حد يساعدنا)



- هرع أحد الأشخاص إليهم وهو يصيح : (حد يتصل بـ ٩١١)

- وماهي إلا لحظات ودوى صوت سرينة تصم الآذان معلنة وصول عربة الإسعاف . ترجل فردين من العربة ووضعا مهند على إحدى النقالات ثم مالبثا أن وضعاه بالعربة، وهيثم يطمئنه قائلاً : ماتخافش يا مهند، سليمة إن شاء اللّه .

- همَّ هيثم وكريم أن يركبا مع مهند، إلا أنهما تسمرا في مكانيهما عندما سمعا صوتًا ينادي عليهما قائلاً: (إثبت مكانك، ماحدش يتحرك، إرفع إيدك فوق . إدارة شرطة نيويورك)

إلتفتا للخلف فوجدا عربات الشرطة تحيط بهما من كل جانب، ورجال الشرطة يصوبون أسلحتهم إليهم. أُسقِطَ في أيديهما فتسمرا في مكانهما وتعلقت عيونهما بعربة الإسعاف التي ابتعدت في سرعة ومعها مهند ومالبثت أن توارت عن الأنظار .

- هتف كريم في رعب : هنعمل إيه ياهيثم ؟ الناس دي شكلها مابتهزرش . هم خدوا مهند على فين ؟

- حاول هيثم أن يتماسك وهو يقول لكريم : كريم، إرفع إيدك فوق بالراحة وأعمل زي ما بأعمل بالظبط . الناس دي مابتهزرش، دول شرطة نيويورك .



- رفع هيثم يداه فوق رأسه في بطء وكذا فعل كريم، أحاط بهما أربعة من أفراد الشرطة . صاح أحدهما في صرامة : (ناموا على الأرض، حطوا إيديكم ورا ضهركم) .

- انبطح كلاً من هيثم وكريم أرضًا ووضعا أيديهما خلف ظهرهما . فيما قام إثنان من الشرطة بتقييدهما، بينما تلا عليهما آخر حقوقهما قائلاً : (ليكم الحق إنكم ماتتكلموش، أي حاجة هاتقولوها ممكن تستخدم أو هاتستخدم ضدكم في المحكمة . ليكم الحق إنكم توكلوا محامي . إذا ماكنتوش تقدروا توكلوا محامي، فالمحكمة هاتوكلكوا واحد)

وضعوهم في سيارة من سيارات الشرطة، وإنطلقت السيارات تطلق صفارتها، ومعها تردد سؤال في ذهنيهما، ما الذي سيحدث لهما ؟

- نظر هيثم إلى كريم قائلاً في صوت خافت : كريم، إوعى تفتح بُقك بموضوع آلة الزمن ده نهائي . إحنا جايين أمريكا سياحة، وطلعوا علينا عصابة سرقوا الفلوس والباسبورات .

- سأله كريم في توتر : طيب ولو سألونا جينا أمريكا إزاي وقاعدين فين، هانقول لهم إيه ؟

- صمت هيثم مفكرًا ثم مالبث أن قال : ماتقولش غير اللي قولتلك عليه . إحنا هنا لينا حقوق ومش هنتكلم غير في وجود محامي . هو هايقولنا نعمل إيه .



- سـأله كـريم بصـوت خافـت : تفتكـر إحنـا قبل أحداث ١١ سـبتمبر ولا بعدهـا ؟ لـو بعدهـا يبقـى ننسـى موضـوع الحقـوق ده خـالـص، ربنـا يسـتر . صمـت قليـلاً ثـم أردف قائـلاً : ياتـرى أنـت فـين يـا مهنـد !

●●●

- أفـاق مهنـد مـن تأثيـر البنـج وأحـس بـدوار بسـيط، ففتـح عينيـه ببـطء وتلفـت حولـه متسـائلاً : أنـا فـين ؟

- (حمـد اللّه علـى السـلامة، أنـت فضلـت نـايم مـدة طويلـة . ماكانتـش رصاصـة دي اللـي عملـت فيـك كـده)

- إلتفـت مهنـد إلـى مصـدر الصـوت فوجـد ممرضـة شـقراء تعلـو وجههـا إبتسـامة رقيقـة . كأنـت في أواخـر العقـد الرابـع مـن العمـر. وإلـى جانبهـا وقفـت ممرضـة أخـرى أصغـر منهـا سـنًا تقـوم بتعليـق المحاليـل لـه . رفـع حاجبيـه في دهشـة قائـلاً : (رصاصـة !)

أطـرق بنظـره إلـى الأرض وهـو يتذكـر مـا مـر بـه هـو وصديقـاه . وكيـف أصابتـه الرصاصـة التـي أطلقهـا جـورج وهـو يقفـز إلـى دائـرة الطاقـة، والآلام المبرحـة التـي شـعر بهـا عندمـا اخترقـت فخـذه . هـز رأسـه وأغمـض عينيـه في قـوة محـاولاً نسـيان مشـهد الجنـرال



ويلسون وجسده يتلاشى أمامهم ويتحول إلى ذرات من الطاقة سرعان ماتبددت في النفق الذي عبروا خلاله .

- نظرت إليه في دهشة وحركت يدها أمام وجهه قائلة : (هيه، روحت فين !)

- انتبه فجأة إليها فقال : (معلهش، الواحد سرح في اللي حصل، هو أنا فين ؟)

- ابتسمت وهي تقول : (أنت في مستشفى نيويورك بريسبيتيريان)

- رفع حاجباه في دهشة قائلاً : (نيويورك !)، تذكر صديقاه فصمت قليلاً ثم سألها : (طيب ماتعرفيش صحابي اللي كانوا معايا راحوا فين ؟)

- هزت كتفيها وهو تقول : (معرفش، أنا ماشفتش حد معاك). نظرت إلى زميلتها تسألها : (أنتي شوفتي حد تاني يا كيلي؟)

- هزت رأسها نفيًا وهو تقول : (لأ يا مسز شيبرد . ماكانش فيه حد تاني)

- نظرت شيبرد إلى مهند وهي تقول : (شوفت، مفيش حد تاني غير البوليس اللي واقف حراسة على الباب بره) .



نظرت إلى كيلي قائلة : (أنا هأكمل مرور على باقي الحالات. وإنتي يا كيلي ، خلصي هنا وشوفي الحالات في الإستقبال، ولو فيه حالة صعبة بلغي الدكتورة واتسون) . قالتها ثم انصرفت .

- نظر مهند إلى كيلي . كانت في أوائل العقد الثالث من عمرها . ذات شخصية مرحة . متوسطة الطول ممتلئة القوام، من أصول أفريقية . سألها في توتر : (حرس إيه اللي واقف على الباب ؟ هو فيه حاجة حصلت ؟)

- مطت شفتيها وهي تقول : (مش عارفة . بس بعد ما الإسعاف جابتك هنا، جه وراها البوليس وحطوا حرس على الباب، ومنعوا عنك الزيارات. وغالبًا هُمَّ في الطريق دلوقتِ علشان يحققوا معاك)

- أُسقِط في يده، فقد كانت الأمور لا تبشر بالخير، تمتم محدثًا نفسه : ياترى أنتو فين يا جماعة ؟

●●●

- في إحدى غرف التحقيق بإدارة الشرطة بمدينة نيويورك، لم يتمالك المحقق جوردان أعصابه وصاح في هيثم قائلاً : (يعني أنت مصمم إنك ماتعرفش حاجة عن الأَضواء الغريبة اللي الشهود كلهم بيقولوا أنكم خرجتوا من وسطها ؟)



نظر هيثم إلى المحقق جوردان يتفحصه، كان في أواخر العقد الخامس من العمر . قصير القامة، ممتلىء القوام، أصلع الرأس. حاد الطباع، ذو نظرات ثاقبة، تنم عن ذكاء لا يستهان به .

- هز هيثم كتفيه قائلاً : (إيه الكلام الغريب ده ! نور إيه اللي بتقول عليه حضرتك ؟ أنا قولتلك إني معرفش حاجة عن الموضوع ده، ممكن يكونوا الناس شافوا نور عالي بتاع عربية كانت جايه من ورانا ولا حاجة . وبعدين ده إحنا اللي مجني علينا)

(إحنا حاجتنا كلها إتسرقت بما فيها باسبوراتنا. وصاحبي انضرب بالنار . وبدل ماتمسكوا اللي عملوا فينا كده، بتمسكونا إحنا ! يعني سايبين الجاني وماسكين في المجني عليه ؟)

- زفر جوردان في ضيق قائلاً : (بص يا ... هيثم، هيثم مش كده ؟) أومأ هيثم برأسه إيجابيًا، فاستطرد قائلاً : (أولاً إحنا كشفنا على أسمائكم في قاعدة البيانات، مالهاش وجود أصلاً . يعني لو زي ما بتقول دخلتوا أمريكا قانوني، يبقى لازم تكونوا اتسجلتوا دخول . وبما إنكم مش متسجلين يبقى دخلتوا بطريقة غير شرعية . أو الإحتمال التاني إن الأسماء اللي إديتوها لنا مضروبة . وده بأه موضوع تاني خالص)



- ابتسم هيثم في سخرية قائلاً : (يبقى أكيد فيه حاجة غلط في السيستم بتاعكوا)

- انفجر جوردان في وجه هيثم قائلاً : (ما تيجي أنت تظبطلنا السيستم بتاعنا أحسن !)،صمت قليلاً ثم اردف في لهجة لا تخلو من التهكم : (لو كنت فاكر إننا مش هنعرف نثبت عليك حاجة، تبقى غلطان . أنت أصلاً داخل أمريكا متسلل، وفيه تهم كتير متوجهالك . أولها تهديد الأمن القومي الأمريكي . التهمة دي لوحدها تقعدك معانا مدى الحياة)

- ظهر التوتر على وجه هيثم، ثم مالبث أن قال : (أنا مش هاتكلم إلا في وجود محامي)

- مط جوردان شفتيه قائلاً : (زي ماتحب، إحنا ممكن نجيب لك محامي، بس كده أنت بتقفل على نفسك أي صفقة ممكن تعملها معانا)

- سأله هيثم : (صفقة إيه ؟)

- نظر جوردان في عيني هيثم قائلاً : (يعني مثلاً ممكن تقول اللي حصل بالظبط، والقاضي يخفف الحكم وبدل ماتبقى التهمة أمن قومي تبقى مثلاً ترويع المواطنين وتاخدلك ١٠ سنين، بدل مدى الحياة)



- رفع هيثم حاجبيه وهو يقول : (١٠ سنين ! أنا بأقول نجيب محامي أحسن)

- نظر إليه جوردان في غضب ثم فتح باب الغرفة وقال دون أن يلتفت إلى هيثم : (براحتك . خلي المحامي ينفعك) . قالها وأغلق الباب خلفه في عنف .

- وماهي إلا لحظات ودخل الغرفة أحد أفراد الشرطة الذي اقتاد هيثم إلى غرفة الحجز . وقبل أن يودعه في غرفة الحبس قال له في صرامة : (طلع أي حاجة شخصية معاك وسلمها هنا في الأمانات)

- أجاب هيثم في سرعة : (مفيش حاجة معايا)

- نظر إليه الشرطي قائلاً : (لأ فيه . أُمال الساعة اللي أنت لابسها دي إيه !)

- أُسقِطَ في يد هيثم وأدرك أنه سيفقد الصلة الوحيدة التي تربطه بزمنه، أو بالأحرى سيفقد الأمل في العودة إليه .

●●●

- على باب غرفة مهند رفع أحدهم الشارة المميزة لعملاء الشرطة الفيدرالية أمام وجه الحارس ليسمح له بالدخول



للغرفة . أومأ له الحارس براسه قائلاً : (اتفضل حضرتك، بس مش غريبة إن الـ إف بي آي تهتم بحادثة عادية زي دي ! ده واحد واخد طلقة في رجله . الموضوع مش مستاهل يعني)

- وضع العميل الشارة في جيب سترته، ونظر إلي الحارس في إزدراء قائلاً : (خليك في حالك)

- دلف عميل الـ إف بي آى إلى الغرفة ومالبث أن أغلق الباب خلفه وهو يمعن النظر في مهند . كان مهند مغمض العينين يسترجع الأحداث التي مروا بها . استوقفه ما قالته كيلي من وجود حارس بالباب وأنهم في انتظار البوليس علشان يحققوا معاه . انتزعه من أفكاره صوت الباب وهو يغلق، انتبه وفتح عينيه ليرى مَن القادم . اتسعت عيناه واعتدل جالسًا في فراشه يدقق النظر في وجه العميل الذي اقترب منه .

- (إزيك يا مهند، حمد الله على السلامة)

- هتف مهند في دهشة : (مين ! الرائد شيبرد !!!)

- ابتسم العميل مارك شيبرد قائلاً : (رائد دي كانت زمان يا مهند، أنا دلوقتِ العميل الخاص شيبرد من الـ إف بي آي، ياريت تقوللي مارك)



- رفع مهند حاجبيه مندهشًا وهو يقول : (إف بي آي ! طيب إزاي ؟ إيه اللي حصل ؟)

- تنهد مارك وهو يقول : (دي حكاية يطول شرحها، أنا آسف يا مهند أني ماصدقتكش من الأول . أصل الموضوع برضه كان صعب يتصدق . أُمَّال فين هيثم وكريم ؟)

- هز مهند راسه في أسى قائلاً : (المشكلة إني مش عارف هيثم وكريم راحوا فين، أنا خايف يكون البوليس قبض عليهم)

- ربت مارك على كتف مهند قائلاً : (طيب سيبني أشوف الموضوع ده مع البوليس . أكيد هنلاقيه ...)، تذكر شيئًا فقطع كلامه قائلاً : (صحيح، هو الجنرال ويلسون فين ؟)

- هز مهند رأسه ومط شفتيه وهو يقول : (تلاقيه بقى لمبة ولا سخان كهرباء . هو وحظه)

- ظهرت علامات عدم الفهم على وجه مارك فقطب حاجبيه قائلاً : (لمبة إيه وسخان إيه ! أنا مش فاهم حاجة)

- تنهد مهند وهز رأسه قائلاً : (هو الموضوع علمي وصعب حد عادي يفهمه، بس أنا هافهمك يا مارك . بص ياسيدي)، أشار إلى الساعة التي يرتديها في معصمه وتابع قائلاً : (الساعات اللي معانا دي بتعمل حاجتين، الحاجة الأولانية بتشتغل مع الجهاز علشان يعملوا حاجة .. أنا مش فاهمها، مش مهم .



الحاجة التانية إنها بتمنع أجسامنا نفسها من إنها تتحول لطاقة وإحنا بنعدي في النفق، علشان مانلاقيش نفسنا زي الأخ ويلسون اللّه يرحمه ويبشبش الطوبة اللي تحت رأسه)

- اتسعت عينا مارك في دهشة وهو يقول : (طوبة إيه ! يعني قصدك إنه مات ؟)

- مط مهند شفتيه في أسى وهو يقول : (أيوه يا مارك، اتحلل قدام عينينا واختفى) . صمت قليلاً وارتسمت إبتسامة على وجهه وهو يقول : (سيبك أنت من الكلام ده واحكيلي إيه اللي حصل بعد ما مشينا)

- تنهد مارك وهو يتذكر ماحدث، ثم مالبث أن قال : (فاكر الرقيب جورج هنتر ؟)

- هز مهند رأسه : (هو ده حد ممكن ينساه إبن الـ ...)

- قاطعه مارك قائلاً : (اللّه يرحمه ويبشبش الطوبة اللي تحت رأسه)

- نظر إليه مهند مندهشًا وهو يسأله : (طوبة إيه ! يعني قصدك تقول إنه مات ؟)

- أومأ مارك برأسه إيجابًا، ثم مالبث أن قال : (آيوه أنا ضربته طلقة في دماغه، وبعد كده إتحاكمت، بس أَثبَتّ إنه كان دفاع

عن النفس، بعدها بشوية قدمت إستقالتي من الجيش ورجعت لنيويورك، ودخلت الشرطة وبعد شوية إختاروني في الـ إف بي آي)

- ارتسمت علامات الدهشة وعدم الفهم على وجه منهد قائلاً: (ياه، كل ده حصل في ساعتين تلاتة !)

- نظر مارك إلى مهند وارتسمت على وجهه إبتسامة وهو يقول: (ساعتين تلاتة ! قصدك تقول ١٣ سنة يا مهند)

- رفع مهند حاجبيه وعاد بظهره للخلف مستندًا على فراشه فاغرًا فاه، لا يصدق ما تسمعه أذناه وتمتم قائلاً : (إيه ! ١٣ سنة !)

دقق النظر في وجه مارك ولأول مرة يلاحظ آثار الزمن التي بدت واضحة على وجهه .

- نظر مارك إلى مهند قائلاً : (إحنا في سنة ١٩٩٩ يامهند)

- ارتسمت علامات الحزن على وجه مهند وطقطق بلسانه هو يقول : (١٩٩٩ ، يعني مفيش غير السنة دي اللي نِيجي فيها)

- نظر إليه مارك متسائلاً : (مالها بس السنة دي يا مهند ؟)

- مط مهند شفتيه في أسى قائلاً : (دي السنة اللي بابا وماما ماتوا فيها)



- رفع مارك حاجبيه قائلاً : (الاتنين ماتوا في نفس السنة ! أنا آسف، ماتوا إزاي ؟ حادثة عربية ؟)

- حرك مهند رأسه نفيًا وهو يقول : (لأ، حادثة طيارة . أنت أكيد سمعت عنها، حادثة مصر للطيران اللي حصلت عندكم هنا)

- قطب مارك حاجبيه وهز رأسه نفيًا قائلاً : (مفيش حوادث طيارات حصلت هنا السنة دي يا مهند)

- زفر مهند في ضيق قائلاً : (لأ طبعًا فيه، أُمال ماما وبابا ماتوا إزاي !)، شرد قليلاً وتذكر شيئًا فسأل مارك : (هو النهاردة إيه بالظبط ؟)

- أجابه مارك : (النهاردة ٢٤ أكتوبر)

- قفز مهند من فراشه وأمسك مارك من كتفيه صائحًا في سعادة : (أيوه صح كده، أنت عندك حق . الحادثة لسه ماحصلتش . الحادثة دي حصلت يوم ..)، طقطق بلسانه قائلاً : (ما حصلتش يوم ...)

زفر في ضيق قائلاً : (إيه اللخبطة دي ! المهم يا مارك إن الحادثة دي يوم ٣١ أكتوبر)، تهللت أساريره وهو يقول : (عارف ده معناه إيه ؟ معناه إن فيه فرصة ننقذ بابا وماما)

●●●



- نظـر جـوردان في عينـي كـريم مطـولاً قبـل أن يقـول متهكمًـا : (إتأخرنـا عليـك ؟ معلهـش عقبـال ماعرفنـا نجيـب مترجـم علشـان نعـرف نتفاهـم مـع بعـض) أشـار إلـى المترجـم قائـلاً : (مسـتر هـوك، مـن أفضـل المترجمـين المعتمديـن عندنـا) .

- أحنـى السـيد هـوك رأسـه وابتسـم في زهـو وهـو ينظـر في عينـي كـريم قائـلاً بلغـة عربيـة تغلفهـا لكنـة أجنبيـة : أكيـد إحنـا ممكـن نتفاهـم مـع بعـض، مـش كـده ؟

بـدا كـريم متوتـرًا وهـو في يتلفـت حولـه في غرفـة التحقيقـات . كانـت هـذه هـي المـرة الأولـى في حياتـه التـي يتـم التحقيـق معـه، أو بالأحـرى المـرة الأولـى التـي يتواجـد في غرفـة تحقيقـات .

زاد توتـره مـع نظـرات المحقـق جـوردان الثاقبـة التـي شـعر كأنهـا تختـرق عينيـه إلـى عقلـه مباشـرة كأنمـا يقـرأ مايجـول في خاطـره .

- قطـب جـوردان حاجبيـه وهـو يقـول بلهجـة حـاول أن يجعلهـا صارمـة : (خـد بالـك يـا كـريم قبـل مانبـدأ، الكـدب بيزعلنـي قـوي، وأنـا زعلـي وحـش)

- قـام هـوك بالترجمـة فأجـاب كـريم في سـرعة : وأنـا هـأكدب ليـه! أنـا هـأقـول الصراحـة .

- هـز جـوردان رأسـه قائـلاً : (ممتـاز . طيـب إيـه اللـي حصـل ؟ عايـزك تحكيلـي اللـي حصـل بالتفصيـل)



- قال كريم : بص حضرتك إحنا كنا ماشيين في الشارع، وبعدين طلعت علينا عصابة سرقوا حاجتنا كلها، ومهند حاول يقاومهم فضربوه بالنار . ده كل اللي حصل حضرتك .

- ما أن ترجم هوك ماقاله كريم حتى استشاط جوردان غضبًا قائلاً : (وطبعًا هاتقولي إن الأضواء اللي الناس شافوها، كأنت نور عربية جاية من وراكوا، مش كده ؟)

- أجاب كريم : لأ طبعًا مش هأقول كده .

- تهللت أسارير جوردان حينما ترجم هوك ماقاله كريم فقال: (برافو عليك، أهوه كده .قوللي بأه إيه موضوع الأضواء دي؟)

- رفع كريم حاجبيه مصطنعًا الدهشة وهو يقول : أضواء إيه حضرتك !

- ضرب جوردان المنضدة بقبضته في قوة وصاح في وجه كريم : (أنت بتستهبل !)

- اقترب هوك من كريم قائلاً بلكنته الأجنبية : بص يا مستر كريم، مفيش داعي تترفز المستر جوردان . هو مش بيحب الكدب . لو انترفز كتير، ممكن يكون فيه تصرف تاني مش تحبه .



- نظر إليه كريم قائلاً : ما أنا بقول الصراحة أهوه . أعمل إيه أكتر من كده !

- زفر جوردان في ضيق قائلاً : (لأ ماتعملش حاجة . أنا اللي هأعمل . هأعمل كل جهدي علشان تقضي بقية عمرك في السجن، أنت وأصحابك)

- نظر كريم في توتر إلى هوك الذي ترجم ماقاله جوردان، وقال له : أنا عايز محامي، إحنا ماعملناش حاجة .

- خرج جوردان من الغرفة غاضبًا وأغلق الباب في عنف فنظر هوك إلى كريم قائلاً : أنت كده زعلت مستر جوردان، قولتلك بلاش تزعله .

- مط كريم شفتيه في لا مبالاة ونظر إليه ولم يعلق . وماهي إلا لحظات ودخل أحد الحراس وقام باصطحاب كريم يرافقه المترجم إلى غرفة الحبس .

- أصدر الحارس تعليماته إلى كريم الذي هز كتفيه في عدم فهم ونظر إلى هوك يسأله عما يقوله الحارس. قال هوك : بيقولك طلع كل اللي في جيبك عشان يتحط في الأمانات قبل ماتدخل غرفة الحبس .



- أخرج كريم محفظته قائلاً : هي دي اللي معايا . مفيش معايا حاجة تاني .

- نظر إليه الحارس في شك وهز رأسه قائلاً في تهكم : (مفيش معاك غير دي ! ماشي) . دفعه بإتجاه الحائط ثم قام بتفتيشه ذاتيًا ومالبث أن أخرج الجهاز من جيبه، فنظر إليه قائلاً : (أُمال إيه ده !)

- تعلقت أنظار كريم بالجهاز ونظر إلى الحارس بوجه منزعج قائلاً : دي آلة حاسبة وكمان بايظة . لم يفهم الحارس شيئًا مما يقول فتجاهله، ومالبث أن قام بنزع الساعة من معصم كريم الذي فقد النطق بعدما فقد جهازه وساعته، وشعوره بأنه قد فقد حياته .

- لاحظ هوك انزعاج كريم عندما أخذ الحارس منه الجهاز، فنظر إلى الجهاز ثم إلى كريم وهو يحدث نفسه قائلاً : (دي مش شكل آلة حاسبة . ولو هي فعلاً آلة حاسبة، ليه كريم مرعوب كده !)

- قام الحارس بتسليم متعلقات كريم الشخصية إلى الأمانات ودفع كريم أمامه إلى غرفة الحبس وأغلق الباب من خلفه .

●●●



- (بس أنت عرفت منين إن أنا هنا ؟)

- نظر مارك لمهند وابتسم قائلاً : (أنا طول المدة دي كان عندي أمل أننا نتقابل تاني . بس كمان وجودي في الـ إف بي آي هو اللي نفعني . لأننا في الـ إف بي آي متصلين بكل إدارات الشرطة في أمريكا . فأول ما جه بلاغ من إدارة شرطة نيويورك عن اللي حصل، وإن فيه أضواء غريبة وتلاتة ظهروا في نص الشارع فجأة، منهم واحد مصاب في رجله، قولت مفيش غيركوا)

صمت قليلاً ثم ابتسم قائلاً : (وبعدين اللي أكد لي أكتر، لما مراتي كلمتني وقالتلي إن البوليس جاب واحد واخد طلقة في رجله المستشفى عندهم . وبتوع الإسعاف قالولها إنهم سمعوا إن أنت وصحابك ظهرتوا فجاة من وسط أنوار غريبة . قولت خلاص كده، أكيد أنتم)

رفع حاجبيه متعجبًا قبل أن يقول : (بس إنكم تظهروا في نيويورك، دي بأه اللي عمري ماتخيلتها)

- ابتسم مهند وسأله : (هي مراتك بتشتغل هنا في المستشفى؟)

- أومأ مارك برأسه قائلاً : (آه، وعندها نوباتشية النهاردة . هي بتمر على حالات وجاية دلوقتِ)



تذكر شيئًا فقال: (على فكرة يا مهند، فيه أمانة شايلهالك معايا) . أخرج من جيبه محفظة يبدو عليها القدم، ناولها لمهند قائلاً : (محفظتك اللي أخدتها منك في غرفة التحقيقات، لو لسه فاكر)

- أمسك مهند بالمحفظة يسأله في لهفة : (دي محفظتي !)، تفحصها مندهشًا وهو يقول فرحًا : (أنا مش عارف أقولك إيه، متشكر بجد) . صمت قليلاً ثم مالبث أن قال والدهشة لم تفارق ملامحه : (بس إيه اللي حصل لها ! دي شكلها قدمت قوي !)

- ضحك مارك وهو يقول : (طبعًا يا مهند لازم تقدم، مش بقالها معايا ١٣ سنة)

- أومأ مهند رأسه وتنهد قائلاً : (آه صحيح، معلهش أصل الموضوع يلخبط)

- سمعوا صوت طرقات على الباب ثم مالبث الباب أن فُتِح ودلفت منه مسز شيبرد، احتضنها مارك وطبع قبلة رقيقة على وجنتيها قائلاً : (إزيك يا حبيبتي، وحشتيني جدًا)

- ابتسمت في دلال قائلة: (وحشتك ! آه كل عقلي بالكلام ده . برضه هاتجيبلي الهدية اللي وعدتني بيها)



- ضحك مارك قائلاً : (وأنا عند وعدي)، أمسك بيدها ونظر إلى مهند قائلاً : (مهند، أقدملك مراتي، دوريس شيبرد)، ثم نظر إلى دوريس قائلاً : (دوريس، ده مهند اللي كلمتك عنه)

- ابتسمت دوريس قائلة : (فرصة سعيدة يا مهند)

- ارتسمت إبتسامة على وجه مهند وهو يقول : (أنا أسعد يا مسز شيبرد، ومتشكر على تعبك معايا النهاردة)

- هزت دوريس رأسها وهي تقول والإبتسامة لم تغادر شفتيها : (من فضلك قوللي دوريس . مفيش تعب ولا حاجة، ده واجبي. على فكرة أنا ومارك كنا في نفس القاعدة . بس كريم هو الوحيد فيكم اللي قابلته لما كان عندنا في المستشفى)

- رفع مهند حاجبيه قائلاً : (أنتِ كنتِ في مستشفى القاعدة؟)، أومأت برأسها إيجابًا . إلتفت إلى مارك يسأله : (أنتوا متجوزين بقالكوا كتير ؟)

- أومأ مارك براسه إيجابًا وهو يقول : (إحنا مع بعض من ساعة ما كُنَّا في القاعدة، ولما سيبت الجيش دوريس كمان قدمت إستقالتها وجت معايا على نيويورك . وإتجوزنا من عشر سنين وعايشين كلنا مع بعض، أنا وهي وكيفين و بيبي)

- سأله مهند : (كيفين و بيبي دول ولادكوا ؟ ربنا يخلي)



- أحاطها مارك بذراعه ونظر في عينيها وهو يقول : (كيفين إبننا أنا ودوريس . أما بيبي يبقى الكلب بتاعنا) . نظر مارك في ساعة يده وإلتفت إلى مهند قائلاً : (بأقولك إيه يا مهند، تقدر تدوس على رجلك ؟)

- أجابه مهند : (بيتهيألي أقدر، ليه فيه حاجة ؟)

- تهللت أسارير مارك فأردف قائلاً : (أنا هأخلص إجراءات خروجك من المستشفى معايا دلوقتِ، على أساس إن الموضوع خلاص بقى مع الـ إف بي آي . لازم نخرجك بسرعة قبل الدنيا ما تتلخبط . بس معلهش لازم تخرج متكلبش علشان ماحدش يشك في حاجة) . إلتفت إلى دوريس قائلاً : (حبيبتي، تعرفي تجيبي كرسي متحرك لمهند ؟)

- أومأت دوريس برأسها قائلة : (مفيش مشكلة . دقيقة واحدة ويكون الكرسي موجود)، قالتها وإنصرفت لتحضره ، وذهب مارك إلى إدارة المستشفى لإنهاء إجراءات خروج مهند .

قام مهند بتغيير ملابسه بسرعة، وماهي إلا لحظات وعادت دوريس ومعها الكرسي المتحرك، ساعدت مهند في الجلوس على الكرسي، ثم فتحت باب الغرفة وهمت بالخروج دافعةً أمامها مهند على الكرسي . وإذ بشخص يقف أمام باب الغرفة يسد



عليهما الطريق . وجانبه وقفت الممرضة كيلي وهي تقول : (هو ده المريض اللي حضرتك بتسال عليه)

- نظرت دوريس إليه متسائلة : (أي خدمة ؟)

- رفع شارة أمام عينيها وهو يقول : (المحقق جوردان . إدارة شرطة نيويورك) . أشار إلى مهند قائلاً : (واخداه ورايحة على فين ؟)

- أُسقِطَ في أيديهما، وأدركا أن الأمور قد أخذت منحى آخر، بالتأكيد ليس في صالحهما .

●●●

فى غرفة الحبس كان هيثم غارقًا في أفكاره، كيف سيخرجان من هذه الورطة ؟ كان الموقف مختلفًا عن سابقيه . ففي كل مرة كانت معه ساعته التي يمنحه وجودها في معصمه بصيص من الأمل، وأنها تربطه بزمنه بطريقة أو بآخرى .

- جلس كريم بجوار هيثم وبدا شارد الذهن وهو يقول : أخدوا الجهاز والساعة ! وإيه يعني، خلاص مالهمش لازمة .

- زفر هيثم زفرة حارة وهو يقول : مالك ياكريم، فيه إيه ! ماتفقدش الأمل يا أخي . إن شاء الله المحامي ييجي ونشوف هانعمل إيه .



- تنهد كريم قائلاً : محامي ! وهانقول للمحامي إيه إن شاء الله! هانقوله إحنا مين وجينا هنا إزاي ؟

- نظر إليه هيثم وهو يقول : نقولُّه اللي إحنا قولناه للبوليس، نفس الكلام ومانغيروش . ده أملنا الوحيد.

- صدرت تنهيدة من كريم وهو يقول : أيوه، بس ماتنساش إن كل الشهود بيأكدوا إنهم شافوا دايرة نور غريبة وشرارات كهرباء وإحنا طلعنا من وسطها .

- هز هيثم كتفيه قائلاً : مفيش عندهم إثبات على أي حاجة من اللي الشهود بيقولوها . ده غير إن الكلام ده صعب حد يصدقه أو يتكتب في تحقيق رسمي، وبيتهيألي ده اللي مخلي المحقق جوردان متوتر .

- صمت كريم مفكرًا يسترجع مامر به من أحداث، وبدا الحزن على وجهه وإغرورقت عيناه بالدموع وهو يقول : مش فارقة ياهيثم . خلاص أنا مابقيتش تفرق معايا . نقعد ولا نروَّح، كله محصل بعضه .

- انتبه هيثم إلى مايقوله كريم فنظر إليه في دهشة قائلاً : فيه إيه يا كريم ! أنت عمرك ماكنت انهزامي كده . طول عمرك عندك أمل في بكره . إيه اللي حصل ؟



- لم يستطع كريم أن يغالب دموعه فانسابت على خديه . خلع نظارته من على عينيه وهو يمسح دموعه بيديه وقال بصوت متحشرج : أصل أنت ماجربتش يا هيثم تفقد حب حياتك وهي بين إيديك .

- ارتفع حاجبا هيثم واتسعت عيناه من فرط الدهشة وهو يقول : حب حياتك ! أنت بتتكلم عن مين يابني ؟

- ارتعشت شفتا كريم وهو يقول : دوللي .... ثم أخذ ينتحب .

- أحاطه هيثم بذراعه وهو يربت على كتفه قائلاً : هدأ نفسك ياكريم، امسك أعصابك شوية .

- أخذ كريم يمسح دموعه وهو يحاول أن يتماسك، مضى بعض الوقت فهدأ قليلاً وقال : خلاص يا هيثم أنا بقيت كويس . ماتشغلش بالك .

- سأله هيثم : دوللي مين يا كريم ؟ وعرفتها إمتى ؟ أنا أول مرة أسمع عنها ؟

- نظر إليه كريم بعينين مغرورقتين بالدموع وسأله : أنت بتؤمن بالحب من أول نظرة يا هيثم ؟ أومأ هيثم برأسه إيجابًا . فأردف كريم قائلاً : دوللي دي الممرضة اللي كانت بتعالجني في مستشفى القاعدة . أجمل بنت شفتها في حياتي، مامتها



لبنانية وباباها أمريكاني، من أول ماشفتها وحسيت إن فيه حاجة بينًّا . هي صحيح ماقالتليش أنها بتحبني، بس أنا كنت ببص في عينيها وأشوف اللي هي مش قادرة تقوله .

ولما أبص في وشها، أحس إن القمر بطَّل ينور . وينور ليه ! ما نور وشها مغطى عليه .

- ابتسم هيثم وداعب كريم قائلاً : إيه يا كريم أنت بقيت شاعر ولا إيه !

- مط كريم شفتيه وهو يقول : شوفت بأه ! حتى أنا نفسي مستغربني . ده تسميه إيه يا هيثم ؟

- هز هيثم كتفيه وهو يقول : ماعرفش، طيب كمِّل اللي حصل.

- وضع كريم النظارة على وجهه مرة أخرى وزفر زفرة حارة كأنما يزيح عبئًا عن كاهله قبل أن يقول : فاكر الراجل اللي أنت ضربته بالبونيه في وشه قبل ما نهرب من القاعدة ؟ أومأ هيثم برأسه إيجابًا، فأردف كريم قائلاً : أهو ده الحيوان اللي قتلها لما جه يجيبني من المستشفى، ضربها بالنار من غير تفكير، ما ترددش لحظة .

بدا الحزن واضحًا على وجه كريم وهو يقول : خلاص يا هيثم مابقيتش فارقة معايا أطلع من هنا، أو حتى أرجع البيت .



- نظر هيثم إلى كريم مفكرًا ودارت التساؤلات في رأسه : إيه اللي هايحصل دلوقتِ ؟ حتى لو المحامي عرف يخرجنا من هنا وأخدنا حاجتنا، لسه الجهاز بايظ وكريم مش هايصلحه وهو في الحالة دي . طيب إيه العمل ؟

●●●

- انتبه المتواجودون بصالة الانتظار بمطار جون إف كينيدي إلى صوت مذيعة الإذاعة الداخلية وهي تعلن عن وصول رحلة مصر للطيران رقم ٩٨٩ القادمة من القاهرة . وعلى متن الطائرة كان الكابتن يهنئ الجميع بسلامة الوصول متمنيًا لهم قضاء وقت ممتع بأمريكا .

- إلتفت الدكتور البهنساوي إلى زوجته وارتسمت إبتسامة على وجهه وهو يقول : حمد اللّه على السلامة يا فريدة .

- ابتسمت بدورها إبتسامة يغلفها الإجهاد قائلة : اللّه يسلمك يا محمد، الرحلة كانت طويلة قوي . أنا زهقت من كتر القعدة .

- ربت على كتفها وهو يقول بإبتسامة مشجعة : معلش يافريدة، أدينا الحمد للّه وصلنا أهوه وإن شاء اللّه كلها أسبوع ونخلص المؤتمر ونرجع البيت .



- صدرت منها تنهيدة وهي تقول : مش عارفة قلبي مقبوض كده ليه ! قلقانة قوي على مهند . تفتكر شريف أخويا هايعرف يخلي باله منه في الأسبوع ده ؟

- أمسك بيدها محاولاً طمأنتها قائلاً : يا حبيبتي إن شاء اللّه خير، مهند مش صغير، ده عنده ١٤ سنة وبعدين إنتي عارفة قد إيه شريف أخوكي بيموت فيه .

- تنهدت قائلة : أنا عارفه إنه بيموت فيه . بس أنت عارف إن شريف نفسه عايز اللي ياخد باله منه، ده بيغرق في شبر ميه.

- هز رأسه قائلاً : على رأيك، جبتك يا عبد المعين تعيني لقيتك يا عبد المعين زعلان .

- رَفَعَت حاجبيها ونظرت إليه في دهشة قائلة : زعلان !! مفيش فايدة عمرك ما هاتتغير . ثم مالبثت أن هزت رأسها وابتسمت قائلة : الحمد للّه إن مهند مالقطش منك الكلام ده .

أمسك كلٍ منهما حقيبته في يده، وتوجها لباب الخروج. ودَّعهما طاقم الطائرة وهما يغادرانها متجهين إلى ضباط الجوازات .

- أنهيا الإجراءات واستلما حقائبهما وتوجها إلى خارج المطار . وفي سيارة الأجرة قال البهنساوي للسائق : (فندق ويلينجتون لو سمحت، عارفه مش كده ؟)



- نظر إليه السائق يتفحصه قليلاً ثم أجاب : (آه عارفه، ده موجود في وسط مانهاتن، هو من أشهر الفنادق في نيويورك وأغلاهم . لو عايز أوديك فندق تاني أرخص شوية، أنا تحت أمرك)

- هز البهنساوي رأسه نفيًا وهو يقول : (لأ شكرًا، خلينا نروح الفندق ده)

- هز السائق كتفيه في لا مبالاة قائلاً : (براحتك، أنا كان قصدي أنصحك)

- قالت فريدة لزوجها بصوت منخفض : ليه يا محمد الفندق الغالي ده ! ما تخليه يشوفلنا فندق تاني يكون أرخص وقريب برضه من مكان المؤتمر .

- أمسك محمد بيدها وهو يبتسم قائلاً : يا حبيبتي المؤتمر هاينعقد في الفندق ده، يعني قعادنا فيه هايسهل علينا كتير . ده غير إن مكانه ممتاز . وبعدين الغالي يرخصلك يادكتورة .

- ابتسمت وهي تربت على يده قائلة : ربنا يخليك لينا ومايحرمناش منك أبدًا، أنا والولاد .

- نظر إليها في دهشة قائلاً : هو مهند بقى الولاد !



- ابتسمت في خجل قائلة : ما أنا كنت عملَهَالك مفاجأة، إن شاء اللّه كلها كام شهر ومايبقاش مهند لوحده.

- لم يتمالك نفسه من شدة الفرح . أمسك يديها يقبلها واغرورقت عيناه بالدموع وهو يقول : بجد يافريدة أنتِ حامل؟ أومأت برأسها إيجابًا . كاد أن يبكي وهو يقول : الحمد للّه، الحمد للّه، ألف شكر ليك يارب. مين كان يصدق إن بعد ١٣ سنة وبعد ماقولنا خلاص، يحصل وتحملي !

- لم تغادر الإبتسامة شفتيها وهي تقول : أنا عمري مافقدت الأمل يا محمد . وعارفة ومؤمنة بأن اللّه على كل شيء قدير . وقبل ماتقوللي اتأكدتي والكلام ده، أيوه اتأكدت. بعد ماعملت الاختبار في البيت وطلع إيجابي، عملت تحليل في معمل المستشفى اللي أنا فيها والحمد للّه كله تمام .

- احتضنها في حنان من شدة الفرح، وتذكر شيئًا فتنهد قائلاً: بس يا فريدة ياريتك كُنتِ قولتيلي قبل ما نسافر، علشان السفر خطر على الحمل، خصوصًا في الشهور الأولى .

- نظرت إليه قائلة : علشان كده مارضيتش أقولك . كنت هاتقولي اقعدي ماتسافريش، وأنت عارف يا محمد إن أنا ما بيجيليش نوم وبفضل قلقانة عليك طول ما أنت مسافر .



- قبل يديها ووضع يده على بطنها وهو يقول ضاحكًا : ربنا مايحرمناش منك أبدًا .

- ضحكت وهي تربت على يديه . صمتت قليلاً وتذكرت ابنها مهند فشردت بأفكارها وهي تحدث نفسها قائلة : ياترى عامل إيه يا مهند ؟

●●●

- (فيه حاجة يا سيادة المحقق ؟)

- إلتفت جوردان إلى صاحب الصوت الذي رفع شارته في وجهه وهو يقول بلهجة متعالية : (العميل الخاص مارك شيبرد، إف بي آي . الموضوع دلوقتِ كله مع الـ إف بي آي، يعني شرطة نيويورك مالهاش دعوة خالص بالموضوع ده)

- تهللت أسارير دوريس عندما وصل مارك في الوقت المناسب وتنفس مهند الصعداء، بينما ظهرت علامات الضيق على وجه جوردان وهو يقول : (الموضوع ده معايا أنا، وماحدش بلغني إن الموضوع بقى مع الـ إف بي آي)

- رد عليه مارك بلهجة جافة : (دي مش مشكلتي، المشكلة دي تحلها عندكم هناك . أما هنا، فالكلمة ليا أنا . ولو أنت مش عارف يعني إيه إف بي آي، ممكن أعرفك) . كتم جوردان غيظه وهو ينظر شذرًا إلى مارك ولم ينبس ببنت شفة .



نظر إليه مارك في تحدٍ وإستطرد قائلاً : (اتفضل بأه دلوقتِ من هنا علشان فيه عندنا شغل عايزين نعمله) . ثم أشار إلى الحارس الواقف بباب الغرفة قائلاً : (وخد الأخ ده معاك، إحنا مش عايزينه)

- تغيرت ملامح جوردان وإحمر وجهه من شدة الغضب وكاد أن ينفجر في وجه مارك إلا أنه تذكر أنه من الممكن أن يفقد عمله إذا ماوُجِهَت إليه تهمة إعاقة تحقيق خاص بمكتب التحقيقات الفيدرالي .

نظر إلى الحارس صائحًا فيه : (أنت واقف هنا بتعمل إيه ! اتفضل إطلع على الإدارة دلوقتِ) . نظر إليه الحارس في دهشة وهمَّ أن يقول شيئًا إلا أنه تراجع عن ذلك . هز رأسه وزفر في ضيق وانصرف يتبعه جوردان .

- ما أن انصرف جوردان والحارس حتى بدا الإرتباك على وجه كيلي لإحساسها بأنها هي من تسببت بهذا الموقف، بعدما أرشدت المحقق جوردان إلى غرفة مهند فقالت : (أنا آسفة يا مسز شيبرد، هو جالي وسألني عليه . وحضرتك مانبهتيش عليا بأي حاجة)



- هـزت دوريـس رأسـها وهـي تتنهـد قائلـة : (مفيـش حاجـة يـا كيلـي، إنتـي ماعملتيـش حاجـة غلـط . أنـا لـو مكانـك كنـت هـأعمـل كـده . إتفضلـي أنـتِ علـى شـغلك)

- مـا أن انصرفت كيلـي حتـى نظـرت دوريـس إلـى مـارك في دهشـة وهـي تقـول : (إيـه اللـي عملتـه ده ! أنـا عمـري ماشـوفتك كـده ! أنـا بيتهيـألـي الراجـل ده هايـروح ينتحـر)

- نظـر إليهـا مـارك قائـلاً : (ولا هاينتحـر ولا حاجـة . لو ماعملتش كـده، كان هايقعد يقوللي إنـه عايز جواب رسـمي علشـان يسـيب مهنـد، أو لمـا يسـأل رئيسـه الأول)

أردف ضاحـكًا : (تلاقيـه لسـه مافاقـش مـن القلـم اللـي خـده، هـأخـذ مهنـد بسـرعة علـى البيـت قبـل مـا تحصـل حاجـة والدنيـا تبـوظ) . قالهـا ووضـع القيـد الحديـدي في يـد مهنـد دافعًـا إيـاه علـى الكرسـي المتحـرك .

- وماهـي إلا لحظـات وكان مهنـد يجلـس مـع مـارك في سـيارته، في طريقهمـا إلـى منزلـه . حـرك مهنـد يديـه وهـو يفـرك معصميـه قائـلاً لمـارك : (قفلـت أنـت الكلابشـات جامـد علـى إيـدي يـا مـارك)



- إلتفت مارك إليه قائلاً : (معلهش يا مهند أنا كنت مستعجل جدًا قبل ما تحصل حاجة مالهاش لازمة تبوظلنا الدنيا، على العموم إحنا قربنا نوصل البيت، أول ما نوصل هاحطلك عليها تلج)

- ابتسم مهند قائلاً : (ولا يهمك يامارك، كفاية اللي أنت عملته علشاني)، تذكر شيئًا فقال : (صحيح، مفيش أخبار عن هيثم وكريم ؟)

- ابتسم مارك وغمز له قائلاً : (لأ فيه، أنا كلمت صحابي في إدارة الشرطة، وأكدوا لي إن همَّ الاتنين موجودين عندهم . بعد ما أوصلك البيت، هأروح أخرجهم من هناك وأجيبهم وأجيلك)

- تهللت أسارير مهند فصاح قائلاً : (الحمد لله . أيوه بأه، هي دي الأخبار الحلوة)، تنهد قليلاً ثم سأله : (مارك ممكن أطلب منك حاجة ؟)

- نظر إليه مارك مندهشًا، ثم قال : (آه طبعًا يا مهند، أي حاجة)

- إغرورقت عيناه بالدموع وبصوت يغلب عليه الشجن قال : (عايز أشوف بابا وماما)

●●●



- في طريق عودته إلى الإدارة كان المحقق جوردان يستشيط غضبًا وهو يفكر فيما فعله معه العميل شيبرد. كان يقود على الطريق السريع ويبذل جهدًا غير عادي في السيطرة على كلاً من أعصابه والسيارة . وأخذت الأفكار تدور في رأسه، وهو يسأل نفسه : (ليه الـ إف بي آي مهتمة بالموضوع ده قوي كده ! لازم أعرف إيه الموضوع بالظبط قبل ما يأخذوا الاثنين المساجين، بس أعرف إزاي ! ده حتى الشهود كلامهم غريب ومش ممكن أي قاضي يصدقه . أعرف إزاي ... إزاي ؟ بس لو كان حد صور اللي حصل ...) وردت فكرة على خاطره فجأة وبدون مقدمات ضغط على فرامل السيارة بحدة .

أطلقت الإطارات صريرًا حادًا والسيارة تتوقف . كاد أن يتسبب بكارثة مرورية على الطريق السريع والسيارات تتوقف من خلفه وتطلق إطاراتها صريرًا مزعجًا .

- هتف فرحًا : (أيوه صح، هو كده بالظبط)، لم يلتفت إلى سيل السباب الذي أطلقه السائقون الغاضبون بل قام بتشغيل سرينة الشرطة ثم مالبث أن دار للخلف عابرًا الجزيرة في منتصف الطريق محطمًا جميع قواعد المرور المعروفة، وإنطلق لينفذ ما جال بخاطره .



لـم يمضِ وقت طويل حتـى وصل إلـى مكان الحـادث . تفقد المكان من حولـه حتـى إستقر علـى أحـد المحلات التي تبيع أجهـزة إلكترونيـة. ثـم مالبـث أن دخلـه وتلفـت حولـه يبحـث عـن أيٍ مـن العامـلين بـه . كان محـلاً صغيـرًا نوعًـا مـا، إلا أنـه كان ممتلئًـا بالعديـد مـن الأجهـزة الإلكترونيـة مابين تليفزيونـات وكاميـرات وأجهـزة تسـجيل فيديـو عـلاوة علـى بعـض أجهـزة الكمبيوتـر . توجـه مباشـرة إلـى البائـع الـذي كان جالسًـا خلـف منضـدة واضعًـا قدميـه عليهـا وملقيًـا بظهـره إلـى الخلـف مسـترخيًا إلـى أقصـى درجـة، يتابـع أحـد البرامـج التليفزيونيـة علـى شاشـة أمامـه ولا يكتـرث بمـا يـدور مـن حولـه .

- أظهر لـه شـارته قائلاً : (المحقق جوردان إدارة شـرطة نيويورك)، نظـر إليـه البائـع في لا مبـالاة ثـم عـاد يتابـع التليفزيـون مـرة أخـرى . سـأله جـوردان قائـلاً : (فـين مدير المحـل ؟)

- أجابه البائع دون أن يلتفت إليه : (أنت باصص له أهوه)

- كان أسـلوب البائـع مسـتفزًا، إلا أن جـوردان تمالـك أعصابـه وأشـار إلـى كاميـرات المراقبـة المُثَبَتـة بالسـقف قائـلاً : (أنـا شـايف إنكم مركبين كاميـرات مراقبـة، فيـه حاجـة منهـا جايبـة الشـارع بـرة المحـل ؟)

- هـز رأسـه نفيًا قائلاً في إقتضاب : (لأ مفيش)



- نظر إليه قليلاً في صمت، ثم انتبه إلى شاشة المراقبة إلى يساره ثم مالبث أن قال : (بس أنا شايف إن فيه كاميرا عندك جايبه الشارع)

- نظر البائع إلى شاشة المراقبة ثم قال : (احتمال)

- ضرب جوردان بيده على المنضدة بقوة . انتفض البائع على أثرها فزعًا وحدق في جوردان الذي انفجر فيه صائحًا : (فيه إيه، أنا عمال أكلمك بالذوق من الصبح ومش راضي استخدم معاك أساليب تانية هتخليك تتكلم غصبٍ عنك)

- بدا الإرتباك واضحًا على البائع الذي وقف وهو يقول بصوت مرتعش : (أساليب إيه، أنا مواطن أمريكي وأعرف حقوقي كويس، وبعدين زي ما أنت شايف المحل كله كاميرات ولو مديت إيدك أو عملت أي حاجة هأعرف آخد حقي كويس)

- طقطق جوردان بلسانه ثم قال : (لأ، مين جاب سيرة الضرب! أنا ممكن أوجهلك تهمة عرقلة التحقيق وإخفاء معلومات مهمة في القضية. وممكن كمان أجيب مذكرة من النيابة ونفتش المحل حتة حتة، وأنا واثق إننا هنلاقي الفيديو اللي إحنا عايزينه، زي ما أنا واثق أننا هنلاقي كمان حاجات تانية . مخدرات مثلاً)



- توتر البائع وظهرت عليه علامات الإرتباك وتلفت حوله وهو يقول : (مخدرات ... مخدرات إيه ! أنا ما بَشربش مخدرات)

- رد جوردان في برودة : (احتمال . بس إحنا لما نقول بتشرب، صدقني هاتكون بتشرب) . نظر إلى عيني البائع ثم أخرج محفظته من جيبه وتناول ورقة بمائة دولار ووضعها على الطاولة أمامه، ما أن وقعت عينا البائع عليها حتى لمعت عيناه وجوردان يقول له : (أو ممكن بدل المذكرة والتفتيش وموضوع المخدرات ده، نحل المشكلة بشكل ودي)

- تهللت أساريره وهو يقول : (أنا بأقول الشكل الودي أحسن برضه) . طوى الورقة المالية ووضعها في جيبه قائلاً : (طلباتك؟)

- رفع جوردان حاجبيه قائلاً : (مفيش، حاجة بسيطة . عايز أشوف شرايط الفيديو اللي اتصورت إمبارح بالليل، وبعدين آخد نسخة من اللي هلاقيه مهم للقضية . موضوع بسيط زي ما أنت شايف)

- هز البائع رأسه قائلاً : (ماشي) . سحب كرسي ووضعه أمام شاشة المراقبة قائلاً : (اتفضل أقعد هنا وأنا هأجيبلك الشرايط كلها . اتفرج عليها ولو لقيت اللي أنت عايزه قوللي



وأنا هأعملك نسخة منه . بس طبعًا موضوع النسخة ده ليه تكلفة إضافية . ورقة تاني زي اللي أخدتها)

- زفر جوردان في ضيق قائلاً : (مفيش مشكلة، اللي أنت عايزه هاديهولك . بس ألاقي اللي بأدور عليه)

●●●

- مضت لحظات منذ أن أحضر الحارس صينيتين من الطعام لكلاً من هيثم وكريم . أوشك هيثم على إنهاء صينية طعامه، ونظر إلى كريم مشيرًا إلى صينيته قائلاً : كريمماينفعش كده، لازم تأكل .

- هز كريم رأسه نفيًا وهو يقول : ماليش نفس ياهيثم، مش قادر .

- نظر إليه هيثم مشجعًا وهو يقول : معلهش يا كريم تعالى على نفسك علشان تعرف تفكر كويس ونشوف هانعمل إيه .

- تنهد قائلاً : حاضر يا هيثم . أمسك ملعقته وبدأ في تناول طعامه ببطء، ثم مالبث أن زفر زفرة حارة قائلاً : إحنا بقالنا هنا كتير ومفيش حد عبرنا، ولا محامي جه ولا الهوا .



- فرغ هيثم من تناول الطعام . قام واقفًا ونظر من بين القضبان إلى الساعة المعلقة على الحائط ثم قال : عندك حق ياكريم الساعة دلوقتِ أربعة العصر، والأخ المحقق ده سايبنا كده ومابعتلناش من الصبح . تفتكر بيلعب بأعصابنا ؟

- فرغ كريم من طعامه فقال : الحمد لله . دفع الصينية بعيدًا عنه ثم استطرد قائلاً : والله مش بعيد ياهيثم هو شكله أصلاً مش مريح بالمرة .

- نظر هيثم إليه في دهشة يسأله : لحقت تخلص أكل بسرعة كدة ! ثم نظر إلى صينية الطعام التي لم يأكل منها كريم شيئًا يذكر . فقال له : فيه إيه ياكريم ! أنت ما أكلتش حاجة يابني .

- أجابه كريم : الحمد لله، أنا أكلت بس علشان ماتزعلش . صدرت منه تنهيدة حارة وهو يقول : مش عارف يا هيثم. عمال أسأل نفسي كل شوية، هو إختراعنا للجهاز ده كان غلطة ؟ الجهاز ده ماجاش من وراه غير المشاكل .

- هز هيثم رأسه نفيًا وهو يقول : لأ طبعًا مش غلط . أي إختراع فيه نواحي إيجابية ونواحي سلبية، اللي بيحدد هو إستخدامك ليه . يعني الأنترنت مثلاً فيه فوايد كتيرة، وفي

نفس الوقت فيه حاجات كتيرة سيئة. معنى كده إنه إختراع وِحش أو فاشل ؟ أكيد لأ، أنت اللي بتحدد .

صمت قليلاً مفكرًا ثم أردف قائلاً : أنا ما أنكرش إن حظنا كان وحش شوية من أول ما بدأنا التجربة، لكن فكَّر معايا كده، إحنا أول ما بدأنا كنا ناويين نعمل إيه ؟ كنا ناويين نـ ...

- قطع كلامه صوت الباب وهو يُفتَح ويدخل منه أحد الحراس. أشار إلى هيثم قائلاً : (المحقق جوردان عايزك)، قام بوضع القيد الحديدي في يديه، وغادرا غرفة الحبس تاركين كريم يتسائل مالذي حدث !

- طرق الشرطي باب غرفة التحقيقات ومالبث أن فتحه دافعًا هيثم أمامه . جلس هيثم على الكرسي أمام جوردان الذي ارتسمت على وجهه إبتسامة ساخرة وهو ينظر إلى هيثم قائلاً : (برضه لسه ماغيرتش رأيك ؟)

- رد هيثم بلهجة جافة : (لأ لسه، وقولتلك مش هأتكلم إلا في وجود محامي)

- صدرت من جوردان ضحكة سخرية وهو يقول : (براحتك، بس إيه رأيك في الصور دي ؟ الصور دي التقطت من كاميرات المراقبة بتاعة المحل اللي حصلت قدامه الحادثة)



- نظر هيثم إلى الصور فوجدها تُظهِر بوضوح دائرة الطاقة التي تكونت في وسط الشارع وعبورهم من خلالها وسقوطهم أرضًا ومهند ممكسًا بفخذه . كانت الصور تؤكد ماقاله الشهود . لم تفارق الإبتسامة الساخرة وجه جوردان وهو يقول :(برضه لسه مصمم ؟ طيب فسرلي المنظر الجميل ده)

- صمت هيثم قليلاً ثم قال : (الصور دي متفبركة، معمولة فوتوشوب)

- رفع جوردان حاجبيه قائلاً : (فوتوشوب ! طيب هانشوف القاضي هايقول فوتوشوب ولا لأ . على فكرة لو أنت فاكر إن المحامي هاينفعك، تبقى غلطان . المحامي هايقولك تعمل معانا صفقة، بس أنا بأقولك من دلوقتِ، لو المحامي جه، مفيش صفقات . الأحسن تقول الحقيقة وإحنا نقنع القاضي يخف ...)

- قطع كلامه صوت الباب وهو يُفتح ويدخل منه أحد زملاؤه قائلاً : (جوردان، النقيب عايزك حالاً)

- إلتفت إليه جوردان قائلاً : (النقيب مين ؟ شنايدر ؟)

- نظر إليه متعجبًا : (هو في عندنا نقيب تاني ! أيوه النقيب شنايدر رئيس القسم اللي إحنا شغالين فيه)



- زفر جوردان في ضيق قائلاً : (قوله شوية وهاجي)

- هز رأسه نفيًا وهو يقول : (ماينفعش، هو أكد عليا إنك تسيب أي حاجة في إيدك وتروحله دلوقتِ حالاً)

- زفر في ضيق ثم قام واقفأ ونظر إلى هيثم وهو يقول متهكمًا : (إستناني لما أرجع، إوعى تمشي، لو مشيت هزعل)، ثم تلفت حوله وهو يقول ساخرًا : (صحيح أنا نسيت، أنت لازم تستناني . هتروح فين يعني ! ممكن تستغل الوقت ده في الفرجة على الصور، يمكن تعجبك)، قالها وأغلق الباب من خلفه في عنف .

- في الطريق لمكتب النقيب شنايدر أخذ جوردان يحدث نفسه قائلاً : (ياترى شنايدر عايزني في إيه ومستعجل قوي كده!) . طرق جوردان باب مكتب النقيب لحظات وسمع صوت النقيب يسمح له بالدخول .

- دلف إلى المكتب فوجد النقيب شنايدر جالسًا خلف مكتبه وأمامه يجلس شخصٌ لم يستطع أن يميز ملامحه فقد كان ظهره مواجهًا له . سأله النقيب : (كنت شغال في إيه يا جوردان ؟)

- أجابه جوردان : (كنت بأحقق مع واحد من الاثنين بتوع حادثة إمبارح)



- هـز النقيـب شـنايدر رأسـه وهـو يقـول : (طيـب علـى العمـوم مفيش داعي تكمل التحقيق ده) . نظـر إليـه وهـمَّ بالإعتـراض إلا أن النقيـب أشـار إلـى الشـخص الجالـس أمامـه قائـلاً : (العميل شـيبرد مـن الـ إف بـي آي جـاي يسـتلم الإتنين المسـاجين بتـوع حادثـة إمبـارح)

- إلتفت شـيبرد إلـى جـوردان وعلـت وجهـه إبتسـامة سـاخرة وهـو يقـول : (فرصـة سـعيدة يـا مسـتر جـوردان)

- إحمـر وجـه جـوردان وكاد أن ينفجـر مـن شـدة الغضـب وهـو يجـز علـى أسـنانه قائـلاً : (أنـت تانـي ! هـو مفيـش ورايـا غيـرك !)

- نهـره النقيـب شـنايدر صائحًـا : (فيـه إيـه يـا جـوردان، أنـت إتجننـت !)

- أطلق زفـرة حـارة وهـو يقـول : (أنـت ماتعرفـش اللـي عملـه معايـا في المستشـفى لمـا كنـ ...)

- قاطعـه شـنايدر قائـلاً : (أيًـا كان اللـي بينـك وبين العميل شـيبرد، مـش عايـز أعرفـه . أنـا ماعرفـش غيـر حاجـة واحـدة) . أمسـك في يده ورقـة ورفعهـا في وجـه جـوردان قائـلاً : (ده جـواب رسـمي مـن الـ إف بـي آي باسـتلام الاثنـين اللـي عندنـا وإغـلاق القضيـة لأنهـا دلوقتِ بقت معاهـم)



- هـز جـوردان رأسـه نفيًـا وهـو يقـول : (لأ، الـكلام ده مـش هايحصل . دي قضيتي أنـا، ومش هاسيبها لأي حد . الجواب ده مـزور)

- هـب شيبرد واقفًا ونظـر لشـنايدر قائـلاً : (إيـه اللـي بيحصل ده يـا سيادة النقيب ! دي مش إهانـة ليـا أنـا بس، دي إهانـة كمان للـ إف بـي آي . أنـا مضطـر أبلغ المكتـب عـن كل اللـي حصـل معايـا هنـا . والمديـر ياخـد إجراءاتـه)

بـدا التوتر واضحًا على وجـه شـنايدر، فهـو يعرف جيـدًا مايعنيه إذا مـا قدم شـيبرد تقريـرًا عمـا حـدث . فمـن السـهل أن يتـم إتهامـه بعـدم السـيطرة علـى القسـم تحـت قيادتـه . ومـن الجائـز ألا يكتفـي مديـر إدارة الشـرطة بتوبيخـه فحسـب، بـل مـن الممكـن أن تتطـور الأمـور ويتـم نقلـه مـن القسـم إلـى وظيفـة إداريـة في مـكان آخـر .

- نظـر النقيـب شـنايدر إلـى جـوردان في غضـب قائـلاً : (هـات شـارتك ومسدسـك . أنـا إديتـك بـدل الفرصـة اثـنين وتلاتـة، بـس الظاهـر مفيـش فايـدة . لازم تشـوف طبيـب نفسـي علشـان تعـرف تتحكـم في أعصابـك . لحـد ده مـا يحصـل، أنـت موقـوف عـن العمـل)

- قطَّب جـوردان حاجبيـه في غضـب وتقلصـت قسـمات وجهـه وهـو ينـزع مسدسـه مـن حزامـه ويخـرج شـارته مـن جيبـه ويلقـي بهمـا



على مكتب النقيب شنايدر قائلاً : (أنت غلطان وبكره الأيام تثبتلك إن أنا صح) . قالها وغادر المكتب مغلقًا الباب من خلفه في عنف .

- تنهد النقيب شنايدر وهز رأسه في آسى وهو يقول لشيبرد : (أنا آسف جدًا على اللي حصل، ماعرفش إيه اللي حصل لجوردان !) . صمت قليلاً قبل أن يقول في لهجة مستعطفة: (أنا بقول مفيش داعي للتقرير والحاجات الرسمية دي . أنا حليت الموضوع زي ماحضرتك شفت، وهو خلاص أخد جزاؤه)

- أومأ شيبرد برأسه قائلاً : (أنا بقول كده برضه . كفاية اللي أنت عملته)

- تنهد شنايدر وظهرت علامات الراحة على قسمات وجهه وهو يقول: (أنا هابعت حالاً أجيب الاثنين مساجين علشان ما نعطلكش أكتر من كده)، إلتقط سماعة الهاتف وأجرى إتصالاً هاتفيًا بأحد معاونيه ثم وضع السماعة قائلاً : (دقيقتين ويكونوا هنا، تحب تشرب حاجة ؟)

- هز شيبرد رأسه نفيًا وهو يقول : (لأ شكرًا، كل اللي أنا عايزه أوضة فاضية ٥ دقايق مش أكتر، علشان أستجوبهم فيها . وياريت تدي أوامرك إن حد يجيبلي كل متعلقاتهم الشخصية علشان آخدها معايا بالمرة)



- ارتسمت إبتسامة عريضة على وجه شنايدر وهو يقول : (ده حصل فعلاً، أنا إديت أوامر بكده) . استطرد قائلاً : (أما بالنسبة للمكان فالمكتب هنا تحت أمرك . أنا هَأمُر على القسم لغاية ما تخلص) . ثم مالبث أن انصرف تاركًا مكتبه لشيبرد ليستجوب السجينين .

طرق الباب أحد أفراد الشرطة الذي دلف إلى الغرفة ومعه حقيبة سوداء صغيرة ناولها لمارك ثم انصرف، وما هي إلا لحظات حتى دخل فرد آخر إلى المكتب وبصحبته هيثم وكريم وفي أيديهما القيود الحديدية . أشار إليه شيبرد بأن يترك السجينين وينصرف. كان شيبرد يجلس في أحد أركان الغرفة ذو الإضاءة الخافتة، حيث غطت الظلال وجهه .

وقف هيثم وكريم يدققان النظر إليه ويحاولان تبين ملامحه. ابتسم شيبرد ومال إلى الأمام فسقط الضوء على وجهه . ما أن وقعت عينا هيثم وكريم عليه حتى تسمرا في مكانيهما واتسعت عيناهما من فرط الدهشة .

- هتف هيثم في ذهول : (الرائد شيبرد !!)

- اتسعت إبتسامة مارك وهو يقول : (أيوه يا هيثم أنا شيبرد. إزيك عامل إيه ؟ إزيك يا كريم ؟ حمد الله على السلامة نورتوا نيويورك)



- ترجم هيثم الحوار لكريم وظهر التوتر واضحًا على وجهيهما فلم ينبسا ببنت شفة . قبل أن يتمتم كريم في توتر : الموضوع كل شوية بيتعقد .

- نظر هيثم إلي مارك مطولاً قبل أن يقول في اقتضاب : (الله يسلمك)

- نظر إليهم مارك قائلاً : (أنا عارف أنكم قلقانين، بس أنا بقولكم مفيش داعي للقلق، فيه حاجات كتير اتغيرت الفترة اللي فاتت، على الأقل عرفت إنكم مش جواسيس وإنكم كنتوا بتقولوا الحقيقة. أنا هأقولكم على كل حاجة بس مش هنا طبعًا)

- نظر إليه هيثم ثم قال متهكمًا : (أمال فين ؟ في المعتقل !)

- تنهد مارك قائلاً : (لأ عندي في البيت . أنا مجهز كل حاجة هناك، وعلى فكرة مهند سبقكم على هناك)

- ما أن سمع كريم اسم مهند حتى أمسك بيد هيثم قائلاً في لهفة : أنا سمعت اسم مهند، مهند حصل له إيه ؟ إسأله يا هيثم، هو كويس ؟

- نظر هيثم إلى كريم قائلاً : إهدأ يا كريم، إستنى بس لما نشوف . إلتفت إلى مارك يسأله : (مهند عندك في البيت ! من إمتى ؟ قابلته فين وإزاي ؟ طيب هو كويس ؟)



- أومأ برأسه إيجابًا قائلاً : (أيوه هو كويس ومستنيكم هناك. هأحكيلكم على كل حاجة في الطريق، يالـلا بينا)

- ترجم هيثم لكريم ما قاله مارك . تبادلا نظرات قلقة ثم أردف هيثم قائلاً : مفيش قدامنا غير إننا نروح معاه، على الأقل نخرج منه هنا .

- تنهد كريم ومط شفتيه قائلاً : عندك حق، الظاهر مفيش قدامنا غير كده . تذكر شيئًا فنظر إلى هيثم قائلاً : طيب وحاجتنا اللي هنا ! الساعات والجهاز، إيه هانسيبهم !

- إلتفت هيثم لمارك قائلاً : (طيب حاجتنا اللي أخدوها مننا هنا، فين ؟)

- ابتسم مارك وأمسك الحقيبة السوداء وفتحها أمامهما ليريهما ما بداخلها قائلاً : (معلهش مش هاينفع أفك الكلبشات علشان محدش يشك في حاجة)، أفرغ ما في الحقيبة أمامهما وسألهما : (هي دي حاجتكم ؟ فيه حاجة ناقصة ؟)

- نظرا إلى الأشياء التي أمامهما في لهفة ثم ما لبثا أن أطلقا تنهيدة وكأن هناك عبئًا ثقيلاً قد انزاح عن كاهلهما، ارتسمت إبتسامة خفيفة على وجه هيثم وهو يقول مخاطبًا مارك : (أيوه مظبوط، هي دي كل حاجتنا)



- هز مارك رأسه قائلاً : (عظيم، ياللا بينا بسرعة من هنا).
غادروا قسم الشرطة وما أن وصلوا إلى سيارة مارك حتى أجلسهما في المقعد الخلفي ثم انطلق قائلاً : (البيت مش بعيد عن هنا)

وما أن ابتعدا عن قسم الشرطة بمسافة كافية حتى ناولهما مفتاح القيد الحديدي قائلاً : (تقدروا دلوقتِ تفكوا الكلبشات)

- قام هيثم بفك قيوده ثم فك قيود كريم . نظر إلى عيني مارك في مرآة السيارة قائلاً : (بس عرفت منين مكاننا يا سيادة الرائد شيبرد)

- نظر إليه مارك عبر المرآة وبدا مبتسمًا وهو يقول : (اسمي مارك، زي ما كل أصحابي بيقولولي)

- بدا هيثم مندهشًا وهو يقول : (أصحابك مرة واحدة !)

- قال مارك : (ليك حق تندهش، أنا هأحكيلك على كل حاجة. أنتم الأول عارفين إحنا في سنة كام ؟)، هز هيثم رأسه نفيًا، فاستطرد قائلاً : (إحنا في سنة ١٩٩٩)

- فغر هيثم فاه وعلت الدهشة ملامحه وهو يقول : (سنة ١٩٩٩ ! يااه، كل الوقت ده عدى !)



- لاحظ كريم تغير ملامحه، فصاح قائلاً في عصبية : فيه إيه يا هيثم ما تترجم يا عم الي بيقوله .

- ترجم له هيثم كل مادار بينهما، انفرجت أسارير كريم وهو يقول : إحنا في سنة ١٩٩٩ ! الحمد لله، يا ما أنت كريم يارب.

- نظر إليه هيثم مندهشًا وسأله : فيه إيه يا كريم ؟ مالك فرحان كده ليه! هو إحنا رجعنا بيوتنا!

- بدت السعادة على ملامح كريم وهو يقول : أيوه يا هيثم رجعنا بيوتنا، أو خلاص قربنا .

- سأله هيثم : قصدك إيه ؟

- ابتسم كريم قائلاً : قصدي إننا في سنة ٩٩، يعني تكنولوجيا الموبايلات موجودة . يبقى فيه امل نعرف نصلح الجهاز ونرجع بيوتنا تاني .

- تهللت أسارير هيثم وهو يقول : عندك حق يا كريم، برافو عليك . نظر لمارك قائلاً : (معلهش كنا بنتكلم بالعربي، أنت عارف إن كريم مايعرفش إنجليزي)

- نظر إليه مارك قائلاً : (مفيش مشكلة، براحتكم خالص)

- سأله هيثم : (صحيح، إزاي عرفت تخرجنا من القسم ؟)



- ضحك شيبرد وهو يقول : (بسيطة، جبت جواب مختوم من الـ إف بي آي أن قضيتكم معاهم دلوقتِ وإستلمتكم من القسم، هو صحيح مضروب، بس مش ممكن الشرطة تراجع ورا جواب جاي من الـ إف بي آي . وده اللي أنا معتمد عليه)

- قال هيثم في توتر : (ربنا يستر)، صمت قليلاً ثم سأله : (هو أنت بتساعدنا ليه يا مارك ؟)

- ابتسم مارك قائلاً : (ما تستعجلش، هاتعرف كل حاجة لما نوصل . خلاص البيت قرَّب)

●●●

- جلس المحقق جوردان على كرسيه المفضل أمام التليفزيون بغرفة المعيشة في منزله بأحد ضواحي مدينة نيويورك، ومن حوله تناثرت العديد من زجاجات البيرة الفارغة . ارتشف رشفة من زجاجة في يده ثم قال بصوت عالٍ : (أنا توقفني عن العمل يا شنايدر ! بعد ما ضيعت عمري في الشغل . أنا تقولي أروح لدكتور نفساني !)

ارتشف رشفة من زجاجته ثم وضعها جانبًا، وقام واقفًا يترنح، يريد الذهاب إلى الحمام . فتح باب الحمام ودلف إلى الداخل ولم يغلق الباب من خلفه . قضى حاجته ثم وقف يغسل يديه وهو



ينظر إلى صورته في المرآة المثبتة أعلى الحوض . خيل إليه أنه لا ينظر إلى إنعكاس صورته هو، بل ينظر إلى الرائد شيبرد الذي أخذ ينظر إليه وعلى وجهه إبتسامة ساخرة .

- صرخ بعلو صوته : (لاااااااا)، وبقبضة أودعها كل غضبه، وبكل ما آوتي من قوة ضرب المرآة وهو يصرخ : (هو أنت إيه! مفيش وراك غيري !)، تحطمت المرآة على الفور وتطايرت أجزاؤها في كل مكان، فسقط بعضًا منها في الحوض، بينما غطت باقي شظاياها أرضية الحمام .

- لم ينتبه إلى دخول زوجته إيمي مسرعة إلى الحمام بعدما هبت من نومها مذعورة على صوت صرخته وهو يحطم المرآة. تسمرت في مكانها تنظر إليه وهو مستندًا إلى الحوض بكلتا يديه ودموعه تنساب على خديه . هالها أن يده اليمنى تنزف بغزارة فصرخت باسمه في لوعة، وهرعت إليه ملتقطة أقرب منشفة إليها وهي تهز رأسها في آسى ودموعها تنساب على خديها . أمسكت بيده تلفها في منشفة كمحاولة منها لإيقاف النزيف وهي تقول بصوت مرتعش : (ليه كده يا تيم !)

- وبعينين مغرورقتين بالدموع ويد مرتعشة أمسكت بسماعة التليفون وإتصلت برقم الطوارئ . لم تمضِ إلا دقائق قليلة وسمعت صوت السرينة المميزة لعربات الإسعاف، وماهي إلا



لحظات وكان المحقق جوردان ممددًا على إحدى النقالات في طريقه إلى المستشفى تتبعه زوجته .

●●●

- ما أن فتح مارك باب بيته حتى نادي قائلاً : (دوريس ... كيفين ... بيبي . أنا جيت)

- أسرعت دوريس إليه تحتضنه ثم طبعت قبلة حانية على خده قائلة : (إزيك يا حبيبي) . نظرت إلى كريم ومدت يدها تصافحه وهي تقول : (إزيك يا كريم ؟)

- فغر كريم فاه مذهولاً ولم يحرك ساكنًا وهو ينظر إلى دوريس في بلاهة . وَكَزَهُ هيثم بكوعه قائلاً : في إيه يا كريم ! مد إيدك عيب كده .

- أفاق كريم من ذهوله، فمد يده مصافحًا دوريس وهو يقول: (دوريس ... إزيك ؟) . نظر إلى مارك قائلاً : (أنت ... دوريس)، ثم ابتسم إبتسامة بلهاء .

- ضحكت دوريس ثم إلتفتت إلى هيثم تصافحه قائلة : (أنت أكيد هيثم . فرصة سعيدة يا هيثم)

- ابتسم هيثم بدوره وصافحها قائلاً : (أنا أسعد يا دوريس)، تلفت حوله ثم سألها : (أُمال فين مهند ؟)



- لـم تفـارق الإبتسـامة شـفتيها وهـي تقـول : (مهنـد بيلعـب ـﰲ الجنينـة مـع كيفـين وبيبـي، أنـا هـأندهلهـم)

وماهـي إلا لحظـات ودخل مهنـد يجري ـﰲ إتجـاه صديقـاه يتبعه كلاً مـن كيفـين وبيبـي، كان لقـاءً حـارًا ومؤثـرًا اختلطـت فيـه الدمـوع بالمشـاعر . تعانقـوا جميعهـم غيـر مصدقـين بأنهـم قـد اجتمعـوا مـرة أخـرى . وقـف كلاً مـن مـارك ودوريـس محتضنـين كيفـين يتابعـون جميعًـا مايحـدث، وسـالت دمـوع دوريـس علـى خديهـا تأثـرًا بمـا يحـدث أمامهـا . أمسـك مـارك بيدهـا ونظـر ـﰲ عينيهـا ثـم مالبـثـت أن أراحـت رأسـهـا علـى كتفـه . فرحـة بمـا قـد فعلـه مـن أجلهـم .

- تـرك كـريم صديقـاه وعـاد بضـع خطـوات للخلـف وارتسـمت علـى وجهـه إمـارات الرعـب وهـو يقـول بصـوت مرتعـش : أعـوذ بـالله، إيـه الوحـش ده !

- نظـر مهنـد إليـه وهـو يضحـك قائـلاً : وحـش إيـه يـا كيمـو ! ده بيبـي الكلـب بتاعهـم .

كان اسـم بيبـي الـذي أطلقـه مـارك علـى الكلـب خاصتـه لا يتناسـب مطلقًـا مـع حجـم هـذا الكلـب مـن فصيلـة الدوبرمـان . عندمـا اقتنـاه مـارك كان عمـره لا يتجـاوز الشـهرين فأطلـق عليـه اسـم بيبـي لصغـر حجمـه آنـذاك.



- ابتلع كريم ريقه وهو يقول : بيبي ! بأه البغل ده بيبي ! أُمال لو كان اسمه جودزيلا كان عمل فينا إيه !

- أدرك مارك أن كريم خائف من بيبي فاقترب من بيبي ووضع يده على رأسه يداعبه محاولاً طمئنة كريم وهو يقول : (ماتخافش يا كريم ده وديع جدًا)

- ترجم له مهند ماقاله مارك، إلا أن كريم عدل وضع نظارته علي عينيه اللتان لم تفارقا بيبي وهو يقول متوترًا : كل ده وديع ! ده وحش كاسر . تلاقت نظرات كريم و بيبي فأطلق الأخير زمجرة بسيطة . اختنق صوته وهو يقول : هو فيه إيه يا جماعة ! هو بيبصلي كده ليه !

- نظر إليه مهند قائلاً وهو يضحك : لأ إمسك نفسك يا كيمو مفيش معانا هنا غيارات ليك .

- إلتفت إليه كريم قائلاً في حنق : مش ناقصة هزارك دلوقتَ يا سي مهند .

- انفجر كلاً من هيثم ومهند ضاحكين . ثم إلتفت هيثم إلى كيفين ومد يده مصافحًا وهو يقول : (كيفين، مش كده؟)، أومأ كيفين برأسه إيجابًا ومد يده مصافحًا هيثم ومن بعده كريم .



كان كيفين طفلاً في العاشرة من عمره، يشبه دوريس إلى حد كبير . له عينان زرقاوتان تشعان ذكاءً . كان من الطلاب المتفوقين في مدرسته الإبتدائية . كما أنه عاشق للتكنولوجيا الحديثة وألعاب الفيديو جيم كغالبية أصدقائه . كما أنه قد نشأ على حب رياضة البيسبول كوالده .

- قالت دوريس : (يالـلا يا جماعة، عقبال ما تأخدوا شاور يكون العشاء جهز)

- ابتسم مارك وهو يقول : (إستنوا، ثواني وجاي) . هبط إلى البدروم وما هي إلا لحظات وعاد ومعه حقيبتا ظهر . نظر إلى هيثم وكريم قائلاً : (فاكرين دول ؟)

- تهللت أساريرهما وصاحا في صوت واحد : دي شنطنا . أمسك كلاهما بحقيبته يتفقدها ثم مالبث هيثم ان رفع بصره إلى مارك قائلاً : (طيب إزاي !)

- ابتسم مارك قائلاً : (كله بعد العشاء، هأحكيلكم كل حاجة. على فكرة الهدوم كلها مغسولة ونظيفة يعني لو عايزين تأخدوا شاور وتلبسوها أوكيه، مش عايزين تلبسوها، أنا عندي هدوم أعتقد إنها هاتيجي مقاسكم)



- أجابه هيثم في سرعة : (لأ إحنا تمام، هنلبس الهدوم بتاعتنا، بصراحة مش عارفين نشكرك إزاي يا مارك ! إحنا مهما عملنا مش هانعرف نردلك جمايلك علينا)

- هز مارك رأسه قائلاً : (جمايل إيه ! مفيش جمايل ولا حاجة. على فكرة ياهيثم هتلاقي محفظتك زي ماهي موجودة في الشنطة)، نظر إلى هيثم وكريم قائلاً : (ياللا يا جماعة علشان أوريكم أوضتكم علشان تحطوا حاجتكم، وبعدين كل واحد فيكم يدخل حمام، خلصوا بسرعة، أنا هاموت من الجوع)

- إلتقط كلاً منهما حقيبته وذهبا برفقة مارك . بينما بقي مهند وكيفين ليساعدا دوريس في تجهيز العشاء والمائدة ومعهم جلس بيبي .

انتهى هيثم وكريم من الإستحمام وتغيير ملابسهما وسرعان ما انضموا إلى الجميع في غرفة الطعام . كادت دوريس أن تنتهي من إعداد الطعام، ومارك يساعدها ويقوم بإعداد السلاطة، بينما لم يتوقف كريم عن النظر إلى بيبي في ريبة . كان بيبي جالسًا أرضًا، وأمامه طبق الطعام الخاص به .

- كان مهند يقوم بتجهيز المائدة واضعًا أدوات تناول الطعام أمام جميع المقاعد الموجودة . نظر إلى المقعد الزائد عن عددهم وسأل هيثم : هم مستنيين حد تاني . أنا هأموت من الجوع.

- نظر هيثم إلى مارك يسأله : (فيه حد تاني جاي يا مارك؟)

- دق جرس الباب قبل أن يجيب مارك . فنظر مارك إلى كريم وأشار إلى الباب قائلاً : (كريم ... الباب، لو سمحت)

- فهم كريم مايريده مارك فتوجه للباب وهو يتمتم : هو مفيش غيري في البيت ده ! فتح الباب ونظر إلي وجه القادم. تسمر كريم في مكانه وتدلى فكه السفلي في بلاهة، وعقدت المفاجأة لسانه . فقد كان القادم آخر من توقع رؤيته .

●●●

- في مستشفى نيويورك بريسبيتيريان، أنهت الممرضة كيلي تطهير وخياطة الجرح في يد جوردان الذي بدأ يتعافي من آثار ما شربه . نظرت إليه قائلة : (حظك كويس إن الجرح ده ما قطعش وتر ولا وريد كانت هتبقي مشكلة)

- أطرق بنظره إلى الأرض وهز رأسه وهو يقول متهكمًا : (حظي كويس ! غريبة، أول مرة حظي يبقى كويس) . رفع نظره إليها قائلاً : (الدنيا ملخبطة معايا اليومين دو ...)

- قطع كلامه ودقق النظر إليها مطولاً محاولاً أن يتذكر أين رآها من قبل . لم يلبث أن تذكرها فهز رأسه ثم سألها : (إنتي مش فاكراني ؟ أنا المحقق جوردان اللي سألتك إمبارح



عن المريض اللي مضروب طلقة في رجله . إنتي إسمك ....).
حاول أن يتذكر فلم يستطع فقرأ بطاقة الاسم المثبتة على صدرها قائلاً : (كيلي، صح . معلهش أنا كنت ناسي)

- نظرت إليه قليلاً، تذكرته وكيف كادت العلاقة بينها وبين رئيستها أن تفسد بسببه، فاتسعت عيناها في دهشة وهي تنعي حظها العاثر الذي أوقعها معه مرة أخرى، تحاشت النظر إليه وهي تقول : (أنا مش فاكره حاجة من الكلام ده، إحنا بيعدي علينا في المستشفى حالات كتيرة زي كده ، معلهش مش فاكره)

- دقق النظر إليها، وبخبرته كمحقق أدرك أنها تكذب، ولكن السؤال هو : لماذا تكذب ؟ رسم على وجهه إبتسامة زائفة وهو يقول : (أنا عارف إنه بيعدي عليكي في المستشفى حالات كتير كل يوم، وأكيد صعب إنك تفتكريني)

- صمت قليلاً قبل أن يقول : (لأ وواضح كمان إنك بتتعبي في الشغل جداً، يعني بالليل موجودة والصبح برضه موجودة، أُمَّال بتريحي إمتى؟ إنتي رئيسة المرضات هنا ؟)

- تنهدت كيلي وهي تنظر إليه قائلة : (وماحدش مقدر التعب ده يا سيادة المحقق، والمفروض إني أستحق أبقى رئيسة ممرضات بس تقول إيه بقى في الكوسة)



- رسم على وجهه دهشة مصطنعة وهو يسألها : (إيه ده، مش إنتي رئيسة الممرضات ! إزاي ده ! هم هيلاقوا أكفأ منك !)

- حركت يديها في إستياء وهي تقول : (طبعًا لأ . إوعي تفتكر إن علشان مسز شيبرد جت قبلي المستشفى بكام سنة أو علشان معاها بكالوريوس تمريض بقت هي الريسة، طبعًا لأ). اقتربت بوجهها منه وهي تهمس قائلة : (كل ده علشان جوزها في الـ إف بي آي)

- علت على وجهه علامات الدهشة هذه المرة وهو يسألها : (جوزها في الـ إف بي آي !)

- هزت رأسها إيجابًا وهي تقول : (آه، أنت قابلته إمبارح ، جوزها يبقى العميل مارك شيبرد)

- بذل جهدًا كبيرًا للسيطرة على أعصابه وهو يحدث نفسه قائلاً : (يبقى أنا كان عندي حق، الموضوع فيه حاجة مش مظبوطة، هاوريك يا شيبرد أناهاعمل إيه)

●●●

- لم يستطع كريم أن يسيطر على أعصابه، إغرورقت عيناه بالدموع وهو يسمع : دخيل الله، شو بيك يا كريم، بتتركني هيك ع الباب !



- لم يشعر بنفسه إلا وهو يحتضنها ولا يصدق ما تراه عيناه، إحتضنها بكل قوته خوفًا من أن تضيع منه مرة اخرى . مضت فترة ثم قال مغالبًا دموعه وبصوت مختنق : دوللي ! بجد أنتِ عايشـ ... . لم يستطع أن يكمل جملته، كما لم يستطع أن يكبح جماح دموعه أو مشاعره، فأطلق لهما العنان، وكذلك فعلت دوللي .

- كان المشهد مؤثرًا بحق . وقف الجميع يراقبونهما في صمت، الجميع بما فيهم بيبي . لم تستطع دوريس أن تحبس دموعها فأنسابت على خديها. أما مارك فأخذ يجفف دموعه في منديله .

- وقف هيثم وعلى وجهه ارتسمت إبتسامة فرح بصديقه . سمع صوت أحدهم ينتحب إلى جواره، إلتفت فوجد مهند في غاية التأثر، كان غارقًا في البكاء تسيل دموعه تارة وينتحب تارة أخرى، فقال له بصوت منخفض : في إيه يا مهند ! إمسك نفسك شوية يا أخي، مش كده .

- وبعينين ملأهما الدموع نظر إليه مهند قائلاً : مش قادر يا هيثم، المغص هايموتني .

- تنهد هيثم وهو ينظر إليه وهز رأسه قائلاً : مفيش فايدة، لازم تبوظ اللحظة .



- انتبه كريم إلى أن الجميع وقفوا يراقبونهما، فإحمر وجهه وهو يقول : إحم، سوري يا جماعة . أنا ماحسيتش بنفسي .

- نظر إليه مهند مندهشًا وهو يقول : وأنت من إمتى بتحس ! وكزه هيثم فنظر إليه قائلاً : مش قصدي يا كريم، قصدي إنك مش حساس يعني . وكزه هيثم مرة أخرى، فتنهد قائلاً : خلاص ياعم مش هفتح بوقي تاني . أنت كويس يا كيمو وابن حلال .

- نظر كريم إلى هيثم وعلت وجهه إبتسامة وهو يقول : هيثم، دي دوللي اللي كلمتك عنها .

- مد هيثم يده مصافحًا وهو يقول : فرصة سعيدة يا دوللي، كريم مابطلش كلام عنك .

- ابتسمت دوللي قائلة : أنا أسعد يا هيثم . كنت حابه كتير أني أتعرف عليكُ أنت ومهند .

- نظر إليها مهند مبتسمًا وصافحها قائلاً : مهند، صاحب كريم .

- ضحكت قائلة : بعرفك منيح يا مهند، مارك حكى كتير عنك.

- حيت الجميع واحتضنت كيفين قائلة : (كبرت يا كيفين) . تحسست ذراعه وهي تقول مداعبة : (أوه، إيه العضلات دي كلها !)



- ابتسم كيفين وهو يقول في براءة : (علشان أنا بآكل خضار زي ما ماما بتقولي)

- ضحك الجميع . ثم قال مارك يالـلا يا جماعة كفاية كده، الأكل هايبرد . نتكلم وإحنا بناكل.

جلس الجميع على المائدة بينما جلس بيبي على الأرض بجوار كيفين وبدأو في تناول الطعام . جلست دوللي بين كريم وهيثم بينما جلس مهند أمامها .

- نظر كريم إلى دوللي في حنان وسألها : طيب إزاي ! أنا شوفت هنتر وهو بيضربك بالنار، وإنتي وقعتي على الأرض سايحة في دمك .

- أنتظرت حتى مضغت طعامها وبلعته ثم قالت بإبتسامة رقيقة: هنتر قوص في صدري، بس الله سترها. وضعت يدها على صدرها أعلى قلبها، وهي تقول : الطلقة مرقت فوق القلب بسنتيمترات . يعني لو تحت شوي كان الله بيرحمني . ضحكت وهي تقول : المرحوم ماكان بيعرف يقوص منيح .

- نظر إليها مهند وهو يقول مستنكرًا : المرحوم !! ربنا ينتقم منه . كفاية اللي عمله فيـ ... .



- قاطعه هيثم قائلاً : إيه ده ! هو هنتر مات !! أومأ مهند براسه إيجابًا فاستطرد هيثم قائلاً : خلاص يا مهند الراجل مات وشبع موت، مفيش داعي نجيب سيرته . ثم نظر إلى مارك قائلاً : (ها يا مارك، أنت قولت إنك هاتحكي لنا على كل حاجة)

- نظر له مارك قائلاً : (حصل يا هيثم وأنا عند وعدي، أنت عايز تعرف أنا ساعدتكم ليه، صح ؟) . أومأ هيثم برأسه إيجابًا، فقال مارك : (السبب الأول، إن أنا كنت غلطان لما ماصدقتكوش من الأول، مين عارف مش يمكن كانت الأمور بقت أحسن)

صمت قليلاً يلتقط أنفاسه ثم قال في حماس : (وبعدين دي فرصة مستحيل تتكرر إنك تعرف إيه بالظبط اللي هيحصل في المستقبل، مش شغل منجمين وتخاريف . لأ، ده واقع ناس عاشت فيه بجد . أنت عارف ده معناه إيه ؟ معناه إني ممكن أعرف شكل العالم هيبقى عامل إزاي كمان ٢٠ سنة تقريبًا . ولو فيه حاجة ممكن أعملها علشان آمن أسرتي)

- ترجمت دوللي لكريم ما قاله مارك . الذي نظر إليه يسأله : طيب والسبب التاني ؟



- ابتسم مارك بعد أن ترجم له مهند ماقاله كريم، نظر إلى كريم مبتسمًا ثم قال : (السبب الثاني، وده الأهم، قاعد جنبك أهوه)، قالها وأشار إلى دوللي مبتسمًا .

- نظر إليه كريم مندهشًا وهو يقول : مالها دوللي !! مش فاهم.

- ترجم له مهند ماقاله كريم، فابتسم مارك وهو يقول موجهًا حديثه لكريم : (أنت ماتعرفش قد إيه دوللي ودوريس قريبين من بعض، و دوللي طول المدة دي مابطلتش كلام عنكم أو بالأصح عن كريم، وكان عندها أمل تشوفه تاني)، صمت قليلاً ثم إستطرد قائلاً : (ويمكن ده من ضمن الأسباب اللي خلت عندي أمل إني أشوفكم تاني)

- ابتسم هيثم قائلاً : (الحمد لله إن إحنا إتقابلنا تاني، جميلك ده عمرنا ما هننساه)، صمت قليلاً ثم سأله: (طيب إيه اللي حصل بعد ما مشينا من القاعدة ؟ وليه سبت الجيش ودخلت الـ إف بي آي ؟)

- تنهد مارك قائلاً : (هأحكيلكم على كل حاجة، مهند سمع الكلام ده قبل كده بس يسمعه تاني لو عايز)

- ابتسم مهند قائلاً : (مفيش مشكلة، إحكي أنت وأنا هترجم لكريم)



- تنهد مارك وارتسمت على وجهه إبتسامة رضا وهو يقول : (بعد ما هنتر ضرب مهند بالنار ......)، وبدأ يحكي ....

●●●

- في مكتب النقيب شنايدر كان جوردان يحاول إقناعه بمخاطبة الـ إف بي آي لمعرفة أية معلومات تخص القضية، إلا أن النقيب صاح فيه قائلاً : (قولتلك يا جوردان الموضوع خلاص إتقفل. إنسى الموضوع ده خالص . القضية كلها بقت مع الـ إف بي آي)

- بدا وكأنه يتوسل إلى النقيب قائلاً : (غلط، القضية مش مع الـ إف بي آي ولا حاجة. الموضوع كله لعبة من اللي إسمه شيبرد ده)

- سأله النقيب في نفاذ صبر : (والكلام ده عرفته منين ؟)

- أجابه في سرعة : (الكلام ده إحساس داخلي، من واقع عملي كمحقق)

- قطب النقيب حاجبيه قائلاً : (عملك كمحقق إزاي يعني ! يعني أنت مفيش معاك دليل على الكلام ده ؟)

- نظر إليه وصمت مفكرًا، ثم مالبث أن حزم أمره وأخرج مجموعة الصور من سترته وعرضها عليه قائلاً : (لأ معايا دليل . إيه رأيك في الصور دي ؟ بُصلها كويس وقوللي رأيك)



- تفحص النقيب الصور ومط شفتيه ثم نظر إليه قائلاً : (مالها الصور ! أنا مش شايف حاجة غريبة)

- نظر إليه جوردان لا يصدق مايسمعه . أمسك بالصور وأخذ يقلبها أمام النقيب وهويقول : (كل ده ومفيش حاجة غلط !) توقف عند إحدى الصور التي يظهر فيها دائرة الضوء خلف هيثم ومهند وكريم، رفعها بعصبية أمام وجه النقيب صائحًا : (أنت مش شايف الثلاثة دول وهم بيعبروا من جوه الضوء للشارع ؟)، تغيرت نبرة صوته وقال في صوت منخفض : (الثلاثة دول وراهم سر مش عادي)

- أطال النقيب النظر في عينيه ليتأكد من أنه ليس تحت تأثير المخدرات، تنهد قائلاً : (جوردان، الصور دي مابتوضحش غير شباب واقعين على الأرض وفيه نور جاي من وراهم، ممكن يكون نورعربية أو موتوسيكل، عادي يعني)

- أضاف ساخرًا : (عايزني أروح أقول للقاضي إني حاسس إن الـ إف بي آي بيتستروا على شباب شكلهم كده غزاة من كوكب تاني، علشان المحقق جوردان عنده إحساس بكده !) . صاح فيه : (أنت عايزه يحطني أنا وأنت في مستشفى المجانين ؟)

- هز جوردان رأسه نفيًا وهو يقول : (لأ طبعًا) .علا صوته فجأة وهو يقول : (طول السنين اللي فاتت عمرك ما شككت لحظة في حكمي على الأمور . جاي دلوقتِ تشكك فيا !)



- نهره شنايدر قائلاً : (وطي صوتك، أنت نسيت نفسك ولا إيه!)، ثم هب واقفًا وأشار ناحية الباب قائلاً : (اطلع بره، أنت أصلاً موقوف عن العمل . علاقتنا طول السنين اللي فاتت، هي اللي خلتني أدخلك المكتب وأسمعك . لكن الظاهر إني كنت غلطان، ما تدخلش القسم ده خالص طول ما أنا موجود فيه، لغاية ما تروح تتعالج وتتعلم تتحكم في نفسك . اتفضل بره)

خرج جوردان غاضبًا من مكتب شنايدر وأغلق الباب من خلفه في عنف . توقف قليلاً ليفكر ماذا يفعل بعد أن أغلقت كل السبل في وجهه . سيطرت عليه فكرة الإنتقام من الشخص الذي كان سببًا في ضياع مستقبله . يجب أن ينتقم منه، يجب أن يدفع شيبرد الثمن .

- تذكر صديقه و زميله بن فعرج عليه في مكتبه، كان جالسًا يراجع أوراق إحدى القضايا التي كان يحقق فيها . تمالك أعصابه بصعوبة وهو يقف أمام مكتبه قائلاً : (إزيك يا بن، أخبارك إيه ؟)

- رفع بن نظره إليه، ثم مالبث أن ابتسم مرحبًا : (جوردان ! أنت اللي عامل إيه ؟ فينك مش باين !)



- ابتسم جوردان قائلاً : (معلش ما أنت عارف الشغل، بقولك إيه عايز منك خدمة علشان القضية اللي أنا شغال فيها)

- هز بن رأسه قائلاً : (أنت تؤمر . هاه، عايز إيه ؟)

- مط شفتيه قائلاً : (عايز عنوان واحد اسمه مارك شيبرد، علشان عنده معلومات مهمة عن القضية اللي معايا . هو شغال في الـ إف بي آي)

- عاد بن بظهره للخلف في مقعده، وحدق في جوردان للحظة قبل أن يقول : (إف بي آي ! بس أنت عارف إن الموضوع ده صعب جدًا . ده فيه درجة سرية عالية لعملاء الـ إف بي آي . وعلى فرض أني عرفت أدخل الموقع بتاعهم وأجيب العنوان، أنا ممكن أترفد لو حد عرف)

- ابتسم جوردان ليبعث فيه الطمأنينة، واقترب منه وقال في صوت منخفض : (أوعدك إن محدش هايعرف، أنا ماجيتش هنا أصلاً)

- طقطق بن بلسانه وعض على شفتيه مفكرًا لبرهة، ثم ما لبث أن حسم أمره واعتدل في جلسته وأخذت أصابعه تداعب جهاز الكمبيوتر خاصته . كان يزفر في ضيق بين الحين والآخر ويطلق السباب ثم يقول : (لأ برضه مش هاتغلبني)، مضى



بعض الوقت ثم رفع بصره إلى جوردان وهز رأسه في آسى قائلاً : (للأسف الموضوع صعب جداً وعليه حماية جامدة)

صدرت منه ضحكة وهو يقول : (بس على مين ! ده أنا الساحر بن) . أمسك بورقة صغيرة ودون عليها العنوان وناوله لجوردان .

- أمسك جوردان بالورقة في يده وتنهد في إرتياح . ثم شكر بن وانصرف في هدوء محدثاً نفسه : (لازم أندمك على اللي أنت عملته يا شيبرد)

●●●

- في غرفة المعيشة بمنزل مارك، كان الثلاثة يستمعون إليه وهو يحكي لهم عما حدث منذ إختفاؤهم من القاعدة وحتى ظهورهم في نيويورك، وكيف أن عمله في مكتب التحقيقات الفيدرالي ساعده في العثور عليهم، واختتم كلامه قائلاً : (وده كل اللي حصل من ساعة ما مشيتوا لغاية دلوقت)

- نظر إليه هيثم وعلى وجهه إبتسامة بسيطة وهو يقول : (أحسن حاجة حصلت، هي إنك عرفت تلاقينا . كان زماننا قاعدين مع الأخ جوردان لغاية دلوقتِ)



- انفجر الجميع ضاحكينً، ثم قال مارك لكيفين : (كيفين، خد بيبي وإطلعوا إلعبوا في الجنينة)، وما أن غادر كيفين حتى إلتفت مارك إليهم قائلاً : (عايزكوا تحكولي عن المستقبل . إيه اللي هايحصل ؟ العالم هيعيش في سلام ولا هاتقوم حرب نووية تدمر العالم في ٢٠١٢ زي مابيقولوا ؟ مين هيبقى رئيس أمريكا)

- نظر إليه هيثم مطولاً وصمت برهة مفكرًا قبل أن يقول وعلى وجهه إبتسامة : (العالم هاينتهي إزاي في ٢٠١٢ ! ما إحنا قدامك أهوه . لأ يا سيدي اطمئن مفيش حرب عالمية ثالثة في السنين الجاية، على الأقل لغاية ٢٠١٧، هو صحيح العالم مش هيبقى وردي بس مش لدرجة أن تقوم حرب نووية)

- سألته دوريس في لهفة : (طالما مفيش حرب نووية، معنى كده إن العالم هايعيش في سلام ؟)

- هز هيثم رأسه نفيًا وهو يقول : (للأسف لأ يا دوريس . مش معنى إن مفيش حرب نووية، إن العالم هايعيش في سلام . فيه برضه حروب حصلت وخلصت ولسه فيه شعوب بتعاني من أثرها لغاية دلوقتِ)

- سألت دوللي كريم : شو اللي حصل يا كريم ؟



- نظر كريم في عينيها وبدا عليه الحزن وهو يقول : فيه حاجات كتيرة حصلت في العالم . حكى لها عن حرب الخليج وما حل بالعراق جراء هذه الحرب، ثورات الربيع العربي وما حدث لسوريا وليبيا واليمن وسيطرة التنظيمات الإرهابية على مناطق عديدة في هذه الدول . والحوادث الإرهابية التي انتشرت في الشرق الأوسط وطالت بعض عواصم الدول الأوروبية .

- اتسعت عيونهم في ذهول بعدما ترجم لهم مهند ما قاله كريم. ثم قال مارك : (هو المستقبل ضلمه كده!)

- نظر إليه مهند قائلاً : (لأ مش قوي كده يا مارك)

- بدا الإنزعاج على وجه مارك وهو يقول : (مش قوي إزاي يا مهند ! طيب قولي حاجة واحدة كويسة)

- ابتسم مهند وهو يقول : (فيه حاجات كتير كويسة، فيه ثورة كبيرة في مجال الإتصالات . الإنترنت بقى متاح للجميع وبسرعات عالية جدًا، والإعتماد عليه بقى في جميع المجالات تقريبًا . فيه تطور كبير جدًا في الطب، الكمبيوترات، التليفزيونات، العربيات، الطيارات . تطور تكنولوجي رهيب في جميع المجالات)، مد يده في جيبه وأخرج هاتفه المحمول ورفعه أمامهم قائلاً : (وهنروح بعيد ليه ! أهوه الموبايل بتاعي.



أكبر دليل على التقدم التكنولوجى سنة ٢٠١٧ . والحمد للّه إني لسه شاحنه)

- ناوله لمارك الذي أخذ يتفحصه في انبهار وهو يقول : (مش ممكن، شاشة ألوان باللمس ! وكمان كاميرا !! ده استخدامه سهل جدًا) . مط شفتيه في أسى وهو يقول : (يعني الموبايل ده مش هايبقى موجود قبل ١٨ سنة ؟)

- نظر إليه مهند قليلاً ثم قال مبتسمًا : (لأ، بالنسبة لك أنت، هيبقى متاح دلوقتِ) . نظر إليه مارك في عدم فهم، فاستطرد مهند قائلاً : (الموبايل ده هدية مني ليك يا مارك)

- رفع مارك حاجبيه من المفاجأة، وهز رأسه نفيًا وهو يقول : (لأ يا مهند . ما أقدرش آخده)

- ابتسم مهند وهو يقول : (لأ يا مارك، دي أقل حاجة أقدمهالك. كفاية اللي عملته معانا)

- ظهر التأثر على مارك ونظر إلى دوريس التي بدت متأثرة هي الأخرى . ابتسم ونظر لمهند قائلاً : (أنا مش عارف أقولك إيه يا مهند ! أنا بجد متشكر)

- إلتفت إليه مهند وهو يبتسم قائلاً : (أنا اللي متشكر يا مارك . وماتكبرش الموضـ ...)



- قطع كلامه رنين هاتف مارك المحمول، الذي استأذنهم في الرد . أمسك ورقة وقلمًا ودون بها عنوانًا، ثم شكر المتصل وأنهى المكالمة .

- نظر إليهم قائلاً : (أنتوا قولتولي إن الجهاز بتاعكم بايظ، مش كده ؟)

- أجابه هيثم قائلاً : (مظبوط، بس كريم ممكن يصلحه لو لقى الحاجات اللي عايزها . إحنا عايزين محل إلكترونيات . مكان نلاقي فيه دوائر كهربية ومقاومات) . ابتسم مضيفًا : (وبعدين ده إحنا في أمريكا، لو مش هنلاقي اللي إحنا عايزينه هنا، هنلاقيه فين !)

- ابتسم مارك قائلاً : (أكيد هتلاقوا اللي أنتم عايزينه . بكره الصبح هاننزل نروح أكبر محل إلكترونيات هنا. وكمان فيه حاجة كان عايزها مهند، هانعملها)

- نظر إليه مهند متسائلاً : (حاجة أنا عايزها !)

- أمسك مارك بالورقة التي دون فيها العنوان منذ قليل، وابتسم قائلاً : (أنت مش عايز تشوف باباك ومامتك !)

- انتبه الجميع إلى مايقوله مارك، كاد مهند أن يبكي واختلطت مشاعره وهو يقول : (بابا وماما !)



- أومأ مارك برأسه قائلاً : (أيوه المكالمة دي كانت من واحد زميلي في الشغل، هو عمل إتصالات مع إدارة الجوازات والهجرة، وعرف من طلب التاشيرة اللي قدمه باباك للسفارة في القاهرة، اسم وعنوان الفندق اللي حجز فيه. واتصل بالفندق واتأكد إنهم فعلاً موجودين هناك)

- لم يستطع مهند أن يتمالك أعصابه فقام واقفًا وبعينين مغرورقتين بالدموع قال : (أنا مش عارف يا مارك، أشكرك إزاي)، ومالبث أن إحتضن مارك وصديقاه .

بدا التأثر واضحًا على الجميع وهو يرون مهند يبكي فرحًا، فقد أوشك أن يرى والديه الذين فقدهما في الرابعة عشر من عمره .

- مضت فترة من الوقت بعدها إلتفتت دوللي إلى هيثم تسأله: (بالمناسبة يا هيثم، مين رئيس أمريكا اللي جاي بعد كلينتون؟)

- أجابها هيثم قائلاً : (بعد كلينتون هاييجي جورج دبليو بوش، وده ابن الرئيس الأسبق جورج بوش وهو اللي بدأ غزو العراق و وصلها للحال اللي هي فيه دلوقتِ)

- بدا الإنزعاج على مارك فسأله : (طيب وعمل كده ليه ؟)



- أجابه هيثم : (اللّه أعلم، بس التاريخ هيجاوب على كل الكلام ده . المهم إن بعد بوش جه باراك أوباما وده هو أول رئيس أمريكي من أصول أفريقية)

- ظهرت الدهشة واضحة على وجه دوللي وقالت : (رئيس أسمر ! مش معقول، معنى كده إن العنصرية انتهت من أمريكا. وأكيد ده كان رئيس كويس)

- حرك هيثم كتفيه وهو يقول : (فعلاً العنصرية ما بقيتش موجودة زي الأول، لكن موضوع إن أوباما كان رئيس كويس، ده بأه فيه كلام تاني)

- سأله مارك : (ليه إيه اللي حصل ؟)

- تنهد هيثم وهو يقول : (ده موضوع يطول شرحه . المهم بعد أوباما جه الرئيس دونالد ترامب)

- سألته دوريس متعجبة : (دونالد ترامب المليونير !!)

- هز رأسه إيجابًا وهو يقول : (أيوه هو، بس تصحيح بسيط هو مش مليونير، هو ملياردير)

- ارتفع حاجبا مارك في دهشة وهو يقول : (ملياردير ! المهم هو كرئيس، كويس ولا وحش ؟)



- هز هيثم كتفيه وهو يقول : (معرفش، هو لسه ماسك في ٢٠١٧)

- تثاءبت دوريس وهي تنظر في ساعتها وتقول : (ياه، الساعة عدت ٢ الصبح، كفاية كده يا جماعة ونكمل بكره)

- نظر مارك إلي ساعته قائلاً : (الوقت عدى بسرعة، ياللا يا جماعة نقوم ننام ونكمل بكره)، ثم إلتفت إلى دوريس يسألها : (هو كيفين لسه صاحي لغاية دلوقتِ ؟)

- ابتسمت قائلة : (لأ طبعًا، ده دخل نام ساعة ماكنت بتتكلم في التليفون وأخد معاه بيبي)

- إلتفت مارك إلى دوللي وهو يقول : (دوللي إنتي طبعاً عارفة أوضتك بتاعة كل مرة)

- أومأت دوللي برأسها إيجابًا وهي تقول : (طبعًا عارفاها، ده بيتي)

- ضحك وهو يقول : (ماشي، بالنسبة لهيثم ومهند وكريم، أنتم برضه عارفين الأوضة بتاعتكوا)، أومأ ثلاثتهم برؤوسهم إيجابًا . فاستطرد قائلاً : (تصبحوا على خير يا جماعة نشوفكوا الصبح)



حيوه بدورهم وذهبوا إلى غرفتهم، كانت الغرفة في الطابق الثاني، كبيرة الحجم بها نافذة تطل على الحديقة . حوائطها مطلية باللون الأبيض ، وقد جهزها مارك بكل مايلزمهم .

- اضجع مهند وكريم على فراشيهما، بينما جلس هيثم على طرف فراشه مطرقًا بنظره إلى الأرض ويفكر، نادى عليه مهند قائلاً : هيثم . ولكن هيثم لم يستجب له فقد بدا مستغرقًا في أفكاره، ناداه مرة أخرى بصوت أعلى : هيثاام .

- رفع هيثم بصره ونظر إليه متسائلاً : فيه حاجة يا مهند ؟ كنت بتنده عليَ ؟

- نظر إليه مهند وهو يقول ضاحكًا : بنده عليك ! ده أنا كان ناقص أضربك بسكينة علشان ترد . مالك يا إتش فيه إيه ؟

- تنهد هيثم وهو يقول : بصوا يا جماعة، طبعًا كلكم فاكرين أحداث ١١ سبتمبر اللي بسببها فيه حاجات كتير إتغيرت في العالم . الأحداث دي حصلت هنا في نيويورك، أو لسه هاتحصل يعني . أنا بقول إننا لازم نحذر مارك ودوريس ودوللي طبعًا .

- أومأ كريم برأسه موافقًا وهو يقول : أنا معاك يا هيثم، بس المشكلة لو قولنا لمارك، أكيد هايحاول يعمل حاجة علشان



ينقذ بيها الناس دول . وأكيد هايبلغ عن الموضوع ده عنده في الشغل، وساعتها أنا مش عارف هايحصل إيه .

- نظر مهند إلى كريم وهيثم قائلاً : يا جماعة دي فرصتنا علشان ننقذ أرواح كتيره، يعني الحادث ده بالذات لو عرفنا نمنعه، فيه حاجات كتير في العالم هتتغير .

- هز هيثم رأسه نفيًا وهو يقول : لأ طبعًا مش ممكن، قولتلك يا مهند قبل كده إن التاريخ مش ممكن يتغير مهما حاولنا، والدليل على كده تيتانيك . فيه أكتر من اللي إحنا عملناه ! وبرضه غرقت . إلتفت إلى كريم وسأله : إيه رأيك يا كريم .

- صمت كريم مفكرًا ثم قال : مع إن رأيي من رأي يا هيثم، إن مهما حاولنا، التاريخ مش ممكن يتغير . بس أرجع أقول إننا نقولهم، وأهي محاولة يمكن نعرف ننقذ حد .

- قال مهند : بصوا يا جماعة إحنا تعبانين، ننام دلوقتِ والصباح صباح .

- تنهد هيثم ونظر إلى مهند قائلاً : الصباح صباح إزاي يعني ! مفيش فايدة، تصبحوا على خير .

- مط مهند شفتيه وأشاح بيده وهو يتمتم بعبارات غير مفهومة. ضحك كريم وهو يقول : وأنتم من أهله.

●●●



- أشارت عقارب الساعة المثبتة على الحائط بمطعم فندق ويلينجتون إلى التاسعة صباحًا . وجلس الدكتور محمد البهنساوي يتناول طعام الإفطار مع زوجته الدكتورة فريدة. لاحظ شرودها بأفكارها وأن هناك ما يشغل بالها . فهي تلعب بالشوكة في الطبق أمامها ولا تأكل. أمسك يدها قائلاً : مالك يا فريدة فيه إيه؟

- أفاقت من شرودها قائلة : مش عارفه يا محمد قلبي مقبوض كده ليه ! من ساعة ما وصلنا هنا وأنا مش مستريحة . مع إني لسه مكلمة مهند إمبارح بالليل وإتطمنت عليه . وكلمت شريف وأكد لي أنهم كويسين وكل حاجة تمام .

- ابتسم محمد وحاول طمأنتها قائلاً : ممكن يكون ده تاثير الحمل يا حبيبتي . ماتقلقيش، إن شاء الله كل حاجه هتبقى تمام . المؤتمر هايبدأ بكره وهايخدله يومين، وطيارتنا يوم الأحد الجاي يعني خلاص كلها كام يوم وترجعي لمهند بالسلامة .

- ابتسمت وأومأت برأسها قائلة : إن شاء الله يا حبيبي . ثم مالبثت أن سألته : إحنا هنعمل إيه دلوقتِ ؟

- بدا على صوته الحماس وهو يقول : بصي يا ستي، إحنا النهاردة بقى هنتفرج على نيويورك . أنا جيتها قبل كده



وعارفها . هنركب المركب ونروح نتفرج على تمثال الحرية، وفيه كام متحف حلوين برضه لازم نشوفهم . وأهم حاجة بأه ودي اللي هاتعجبك، هنروح نشوف أبراج مركز التجارة العالمي علشان تنبسطي .

- تهللت أساريرها وهي تقول : أنا مبسوطة طول ما أنا معاك يا محمد . ربنا مايحرمنيش منك أبدًا .

- ابتسم قائلاً : ومايحرمناش منك يا حبيبتي . صمت قليلاً ثم أردف قائلاً : عايزين بعد ما نخلص الفطار، نشوف محل إلكترونيات قريب من الفندق ونشتري كاميرا كويسة علشان نتصور بيها النهاردة . دي هتبقى صور هايلة .

- ابتسمت وهي تقول : عندك حق، إحنا مالناش صور كتير مع بعض .

●●●

- انتهى الجميع من تناول طعام الإفطار في منزل مارك، الذي قال مخاطبًا دوريس : (أنا هآخد هيثم ومهند وكريم ونروح نشتري الحاجات اللي عايزينها علشان يصلحوا الجهاز) . ثم نظر إلى مهند وابتسم قائلاً : (وبعد كده نعدي على الفندق اللي فيه باباك ومامتك علشان تشوفهم، ولاَّ مش عايز ؟)



- أجابه مهند في لهفة : (لأ طبعًا عايز)، صمت قليلاً ثم سأله: (ماينفعش نروح نشوفهم الأول وبعدين نشتري الحاجات اللي كريم عايزها ؟)

- لم تفارق الإبتسامة شفتيه وهو ينظر إلى مهند قائلاً : (ماتخافش يا مهند، فيه واحد من الناس بتوعي بيراقبهم وهايقولنا لو اتحركوا وراحوا في أي حتة)

- علت وجه مهند إبتسامة رضا وهو يقول لمارك : (متشكر جدًا يا مارك، إحنا مهما عملنا مش هانعرف نردلك اللي أنت عملته معانا)

- وماهي إلا لحظات حتى خرجوا من المنزل . قبل أن يستقلوا السيارة، توقف مارك وهو ينظر إلى سيارة متوقفة في الجهة المقابلة لمنزله . ثم مالبث أن هز رأسه وهو ينفض تلك الأفكار عنها . ركبوا جميعًا سيارة مارك وانطلقوا إلى وجهتهم . أخذ ثلاثتهم ينظرون من نوافذ السيارة يتفقدون ماحولهم . كانت هذه هي المرة الأولى التي يزورون فيها مدينة نيويورك ويتجولون في طرقاتها وبين مبانيها . بهرتهم المباني الشاهقة والشاشات العملاقة على واجهاتها . كان كل شيء ينبض بالحياة في قلب التفاحة الكبيرة .



- ربت كريم على كتف هيثم الجالس أمامه في الكرسي المجاور لمارك قائلاً : الدنيا هنا زحمة أوي، فكرتني بالقاهرة .

- ابتسم هيثم وهو يقول : لأ، أنا دلوقتِ وبعد كل اللي حصل لنا، أقدر أقولك إن القاهرة وحشتني أوي . صدرت عنه تنهيدة ثم قال : بالمناسبة يا كريم، أنت عرفت إيه اللي بايظ في الجهاز علشان نجيبه، مش كده ؟

- أومأ كريم برأسه إيجابًا وهو يقول : كله تمام ماتقلقش . إحنا بقالنا هنا أكتر من يومين يعني هتلاقي الجهاز كمان اتشحن وكل حاجة جاهزة . أول مايتصلح نطير على طول .

- نظر إليه مهند في إنزعاج وهو يقول : يعني إيه أول مايتصلح نطير على طول ! أنا مش منقول من هنا لغاية ما اطمئن على بابا وماما . يا إما ننقذ الطيارة كلها، يا على الأقل مايركبوش هم الطيارة .

- نظر إليه هيثم وهو يقول : يا مهند اللي بتعمله ده خطر . وممكن يسبب تغييرات في المستقبل ومش بعيد كمان تكون تغييرات مش كويسة .

- قطب مهند حاجبيه وهو يقول في غضب : يعني إيه ! يعني أنت مش عايزني أنقذ بابا وماما ! حط نفسك مكاني،



قدامك فرصة تنقذ أبوك وأمك اللي اتحرمت منهم وأنت عندك ١٤ سنة . عايز تقنعني أنك مش هاتعمل المستحيل علشان تنقذهم ؟ بجد يا هيثم !

- شد صوت مهند الغاضب انتباه مارك الذي سأل هيثم: (إيه الموضوع يا هيثم ؟ فيه حاجة مزعله مهند ؟)

- حكى له هيثم ما دار بينهم فنظر مارك إلى هيثم قائلاً : (مهند عنده حق، أنا لو مكانه هأعمل كده . وبعدين دي فعلاً فرصة علشان ينقذهم من الموت . وماحدش عارف إيه اللي هايحصل ...)

قطع كلامه صوت رنين هاتفه المحمول فألتقطه وهو يستمع لمحدثه ثم مالبث أن قال : (ماشي، خليك معاهم إحنا خلاص وصلنا) . أغلق الهاتف ونظر إلى مهند في مرآة السيارة الداخلية وإرتسمت على وجهه إبتسامة مشجعة وهو يقول : (جاهز يا مهند علشان تقابلهم ؟)

- بدا التوتر على وجه مهند وهو يقول : (أأ ... أقابل مين؟)

- ركن سيارته أمام أحد المحلات الضخمة لبيع الإلكترونيات وهو يقول : (أنا مقدر مشاعرك يا مهند، أيوه هتقابل باباك ومامتك)



ترجل الجميع من السيارة وأشار مارك للمحل قائلاً : (هم جوه المحل ده يا مهند . امسك أعصابك مش عايزك تعمل حاجة تلفت بيها الأنظار)

- تلاحقت أنفاس مهند من فرط الإثارة، فلم ينبس ببنت شفة وإنما اكتفى بإيماءة من رأسه . دلفوا جميعًا إلى المحل وهم يتفقدون أرجاء المكان حتى توقف هيثم فجأة وأمسك بكتف مهند وهو ينظر أمامه وهو يقول : مهند، مش دول باباك ومامتك ؟

- حدق مهند أمامه وبعينين مغرورقتين بالدموع وصوت مرتعش قال : بابا ... ماما، يا حبايبي وحشتوني أوي . همَّ بالإندفاع نحوهما ولكن هيثم أمسك بيديه يمنعه وهو يهز رأسه نفيًا . لم يستطع مهند أن يكبح جماح مشاعره فأجهش بالبكاء .

- لفت بكاء مهند نظر الناس من حولهم، ترك محمد البهنساوي الكاميرا التي كان يتفحصها ونظر إلى مهند وقال مخاطبًا زوجته : تفتكري الشاب ده بيعيط ليه يافريدة ؟ صعب أوي راجل يعيط .

- نظرت إليه فريدة وهي تقول : شكله كده زي مايكون حد مات له . دققت النظر وهي تقول : دول شكلهم زي مايكونوا

مصريين . تعالَ يا محمد نشوف مالهم، يمكن فيه حاجة نقدر نساعد بيها .

- تسمروا جميعًا في أماكنهم وهم ينظرون إلى والد مهند ووالدته الذان حيوهم وهما يقتربان منهم، ثم مالبث والده أن قال : صباح الخير يا جماعة، أنتم مصريين ؟

- هز مهند رأسه نفيًا دون أن ينبس ببنت شفه . تمالك هيثم أعصابه وهو يقول : أيوه حضرتك إحنا مصريين .

- ابتسم البهنساوي قائلاً : أنا الدكتور محمد ودي مراتي الدكتورة فريدة . فيه حاجة ممكن نساعدكم بيها؟

- ابتسم هيثم وهو يقول : متشكرين جدًا . أنا هيثم . أشار إلى رفاقه قائلاً : دول أصحابي كريم ومهند ومارك . ابتسم وهو يقول : بس مارك بأه أمريكي مش مصري .

- قال البهنساوي : فرصة سعيد جدًا . ثم إلتفت إلى مهند قائلاً : شكلك مش غريب . زي مايكون إتقابلنا قبل كده .

- ابتسمت فريدة ونظرت إلى زوجها وهي تقول : على فكرة إحنا عندنا برضه مهند في مصر بس هو عنده ١٤ سنة بس. ثم قالت وهي تدقق النظر في مهند : غريبة أوي الشبه اللي بينك وبينه . إلتفتت إلى زوجها وهي تقول : أنا برضه يا محمد حاسه إني شوفته قبل كده .



- ضحك البهنساوي وهو يقول : الدنيا صغيرة، يمكن نكون جيران ولا حاجة . أنتم منين ؟.

- قطع مارك حديثهم قائلاً : (أنا آسف إني قاطعتكم)، نظر لهيثم قائلاً : (مش عايزين نتأخر على ميعادنا، ومش عايزين نعطلهم معانا)

- أومأ هيثم برأسه وهو يقول : (معاك حق)، ثم مد يده مصافحًا الدكتور بهنساوي وزوجته وهو يقول : فرصة سعيدة يا دكتور بهنساوي، مد الدكتور محمد يده مصافحًا وهو يقول: أنا أسعد . ثم مالبث أن صافح كريم ومارك ثم مهند الذي ما أن صافحه حتى إحتضنه بقوة وهو يكاد يبكى قائلاً: هتوحشني أوي يا با .... باشا . ثم أجهش في البكاء .

- عقدت المفاجأة لسان الدكتور البهنساوي الذي لم يحرك ساكنًا، ثم مد يده وهو يربت على كتف مهند قائلاً : وأنت كمان يا مهند، إن شاء الله نتقابل في مصر . الدنيا صغيرة .

- أمسك هيثم بيد مهند يشده بعيداً عن والده، فيما بدا التأثر واضحًا على وجه مارك الذي انسابت دمعة على خده لم يستطع أن يحبسها من فرط التأثر . بينما خلع كريم نظارته وأمسك بمنديل يحاول أن يجفف دموعه قبل أن تسيل على خديه .



- نظر هيثم إلى والدي مهند وهو يقول : معلهش أصل مهند عاطفي شوية ودموعه دايمًا على خده .

- أومأ الدكتور محمد برأسه متفهمًا، ثم مالبث أن قال : طيب يا جماعة نسيبكم بأه علشان مانعطلكوش . وانصرف هو وفريدة متوجهين إلى قسم الكاميرات .ومهند يتابعهم ببصره.

- نظر إلى زوجته قائلاً : عاطفي أوي مهند ده، هو غريب شوية، بس أنا مش عارف ارتحتله ليه ! تذكر شيئًا فتوقف فجاة وبدا مندهشًا وهو يقول : الأخ اللي كان بيكلمنا اللي اسمه هيثم، سلم علي وقاللي يا دكتور بهنساوي . أنا ماقولتلوش إن اسمي البهنساوي، عرف منين ! إلتفت للخلف يبحث عنهم فلم يجد أحدًا منهم .

- انطلق مارك بالسيارة بسرعة مبتعدًا بهم عن المحل الذي قابلوا فيه والدي مهند، وهو يقول : (عندك حق يا هيثم، إحنا نروح فرع تاني للمحل ده . قبل ماتحصل مشكلة)، بدا عليه التأثر وهو ينظر في المرآة إلى مهند الذي اغرورقت عيناه بالدموع وهو يهز رأسه في آسى .

- أخذ كريم يربت على كتف مهند محاولاً تهدأته، وهو يقول : إن شاء الله يا مهند هنعمل اللي نقدر عليه علشان ننقذهم .



- جفف مهند دموعه وهو يقول : وحشوني أوي .

- زفر هيثم ثم قال : خلاص يا مهند، زي ماقالك كريم، إحنا ننقذهم واللي يحصل يحصل .

- مضى بعض الوقت حتى قطع مارك الصمت قائلاً : (المحل أهوه)، ركن سيارته قائلاً : (بسرعة يا جماعة نشتري الحاجة ونعدي على السوبر ماركت . دوريس عايزه حاجات علشان العشاء النهاردة)

- مضى بعض الوقت حتى عاد الجميع إلى السيارة ومعهم كل ما أراده كريم، سأله مارك : (كريم جبت كل حاجة ولا فيه حاجة ناقصة ؟)

- ترجم له هيثم ماقاله مارك، فأجاب كريم : كل حاجة تمام جبت كل اللي أنا عايزه .

- نظر إليه هيثم متسائلاً : أنت جبت ساعة تاني ليه ! ساعاتنا كلها شغاله .

- أجابه كريم : دي مش علشانكم . دي علشان دوللي .

- ارتفع حاجبا مهند في دهشة وهو يقول : دوللي ! أنت ناوي تاخدها معانا !

- أومأ كريم برأسه إيجابًا : أيوه وفيها إيه !



- تنهد هيثم وهو يقول : يا كريم، أنت مش هتاخدها من وسط أهلها وأصحابها بس، لأ ده أنت هاتخدها من الزمن بتاعها . يعني ممكن ماتشوفش حد منهم تاني . سألتها يا كريم ؟

- زفر كريم في عصبية وهو يقول : وهي هاتقول إيه يعني ! إحنا الإتنين بنحب بعض .

- سألهم مارك عما يقولون، حكى له هيثم مادار بينهم . صمت مارك مفكرًا ثم قال : (انا رأيي زي رأيك يا هيثم . يسألها هي، ده قرارها لوحدها، مش قرار حد تاني)

- لاذ الجميع بالصمت . وفي الطريق عرج مارك على السوبر ماركت واشترى ماتريده دوريس . وصلوا للبيت وترجل الجميع من السيارة، توقف مارك للحظة وبدا عليه التوتر وهو ينظر إلى الجهة المقابلة لمنزله . كانت السيارة التي رآها صباحًا ماتزال متوقفة في نفس المكان لم تغادره . لاحظ هيثم توتره فساله : (فيه حاجة يا مارك ؟)

- أجابه مارك : (العربية دي غريبة عن هنا وواقفة قدام البيت زي ما يكون حد بيراقبني)

- هز هيثم كتفيه وهو يقول : (ممكن يكون حد بيزور جيرانكم ولا حاجة)



- أومأ مارك برأسه قائلاً في اقتضاب : (يمكن)، فتح الباب ودلفوا جميعًا إلى الداخل، وسرعان ما أتى كيفين يركض في إتجاه والده . ومالبث أن ارتمى في أحضانه . ومن خلفه بيبي ينبح في سعادة .

- أتى صوت دوريس من المطبخ قائلة : (مارك، هات الحاجة اللي جبتها علشان العشاء . بسرعة لو عايزين تتعشوا)

- ضحك مارك وهو يقول لهم : (عندها وجهة نظر برضه، دايمًا تقنعني)، إلتفت إلى هيثم يسأله : (قدامكم أد إيه وتخلصوا تصليح الجهاز ؟)

- سأل هيثم كريم فأجابه : تقريبًا ساعة مش أكتر . إحنا جبنا كل حاجة .

- ترجم هيثم لمارك ماقاله كريم، فقال مارك : (كويس، هايكونوا دوريس ودوللي خلصوا العشاء)

- حيا كريم دوللي ودوريس ثم إلتقط ما أحضره من محل الإلكترونيات وتوجه ومعه هيثم إلى غرفتهما للعمل على إصلاح الجهاز. فيما بقي مهند مع كلٍ من مارك ودوريس ودوللي ليساعدهم .



- مضى الوقت سريعًا حتى ضغط كريم على زر تشغيل الجهاز فأضاءت الشاشة وظهرت عليها جميع البيانات . صاح كريم فرحًا : الحمد للّه، الجهاز شغال تمام . وكمان مشحون زي ماقولتلك .

- تنهد هيثم في إرتياح وهو يقول : أنا مش مصدق، أخيرًا هنرجع بيوتنا .

- أتاهما صوت دوللي وهي تصيح : كريم هيثم، ياللا العشا جاهز .

- نزلا مسرعين وعلى وجهيهما إبتسامة عريضة . جلسوا على المائدة وجلس كريم بجوار دوللي ونظر إليها وهو يقول : خلاص يا دوللي الجهاز اتصلح . كل حاجة تمام .

- بدا على وجهها الحزن وهي تسأله : خلاص بتروح ع مصر ؟

- أجابها : بس فيه مفاجأة هأقولك عليها بكرة الصبح . علشان هأسهر أشتغل فيها طول الليل .

- ابتسمت وهي تسأله في دلال : شو المفاجأة ؟ هدية ؟

- مط كريم شفتيه وهو يقول : مش هأقدر أقولك وإلا ماتبقاش مفاجأة .



- نظر هيثم إلى مارك قائلاً : (مارك فيه موضوع لازم أقولك عليه)، نظر مارك إليه مستفسرًا . فأردف هيثم قائلاً : (لازم تبعد عن نيويورك يوم ٢٠٠١/٩/١١، لإن فيه حادث إرهابي ضخم هايحصل . هيأثر على العالم كله)

- سألت دوللي كريم : شو هاي الحادث اللي بيغير العالم !

- أجابها كريم : بصي يا دوللي فيه هجوم إرهابي حصل هنا في نيويورك، قصدي لسه هايحصل، وهاتكون فيه خسائر جامدة.

- نظرت له دوللي وقالت في فزع : هون بنيويورك !

- هز رأسه في آسى وهو يقول : أيوه هنا، أهم حاجة تبعدوا عن نيويورك يوم ٢٠٠١/٩/١١ لإن ده وقت الحادث .

- بعد أن ترجم مهند ماقاله كريم، نظر إليه مارك في دهشة قائلاً : (إيه هو الحادث ده ؟)

- إلتفت هيثم إليهم قائلاً : (فيه هجوم هايحصل على برج التجارة العالمي هنا في نيويورك وهيدمره وهيروح ضحيته الآلاف . وهايحصل يوم ٢٠٠١/٩/١١)

- تهلل وجه مارك فرحًا وهو يقول : (كويس، قدامنا وقت طويل علشان نحذر الناس)



- هز هيثم رأسه في أسى وهو يقول : (المشكلة بأه إنك بعد ما عرفت يا مارك هاتعمل إيه ؟ هتحذر الناس إزاي وهتقولهم إيه ؟)

- أجابه مارك في سرعة : (هأقولهم اللي أنت قولته)

- مط هيثم شفتيه وهو يقول : (ماشي، ولما يسألوك جبت الكلام ده منين، هتقولهم إيه ؟)

- قبل أن يجيب مارك، دق جرس هاتفه فإلتقط السماعة واستمع إلى محدثه في إهتمام وملامحه تتغير . وضع سماعة الهاتف . إتجه إلى إحدى النوافذ، ونظر من وراء الستائر فلمح سيارتان تابعتان لمكتب التحقيقات الفيدرالي تتوقفان أمم منزله .

- بدا الإنزعاج على ملامحه وهو يقول : (يا جماعة لازم تمشوا حالاً، فيه حد بعت شكوى ضدي في الـ إف بي آي إن أنا هربتكم من الشرطة ومقعدكم عندي في البيت . هم دلوقتِ على الباب ولو مافتحتش هايكسروا الباب ولو شافوكم هتبقى مشكلة)

- نظر إليه مهند وبدت على وجهه أمارات الحزن وهو يقول : (طيب بابا وماما ؟)

- ربت مارك على كتفه وهو يقول : (معلهش يا مهند، لو فضلتوا هنا، مش هاتعرف لا تنقذهم ولا حتى تنقذ نفسك)



- سمع الجميع صوت طرقات على الباب الأمامي للمنزل وصوت يقول: (إف بي آي، افتح الباب)

- أسرع الثلاثة إلى الطابق العلوي ومعهم دوللي ودوريس، فيما بقي كيفين مع والده ومعهما بيبي .

- في الطابق العلوي، جمع الثلاثة أشياءهم في سرعة، وأمسك كريم بالجهاز وقام بضبط التاريخ على يوم رحيلهم، كما قام بضبط المكان على بيته في المعادي حيث بدأ كل شيء . ضغط الأزرار تألقت الساعات الثلاثة في أيديهم بضوء فيروزي وظهرت دائرة الطاقة أمامهم تكاد تملأ الغرفة، تصحبها الأصوات المميزة والشرارات الكهربية .

- صاح هيثم فيهما : ياللا بسرعة، مفيش وقت أشار بيديه لدوريس ودوللي وهو يقول : (شكرًا على كل حاجة . سلمولنا على مارك وإشكروه على كل حاجة)، قالها وخطا إلى داخل الدائرة .

- ودعهم مهند وتبع هيثم . خلع كريم نظارته وجفف دموعه وهو يودع دوللي ثم احتضنها قائلاً، هنتقابل تاني . وتبع صديقيه إلى داخل الدائرة

- أومأت برأسها وهي تجفف دموعها قائلة : هنتظرك يا كريم.

- فتح مارك الباب ونظر إلى صاحب الصوت قائلاً : (خير فيه إيه يا توم ؟) . تجاهله توم، فقد كان ينظر لأعلى وبالتحديد



إلى نافذة غرفة بالطابق الثاني والتي يصدر منها أضواء متقطعة كأنها ماس كهربي .

- لفت نظر مارك أن السيارة التي راوده الشك بشأنها سابقًا مازالت موجودة في نفس المكان منذ الصباح. خيل إليه أن بداخلها المحقق جوردان الذي بدا أنه يضحك في سخرية مما يحدث أمامه، وأن له يدًا فيما يحدث .

- دفعه توم ودلف إلى الداخل وبخطوات مسرعة صعد الدرج قفزًا وهو يقول : (إيه الأضواء دي يا مارك؟ والأصوات دي إيه ؟)، اقتحم الغرفة فوجد دوريس ودوللي جالستان وعينا دوللي مغرورقتان بالدموع .

- نظر إليه مارك وهو يقول : (فيه إيه يا توم ! إزاي تقتحم بيتي كده !)

- تجاهله توم وبدا صارمًا وهو يقول : (إيه الأضواء دي يا مارك ؟)

- تمالك مارك أعصابه وهو يقول : (ماكونتش أعرف إن مشكلة في الكهرباء في البيت ممكن تجيبكم كده، على العموم أول حاجة هاعملها الصبح إني أجيب شركة الكهرباء تصلحها)

- نظر إليه توم في ريبة قائلاً : (يعني مفيش حاجة مخبيها عندك ؟)



- ابتسم مارك في تحدٍ وهو يقول : (مع إن مفيش معاك إذن من قاضي التحقيقات، بس أنا بقولك لو عايز تفتش، فتش . مفيش عندي حاجة أخبيها)

- نظر إليه توم وهو يجز على أسنانه قائلاً : (لأ خلاص، إحنا هنيجي تاني لما نجيب إذن من قاضي التحقيقات) . نظر إلى رفاقه قائلاً : (ياللا بينا مفيش حاجة)

●●●

في الحديقة الخلفية بفيلا كريم بالمعادي ظهرت دائرة من الطاقة الصافية . مصحوبة بشرارات كهربائية، تُصدِر صوتًا كصاعق الكهرباء الذي يستخدمه أفراد الأمن . وعبر منها ثلاثة من الشباب يتلفتون حولهم في حذر . وماهي إلا ثوانٍ قليلة حتى أغلقت الدائرة وساد الصمت المكان .

- لم ينبس أحدهم ببنت شفة وهم يتلفتون حولهم في حذر، وفي رؤوسهم سؤال واحد : هل حقًا عادوا أخيرًا إلى زمنهم ؟ وفجأة قطع هيثم الصمت وقفز في الهواء من فرط السعادة وهو يصيح قائلاً : إحنا عندك في البيت يا كريم . احتضن كريم الذي كان واقفًا بجواره وهو يقول : الحمد لله، أخيرًا رجعنا .

- قال كريم بصوت غلفه الحزن : آه إحنا فعلاً في البيت . ثم تنهد قائلاً : رجعنا .



- نظر إليه هيثم قائلاً : ما كانش ينفع يا كريم، وبعدين أنت عملت اللي عليك بس الظروف كانت ضدنا .ولا إيه يا مهند؟

- لم يتلق جوابًا فنظر خلفه فوجد مهند جالسًا على الأرض وهو يقبل الحشائش قائلاً : إحنا رجعنا بجد ! أنا مش مصدق نفسي . بجد رجعنا يا جماعة ؟ حمل حقيبته على ظهره وهو يقول : أنا رايح البيت . زمان خالو قلقان عليا جدًا . غادر بيت كريم وهو يركض في إتجاه منزله .

- لحظات ووصل مهند أمام العمارة التي يقطن بها . تنهد الصعداء عندما رأى سعيد بواب العمارة جالسًا أمامها وهو يشرب كوبًا من الشاي فوقف أمامه يتأمله ليتأكد من أنه وصل بيته أخيرًا .

- رفع سعيد نظره إليه ثم هب واقفًا وهو يقول : عايز حاجة يا أستاذ مهند؟

- نظر إليه مهند وارتعشت شفتاه وهو يدقق النظر فيه قائلاً : أيوه صح، أنت عم سعيد .

- مط سعيد شفتيه ونظر إليه قائلاً : أيوه يا أستاذ مهند، سلامتك . أنا سعيد البواب .

- تركه مهند وصعد درجات السلم قفزًا إلى الدور الثاني . وقف أمام باب الشقة . أدخل المفتاح في ثقب الباب وأداره، لكن المفتاح لم يدور . رفع نظره وقرأ الرقم المثبت على الباب



وهـو يقـول لنفسـه : أيوه هـي دي الشـقة، هـو خالـو غيـر الكالـون ولا إيـه ! هـو لحـق يضيـع المفتـاح تانـي !

- ضغـط علـى زر الجـرس . لحظـات وفُتِـح البـاب، تطلـع مهنـد في الوجـه الـذي أمامـه، كانـت فتـاة في السادسـة أو السـابعة عشـر مـن العمـر . بيضـاء اللـون جميلـة الملامـح، ذات وجـه طفولـي، وشـعر أسـود طويـل منسـدل علـى كتفيهـا . تراجـع خطـوة للخلـف وهـو يقـول في دهشـة : مـش دي شـقة الأسـتاذ شـريف ؟

- نظـرت إليـه وابتسـمت قائلـة : بطَّـل هـزار بـأه يـا مهنـد . إتفضـل إدخـل .

- نظـر إليهـا في تسـاؤل : أدخـل فيـن ! أنتـي ميـن !

- ضحكـت الفتـاة وهـي تقـول : مـش وقـت هـزار خالـص دلوقـتَ . عندنـا ضيـوف جـوه، صحـاب بابـا مـن زمـان بـس أول مـرة ييجـوا مصـر . أنـت جيـت في وقتـك، أنـا كنـت لسـه هـاروح أسـلم عليهـم .

- أمسـكت بـه الفتـاة مـن يـده وسـحبته إلـى الداخـل . دلـف مهنـد للشـقة مذهـولاً ولـم ينبـس ببنـت شـفة . دخـل مهنـد إلـى غرفـة الصالـون وهـي تسـحبه مـن يـده . تسـمر في مكانـه وهـو ينظـر إلـى الضيـوف . تدلـى فكـه السـفلي في بلاهـة واتسـعت عينـاه لا يصـدق مايـراه .

- ابتسـمت الفتـاة ومـدت يدهـا لتصافـح الضيـوف وهـي تقـول بالإنجليزيـة : (نورتـوا مصـر، أنـا إسـمي هنـا)



- ابتسم أحدهما ومد يده مصافحًا وهو يقول : (تشرفنا يا هنا، أنا مارك)، ثم أمسك بيد زوجته قائلاً : (دي دوريس، مراتي)

- ارتسمت إبتسامة على شفتيها وهي تقول : (فرصة سعيدة جدًا، أنتم نورتونا)، ثم مالبثت أن إستأذنتهم وإنصرفت مسرعة .

- كان مهند واقفًا في مكانه يحاول استيعاب ما يحدث أمامه . نظر إليهما في دهشة فقد بدا أكبر بسنوات عما تركهما عليه منذ أقل من نصف ساعة .

- مد مارك يده مصافحًا وهو يقول : (فرصة سعيدة يا مهند)

- عقدت المفاجأة لسان مهند فلم ينبس ببنت شفة وإنما أومأ برأسه ومد يده في حركة آلية ليصافح مارك.

- أتى صوت من خلف مهند قائلاً : جيت في وقتك يا مهند . حماتك بتحبك . كنا لسه هانقوم نتعشى .

- إلتفت مهند ببطء إلى مصدر الصوت الأتي من خلفه . تدلى فكه السفلي في بلاهة . وإتسعت عيناه عن آخرهما وهو يقول: مين ! بابا !!

- ضحك والده وهو يقول : إيه يابني مالك فيه إيه ! أنت أول مرة تشوفني !



- ابتسم البهنساوي وهو ينظر إلى مارك وخاطب مهند قائلاً : دول مارك ودوريس يا مهند، صحابي اللي طول عمري بكلمك عنهم . فاكرهم ؟ ثم أشار لمارك قائلاً : هو ده بأه يا سيدي مارك اللي أنقذني أنا ومامتك . بس دي أول مرة ييجي فيها هو و دوريس مصر.

- ابتسم وهو يقول مخاطبًا مارك : (بعد إذنك يا مارك هأروح أشوفهم خلصوا الأكل ولا لسه) . قالها وانصرف تاركًا مهند يحاول جاهدًا استيعاب ما يحدث .

- وما أن انصرف البهنساوي حتى إلتفت مارك لمهند وهو يقول: (بص يا مهند مفيش وقت، قبل ما حد ييجي . كيفين إبننا أنا ودوريس، اتخطف بعد ما مشيتوا بأسبوع . حاولنا المستحيل إحنا والبوليس علشان نلاقيه، بس مفيش فايدة، لغاية النهاردة ماحدش عرف طريقه . عايزينكم ترجعوا تأني أنت وهيثم وكريم لليلة اللي اختفى فيها، وتعرفوا مين اللي خطفه وتقولولنا . وسيبوا الباقي علينا)

- ارتفع حاجبا مهند وهو يستمع إلى مايقوله مارك، بذهن شارد لا يصدق ما يراه أويسمعه . فخذلته قدماه ولم تقويا على حمله فجلس على أقرب المقاعد إليه .

- نظر إليهما وتنهد قائلاً : نيويورك تاني !!!

●●●



الفهرس

الصفحة



أطلس

للنشر والإنتاج الإعلامى



أيمن رفعت

كاتب وروائي، عمل بالسلك الدبلوماسي في مجالي العلاقات الدولية والتعاقدات الخارجية. كما عمل أيضاً في مجالات الموارد البشرية، التدريب وتنمية روح الفريق، القيادة الإستراتيجية، التخطيط الإستراتيجي، العمليات والإمداد، إدارة المشروعات.

كما حصل على عدة دورات تدريبية في مجال القيادة وتنمية روح الفريق بالولايات المتحدة الأمريكية

Facebook account:

https://www.facebook.com/ayman.refaat.752

Email:

ayman_refaat@yahoo.com





هل راودتك يوماً فكرة السفر عبر الزمن ؟ هل تمنيت أن يعود بك الزمن لتغير أحداثاً بعينها ، ربما للأفضل من وجهة نظرك ؟.. ماذا ستفعل لو تحققت أمنيتك وأدركت أن الزمان والمكان لا يشكلان عائقاً بالنسبة لك ؟

في إطار من الإثارة والتشويق ، تدور أحداث الرواية حول بعض الأصدقاء ، كان حلمهم منذ الطفولة هو إختراع آلة الزمن وتغيير التاريخ ، من منا لم يحلم بذلك !

هل الحلم وحده يكفي لتحقيق مايريدون ؟

ويبقى السؤال الأهم : هل نجحوا في تغيير التاريخ ليصبح كما نعرفه الآن ، أم أن التاريخ لا يمكن تغييره؟

تصميم الغلاف احمد السعيد

